مطبوعات، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ «5»

مؤرخو الشرفاء

تأليف

ليفي بروفنصال

تعريب

عبد القادر الخلادي



الرباط 1397 / 1977

ملاحظة

لم يلتزم المعرب دائما بالنقل الحرفي للنص الفرنسي ، وانما تصرف أحيانا بالتلخيص أو الحذف ، وبخاصة في الهوامش .

مطبوعات، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (5)

مؤرخو الشرفاء

تأليف

ليفي بروفنصال

تعريب

عبد القادر الخلادي



الرباط 1397 / 1977

تقديم

ظهر كتاب **مؤرخو الشرفاء** فى المغرب ولم تمض غير سنوات معدودات على فرض الحماية الفرنسية ، فكان حدثا ثقافيا فريدا من نوعه ، اذ اصطبغت كل الدراسات المتعلقة بالمغرب قبله بصبغة سياسية مكشوفة تستهدف مساعدة رجال الحماية على التعرف على طبيعة البلاد و أهلها جغرافيا ـ وجيولوجيا وتاريخيا وايتنوغرافيا .

أعجب المستشرقون بما وجدوا فى كتاب ليفى بروفنصال ، من معلومات ونصوص استقاها من مصادر مغربية لا عهد لهم بها من قبل ، وبما قدم لهم من تراجم اعلام مغاربة انتجوا طوال اربعة قرون العديد من كتب التاريخ والتراجم والمناقب والرحلات وغيرها ، كما أعجب المغاربة بمنهج ليفى بروفنصال وطريقته النقدية الحديثة الغريبة لديهم آنذاك .

ورغم مرور أزيد من نصف قرن على تأليف هذا الكتاب ، وما حرره في معارضة بعض فصوله جماعة من النقاد ، فانه مازال يحتل مكانة مرموقة من بين المصادر المعتمدة في تاريخ المغرب الفكري بالعصر الحديث . ومازلت أذكر عندما كنت أناقش أطروحتي عن السعديين في جامعة السربون استحسان الاستاذ هنري لاووست تقديمي كتاب مؤرخو الشرفاء في طليعة قائمة كتب الدراسات السابقة التي رجعت اليها واستفدت منها . ولم أقدمه الا سيرا مع الخطة التي التزمتها هناك من اعتبار التسلسل الزمني ، وذكر الاقدم فالقديم فالحديث .

وقد أشرت في مقدمة أطروحتي وفي الفصل الثالث من الباب الثالث منها الى بعض جوانب النقص فيما كتبه لـ . بروفنصال منذ أزيد من نصف قرن ، والى ما جد بعده من كتب لم يعرفها قط أو عرف اسماءها وحسبها في حكم المفقود .



وهناك جانب آخر في كتاب ل . بروفنصال لم أتعرض اليه في دراستي عن السعديين لظروف خاصة ، وأرى من الواجب أن أنبه عليه هنا ونحن بصدد نشر كتابه باللغة العربية . بل لم أكن متحمسا في البداية لنقل هذا الكتاب الى اللغة العربية ، وربما ثبطت صديقي الاستاذ عبد القادر الخلادي عنه عندما أقبل على تعريبه .

ذلك ان الظرف الاستعماري المحموم الذي نشأ فيه هذا الكتاب ، وصلة مؤلفه بالمريشال اليوطي رأس الحماية الفرنسية ، وقيام حركة «ضباط الشؤون الاهلية» آنذاك جعل ل. بروفنصال يتأثر قليلا أو كثيرا بما كان يكتبه دهاقنة الحماية عن المغرب في دراسات مغرضة مموهة بطلاء ثقافي شفاف .

لم يسلم **مؤرخو الشرفاء** من طعن وتحامل على أعلام المغرب من مؤرخين وغيرهم ، ونال الحظ الاوفر فى الثلب والازراء العالمان محمد أكنسوس صاحب **الجيش العرمرم** ، وأحمد الناصرى صاحب **الاستقصاء** ، اتهمهما، بروفنصال — أكثر من غيرهما — بالسرقات الادبية المتعمدة ، وسلخ فصول كاملة من كتب لم تكن متداولة فى مؤلفيهما · ويبدو أن القاسم المشترك بين هذين المؤرخين — فى نظر بروفنصال — انهما عالمان أدبيان بالمعنى الصحيح لمفهوم عصرهما ، متأخران الى زمن قريب من عهد الحماية ، كتب كلاهما فى تاريخ المغرب مشيدا بأمجاده الطارفة والتالدة ، لاسيما الناصرى الذى بلور فى **الاستقصا** كيان الدولة المغربية واستمرار وجودها طوال العصر الاسلامى من لدن الادراسة الى العلويين ·

★ ★

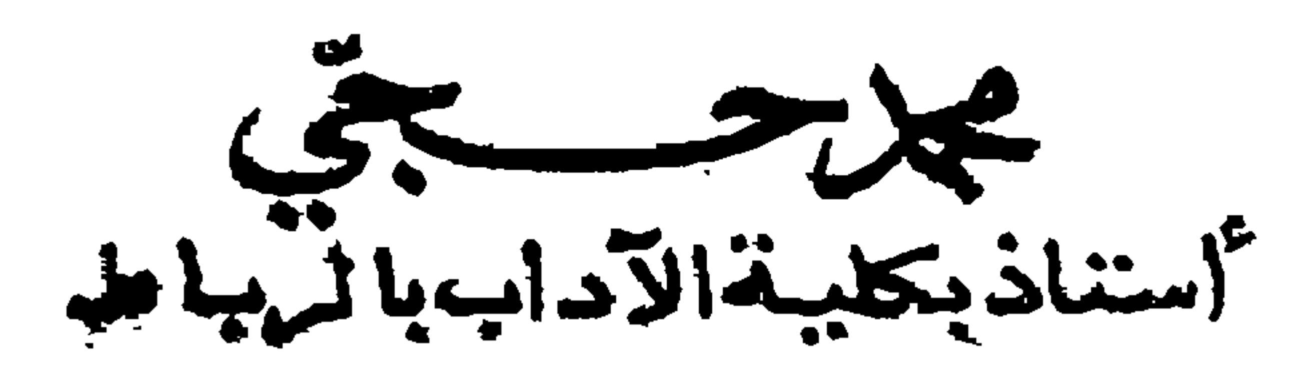
وقد عنيت مدة بتتبع سقطات ل· بروفنصال وتسجيل ما أهمل من كتب ورسائل وغيرها لمؤلفين مغاربة داخلين فى الفترة الاولى المشمولة باطار دراسته ، أعنى عصر السعديين ، فاجتمع لدى من ذلك كراريس رأيت أن أحررها فيما بعد لتنشر فى سلسلة مقالات باحدى المجلات المغربية·

وفى اطار بحثى عن بقايا كتاب **مناهل الصفاء** كتبت فى ربيع سنة ١٣٨٥/١٩٦٦ الى ابن مؤلف **الاستقصاء** الاستاذ محمد الناصرى أستفسره عما قد يكون محفوظا بخزانتهم من **المناهل** نظرا الى ان والده نقل عنه مباشرة حسبما اقتضته صيغ النقل ، وأوردت أرقام بعض الصفحات الدالة على ذلك ، مشيرا فى نفس الوقت اشارة عابرة الى ما قاله ل· بروفنصال فى الموضوع ·

لكن الاستاذ الناصرى ظن أني اشاطر ل. بروفنصال اتهام المؤرخ السلوي بالسطو والانتحال ، فبعث الى بمخطوط فى نيف وثلاثين صفحة يحتوى على خلاصة كتاب مطول ألفه فى الرد على صاحب **مؤرخو الشرفاء** متتبعا اتهاماته لوالده واحدة واحدة ، وناقضا اياها عروة عروة بالحجج المنطقية والأدلة العقلية والنقلية .



وبعد ، أو ليس من المفيد ، مع كل هذا ، ان يترجم وينشر **مؤرخو الشرفاء** ليطلع عليه جمهور المثقفين باللغة العربية ، بعد أن ظلوا دهرا يستمعون الى أصدائه تتردد شرقا وغربا ؟ فقد يرون فيه نموذجا من طلائع البحث الحديث فى التراث العربى المغربى ، وقد يكون مثار مزيد من الدراسة والحوار فى ميدان تاريخ المغرب الذى مازال بحاجة الى الكثير من البحث والتنقيب .



ترجمة افارست ليفي بروفنصال

1894 / 1956

(عن مجلة أرابيكا 1956 فصلة 2)

رأيت من الواجب علي أن أصدر هذا الكتاب بترجمة مؤلفه أولا ، لانه قدم للمغرب خدمات ثقافية جليلة وذلك باسهامه في احياء قسط لا يستهان به من تراثه الادبي والتاريخي والحضاري ، وثانيا لان ترجمته التي أوردها نجيب العقيقي في كتابه « **المستشرقون** » (ط، دار المعارف بمصر 1964 . ج 1 ص 285) واستقاها من مجلة « ارابيكا » المشار اليها أعلاه مشوه قسمها الخاص بآثاره ، بالوان من التحريف والتصحيف في أسماء للكتب والاشخاص والاماكن ، الخ ..



ولد ليفي بروفنصال بالجزائر العاصمة ، سنة 1894 م ، الا أنه تلقى تعليمه الثانوي بقسنطينة ، ثم عاد الى مسقط رأسه والتحق بكلية الآداب حيث تسنى له التعرف على أستاذين جليلين ، أولهما جيروم كوركوبينو الذي حبب اليه الاهتمام بالتاريخ ودراسة الآثار والخطوط المنقوشة ، وثانيهما روني باصي الذي شجعه على التعمق في اللغة العربية والاعتناء بالبيبلوغرافية العربية وخصوصا المخطوطات .

نال الاجازة (ليسانس) عام 1913 . وفي سنة 1919 انتدبه المارشال ليوطي للعمل في معهد الدراسات العليا المغربية ، وعين أستاذا فيه (1920) ثم مديرا (1925 / 1935) .

وفي سنة 1922 قدم بالعاصمة الجزائرية أطروحة الدكتوراه ، وكان الاستاذ روني باصي هو الذي اقترح عليه موضوعها ، والابحاث التي انكب عليها لانجاز هذا العمل هي التي أكسبته حنكة التقصي في النقـد والتحليل والدربة على تقدير محتوى المخطوطات العربية .

وفي سنة 1923 وجهته وزارة التعليم الفرنسية الى الاسكريال ليضع قائمة ما بها من مخطوطات أكثرها من بقايا خزانة السلطان مولاي زيدان السعدي التي كان استولى عليها الاسبان في عرض البحر ، فمكنه عملـه هذا من الاتصال بعدد وافر من اكابر المستشرقين الاسبان ومعرفة ما نشروه من دراسات ، وكذا من العثور على مظان قيمة تتعلق بتاريخ العدوتيـــن الادبي والاجتماعي ، ومن مشاهدة ما تزخر به الاندلس من آثار حضـــارة اسلامية ومعالم عمرانية وما لا زال حيا في مختلف بيئاتها من تقاليـــد اجتماعية واقتصادية وفلاحية ذات طابع مغربي او شرقي .

ومنذ تلك الزيارة أخذ يتردد على الاندلس ويتجـول في مختلف مناطقها ويواصل البحث والتنقيب .

وفي 1927 انتدبته كلية الآداب الجزائرية استاذا لتاريخ العـــرب والحضارة الاسلامية ، فقسم وقته بين الرباط والجزائر ، ثم بينهمـــا وبين التدريس في معهد الدراسات الاسلامية في السربون بباريس حيث كان يدرس تاريخ العرب وكتاباتهم .

في 1930 إستعفى من ادارة معهد الرباط ليتفرغ للتدريس والتأليف، فاعفي وعين مديرا شرفيا له .

وفي 1938 دعته جامعة القاهرة أستاذا زائرا وعينته في اللجنـــة المكلفة بتحقيق الآخيـــرة لابن بسام

وبعد انتهاء الحرب الثانية ، سنة 1945 عين أستاذا للعربية والحضارة الإسلامية بجامعة باريس ، ووكيلا لمعهد الدراسات السامية في نفس الجامعة .

أشرف عدة سنوات على الطبعة الفرنسية **لدائرة المعارف الاسلامية** وأنشأ (1954) مجلة **أرابيكا** للدراسات العربية .

كان يعد المرجع الاول في الغرب لتاريخ الاندلس وقد كوفيء على جهوده في الاستشراق بأوسمة رفيعة وعضوية جمعيات عدة منها المجمع الاسباني والجمعية الملكية الاسيوية البريطانية .

وهنا أرى من باب الاعتراف بالفضل لذوي الفضل أن أسجل له موقفا نبيلا وقفه وقت الازمة المغربية : فانه رغم انعزاله اذ ذاك عن الشؤون السياسية ، لم يتردد في مساندة الاساتذة الفرنسيين الذين تصدوا للدفاع عن العرش المغربي ، فنشر في جريدة فرنسية ذائعة الصيت فتوى أوضح فيها أنه لم يكن في فترة من الفترات التاريخية المغربية لقادة القبائل ولا لباشوات المدن ولا لرؤساء الزوايا حق التدخل في اختيار من يجلس على العرش مفندا بفتواه تلك ما لفق من ادعاءات في تلك المناسبة، ومعارضا بها تربه في الدراسة الثانوية الجنرال جوان ، وساعده الايمن في دراسة المخطوطات ، عبد الحي الكتاني ، وزميله القديم بمعهد الرباط هنري طيراس .

كانت حياة ليفي بروفنصال كلها حركة دائبة منتجة ورحلات متواصلة للتنقيب والتحقيق أو للنشر والتأليف أو للتدريس والتوجيه أو للمشاركة في الندوات العلمية والمؤتمرات الاستشراقية .

آثـــاره

أكتفي بذكر المهم منها وان كانت كلها مفيدة وهادفة الى توسيـــع الآفاق الثقافية .

أ) **الكتب التي أشرف على تحقيقها ونشرها أو شارك في تصحيحها.**

1) **الجـامع الصحيـح** لابي عبد الله البخاري (نسخة بخط يد أبـــي عمران موسى بن سعادة الاندلسي ـ منقولة بالتصوير ـ الجـــزء الاول ـ مطبعة كنتار 1927) .

2) كتاب **صلـة الصلـة** (القسم الاخير) لابي جعفر أحمد بن الزبير (الرباط 1938) .

3) كتاب **اعمـال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام** لابن الخطيب (الرباط 1934 واعيد طبعه ببيروت 1950) .

4) **مجموعـــة رسائـــل موحديـــة** من انشاء كتاب الدولة المؤمنيـة (الرباط 1941) .

5) **سبـع وثلاثـون رسالة موحدية رسمية** (الرباط 1941)

6) **نبـــذ تاريخيـة** في أخبار البربر في القرون الوسطى ، منتخبة من كتاب **مفاخـر البربر** لمؤرخ مجهول (الرباط 1934) .

7) نص جديد في التاريخ المريني : **السنـــد** لابن مرزوق (باريـس 1925)

8) **البيـان المعـرب** لابن عذاري المراكشي ، الجزء الثالث (باريس 1930)

9) **آداب الحسبـة** لابي عبد الله محمد السقطي المالقي بمعاونة كولان (باريس 1931)

10) **الحسبة** لابن عبدون (باريس 1954)

11) أجزاء **الذخيـــرة** الثلاثة لابن بسام بمعاونة لجنة من الجامعــة المصريـــة .

12) **مذكرات عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة** (مصر 1956)

13) جزيرة الاندلس في العصور الوسطى أو « كتاب **الروض المعطــار** لعبد المنعم الحميري (ليدن 1939)

14) **كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا** للنباهي (دار الكتاب المصري القاهرة 1948) .

15) **جمهــرة أنساب العرب** لابن حزم الاندلسي (دار المعارف — مصر 1958)

16) كتاب **نسب قريش** لعبد الله بن مصعب بن الزبير (دار المعارف — مصر 1953)

أعاد طبع **تاريخ المسلمين في اسبانيا** لدوزي — طبعة منقحة ومرتبة في 3 اجزاء (ليدن 1932) .

★ ★

ب التآليـــف

1) **تاريخ اسبانيا المسلمة** باللغة الفرنسية 3 أجزاء (وقد ترجم الى اللغة الإسبانية) .

2) **اسبانيا المسلمة في القرن العاشر الميلادي** (النظم والحيـــــاة الاجتماعية ، 1932) .

3) وثيقة عن الحياة الحضرية والحرف باشبيلية في القرن الثاني عشر الميلادي : كتاب **الحسبـــة** لابن عبدون ، باريس 1934

ترجمة الكتابة الى الفرنسية مع تعاليق ضافية (باريس 1947)

4) **نظـرة عامـة عـن الحضارة العربية باسبانيا** (القاهرة 1938)

ج : فهارس المخطوطات والمطبوعات الفاسية :

1) **فهرس المخطوطات العربية** المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط — القسم الاول — باريس 1921)

2) **التقويم التاريخي لمطبوعات فاس** بمعاونة الاستاذ محمد بن شنب — الجزائر 1922)

3) **المخطوطات العربية في مكتبة الاسكريال — موصوفة حسب** جذاذات هرتويج دير نبورج مع تنقيحها وترتيبها (الجزء الثالث (الفقه — الجغرافية — التاريخ — (باريس 1927)

★ ★

د : الآثار

1) **شالة** : مقبرة مرينية بمعاونة هنري باسي (باريس 1922)

2) **كتابات عربية في اسبانيا** (باريس ليدن 1931)

وبالاضافة الى كل هذا فان ليفي بروفنصال حرر العشرات من المقالات المتعلقة بالتاريخ السياسي أو الادبي او الاجتماعي ، أو الآثار والمؤلفات والنصوص والكتابات المنقوشة الخاصة بالمغرب أو بالاندلس . كما أننا نجد له دراسات ذات شأن في عدد كثير من المجلات والنشرات المهتمة بالابحاث الاستشراقية ، وفي مقدمتها **دائرة المعارف الاسلامية** التي تنشر في أربع لغات : الفرنسية والانجليزية والالمانية والاسبانية ، وأصبحت منذ سنين تظهر ، في مصر ، باللغة العربية ، ولكن ببطء يصعب تبريره .

توفي ليفي برفنصال بباريس في شهر مارس 1956 .

المعرب

مؤرخو الشرفاء



مدخل

مدخــل

يبدو أن المغرب الاقصى لفت ، خلال العصور الحديثة ، أنظار أوربا الغربية ، أكثر من أي قطر من الاقطار الاسلامية الاخرى .

أجل ، فانه عرف منذ زمن بعيد كدولة بحرية تستوجب المراعاة والاحترام ، أثبتت العلاقات الديبلوماسية والتجارية التي أبرمها معـه العالم القديم قدر ما كانوا يولونه من الاهتمام .

هذا ولم تلبث الطبقة المثقفة الاوروبية من جهتها أن أخذت ، منـذ القرن السابع عشر الميلادي ، تتوق الى معرفة هذه الارض القريبة من قارتهم ، والتي كانت ، رغم موقعها الجغرافي الخاص ، تعتبر قطعة من الشرق ، ذلك الشرق الطافح بالاسرار ، المستثير لرغبة التطلع ، الحادي الى الاستكشاف وفك الغوامض .

لقد كان المغرب الاقصى اذذاك ، ومثله في ذلك مثل القطر التركي ، موضع اهتمام عدد لا يستهان به ممن قدر لهم الاقامة ببعض مدنه وقراه، أو التجوال خلال بعض المناطق الافريقية ، ومنهم التجار والقساوسـة والرهبان وحتى قدماء الاسرى ، فحداهم ولع بني قومهم بالجديد مـن المواضيع الى تأليف رحلات وصفوا فيها ما شاهدوه من عادات وتقاليد استغربوها ، وما سمعوه من أخبار ، وما عن لهم من ملاحظات .

فان قسما كبيرا من المؤلفات المشار اليها في ببلوغرافية المغرب التي وضعها بليفار وبروان *(Playfair et Brown)* صنفت قبل سنة 1800م. ووفرتها دليل قاطع على ما كانت توليه أوربا من العناية بشـؤون المغرب ، وما كان لها من رغبة في الالمام باحواله .

لا شك ان أغلبية مؤلفي تلك الكتب اتخذوا لها عناوين توهم ، غلطا ، أنها تتضمن عروضا لاطوار تاريخ المغرب ، ولاشك كذلك ان طائفة منهم استقوا ، مدة اقامتهم بالمغرب ، معلومات تاريخية عن هذه البـلاد اما بطريقة السماع المباشر ، واما بنقل ما ورد في كتب من تقدمهم من الغربيين ، الا أنه لا يوجد من بينهم ، فيما نعلم ، أحد استفاد مـــن مصادر مغربية مؤلفة باللغة العربية .

ومهما كان من أمر فان محتوى تلك المؤلفات يدل على ما بذلــه أصحابها من جهد وصبر بحيث لا زال البعض منها ، الى يومنا هذا ، يعد من المراجع المثمرة المجدية .

نعم لا ينبغي أن ننسى أن الاعمال التي قام بها ، في هذا المجال، أمثال دييقو دو طوريس (1535 ‹ *Diego de Torres* › وموط (1683) *(Mouette)* ، وبيدو دو سانت اولان (1694 *(Pidou de Saint Olon)* والقسيس بيسنــو (1714 ‹ *Le P. Busnot* › وبرايتويــت (1729) *(Braitwait)* وشنيي *(Chenier)* (1787) ، كانت الى عهـــد قريب اساسا لدراسات متعلقة بتأريخ المغرب خلال الفترة الحديثـــة تم تحريرها في كل من فرنسا وانجلترا واسبانيا .

فان آثار أولئك الرجال ، مع كونها لا تخلو من تحيز ومن حشو ، لا يمكن ان تعتبر عديمة الفائدة ، باطلة القيمة . خصوصا فيما يهم علاقات المغرب بما يجلوره من البلاد الاوربية .

ان المصادر العربية كانت يومئذ موجودة ، وقد عبر البعض منهـــا البحر ، فشاع ذكرها بأوربا ، وعرفها المستشرقون ، فكان أول ما اهتموا به نشر الآثار الجديرة بالتقدير ، وخصوصا المتعلقة بتاريخ المغرب في العهد الوسيط ، مثل كتاب « العبر » لابن خلدون . وكان «روض القرطاس» الذي الفه ابن أبي زرع للتعريف بالدول الاولى التي حكمت المغرب وبتاريخ

مدينة فاس ، من الكتب التي طبقت شهرتها الآفاق الاوربية ، اذ ترجم، في ظرف مائة سنة ، الى أربع لغات : الالمانية والبرتغالية واللاتينية والفرنسية ، وسينشر النص العربي في القريب العاجل في طبعة محققة منقحة تفي بما لذلك المصنف من قيمة وشأن (1) فالمسيو هوداس (Houdas) هو الذي كان له فضل الاسبقية في التعريف بكتب التاريخ الحديث المغربية لدى المؤرخين الاوربيين (2) . فانه قام ، سنة 1886 بنشر فصول من كتاب الزياني تتعلق بتاريخ الدولة العلوية وألحقها بترجمتها الى اللغة الفرنسية ، ونشر خلال السنتين 1888 ، 1889 ، تاريخ الدولة السعدية للافراني مع الترجمة كذلك ، ونشر ، فيما بعد ، **تاريخ السودان** ، و **تذكرة النسيان** وهما جد مفيدان لمعرفة قيمة الاتصالات التي كانت بين المغرب والقارة السمراء.

وفي نفس الفترة كانت طائفة من رجالات المدن الجزائرية ولاسيما من أهالي تلمسان ، على اتصال مستمر بالاوساط الثقافية المغربية ، وعلى علم بما كان يروج غيها من كتب ، الشيء الذي يسر لبعض المستشرقين الحصول على نسخ من المصنفات العربية المطبوعة بفاس ، ومنهم الاستاذ كور (Cour) الذي كان في طليعة من استفادوا مما كانت تخرجه المطبعة الحجرية الفاسية من الكتب ، والخاصة بتراجم أهل العلم والصلاح ، فتمكن من تأليف كتابه الذي عنوانه : **تاريخ استقرار الدولتين السعدية والعلوية بالمغرب ، وذكر ما كان بينهما وبين**

---

1) ورد في مقدمة كتاب **روض القرطاس** المطبوع بالرباط، سنة 1936 م ، ان هذا الكتاب ترجم الى الفرنسية سنة 1693 والى الالمانية في أواخر القرن الثامن ، والى البرتغالية سنة 1827 . وترجم ترجمة جديدة الى الفرنسية سنة 1860 (المعرب) .

2) ورد في نفس المقدمة ان المستشرق السويدي (طورنبرج) نشر النص العربي سنة 1843 مع ترجمة لاتينية ((المعرب) .

للدولة التركية بالايالة الجزائرية من خلافات وهو من بواكر الدراسات المتعلقة بالدولتين الشريفتين المذكورتين التي اعتمد فيها على مصادر أوربية ومصادر مغربية عربية .

وفي سنة 1895 (1312هـ.) طبع بمصر كتاب الاستقصاء فتسنى اذذاك للمؤرخين الاجانب ان يستفيدوا منه كثير الاستفادة ، ولا سيما بعد ان ترجم الاستاذ فيمي (*Fumey*) الى الفرنسية القسم الخاص بالدولة العلوية ، وأشرف على نشرة بالمجلة « المستندات المغربية » (*Les Archives Marocaines*) يتضح مما سبق ان تاريخ المغرب الحديث بقي ، الى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، مبنيا على ما ورد في وثائق اوربية ، وان محتواه بدأ اذذاك ينمو ويثرى بمعلومات دقيقة وردت في غضون كتب مغربية نقلت الى لغات غربية أو استقاها مؤرخون مستعربون من مؤلفات تم اخراجها في مطابع فاس الحجرية العتيقة ، واستطاعوا الحصول عليها بوسائل من شأنها « أن تنيم الرقباء وتزيح الحواجز » (!!)

هذا ورغم قلة تلك المصادر فان محتواها يؤيد ، في الجملة ، مضمون كتب التاريخ المغربي المؤلفة باوربا ، ويضفي على بعض جوانب الماضي المغربي أضواء جديدة بحيث يسوغ لنا ان نقول ان التاريخ المغربي المبني على مستندات مغربية وعلى مصادر اوربية من الممكن أن يعد « متكامل الاطراف جدير بالاعتبار » .

ها المغرب قد أصبح اليوم مفتوح الابواب ، وهو ميدان بكر للابحاث، وموطن خصب للاستكشافات ، يستقبل بصدر رحب رواد الاستطلاعات الاثنوغرافية ، والجيولوجية واللغوية ، ولكن قلما تفتح فيه الاذرع للترحيب بالمتعطشين الى استكناه التراث الادبي . فان هذه الطائفة من الباحثين قد تفتح في وجوههم أبواب المكتبات الخاصة ذات الشهرة الواسعة ، وقد يسمح لبعضهم بالجلوس في زاوية من زواياها ليتصفح

ما يقدم له من مخطوطات ومن مطبوعات تختلف اختلافا كبيرا في الحجم والشكل والمضمون ، وقد يكون من بينها مؤلفات كان يشك في وجودها أو نضب الامل في العثور عليها ، ولكن اذا ما أراد أحد أولئك الزوار أن يستعير كتابا قصد استنساخه أو استخراج بعض فصوله ، فانه ، في غالب الاحيان ، يعود برفض لين الملمس مشفوع بجملة من تافه الاعذار، أجل فان أرض المغرب بالنسبة للمولع بالكتب « أرض غنية بالورود ولكنها مفروشة بالحصى » .

وكيفما كان الامر فلا نرى داعيا للتخلي عن بذل الجهود ، وعن التذرع بالصبر لجمع الوثائق ، سيما واننا على يقين أنها موجودة ، وجد مفيدة ، وان استجلاء ما تشتمل عليه من حقائق عمل ضروري لسد ما يتسم به التاريخ المغربي الحديث من ثغرات .

لقد تجلى بفرنسا ، منذ القرن العشرين الميلادي ، أن كتابة ذلك التاريخ يتوقف على دراسة وثائق جديدة سواء منها الموجودة في المظان المغربية أو المحفوظة ضمن مجموعات المستندات الغربية في مختلف البلدان الاوربية .

ولنذكر على سبيل المثال ذلك المشروع الجليل الذي بدأ يسهر على انجازه م. هنري دوكاستري *(Henry de Castriers)* منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، والهادف الى نشر وتحقيق جميع الوثائق الخاصة بتاريخ المغرب والمودعة في دور المحفوظات الاوربية (3) .

فانه كان عزم منذ أمد ، على تأليف كتاب في تاريخ المغرب ولكن لم يلبث ان تيقن ان عمله ذلك سيبقى ناقصا ما لم تجمع تلك الوثائق وتغربل وتنسق .

---

3) نشر من هذه المجموعة الى حد الآن حوالي ثلاثين مجلدا (المغرب).

كلنا مقتنعون بصواب حكم ناشر تلك المصادر الاوربية والوارد في مقدمة السلسلة الاولى من مجموعته حيث قال : « لا يوجد من حيث ضحالة الضبط في الاحداث والاحكام ، تاريخ يشبه التاريخ المغربي » ، وكلنا متيقنون أن تلك المصادر ستساعد على سد ذلك النقص ، ولكن هل ستكفي لذلك ؟ لاشك أنها لن تزودنا بمعلومات طريفة الا فيما يخص جزء ضئيل من ذلك الموضوع . وأما بالنسبة للتاريخ الخاص بالاحداث التاريخية الداخلية ، فانها قد تتيح المقارنة والتحقيق ، ولكنها لن تمدنا الا نادرا بمعلومات أصيلة غير معروفة . وعليه فتاريخ المغرب الحديث المستقاة عناصره من تلك الوثائق لن يكون ذا شأن الا اذا استغلت أيضا لبنائه جميع المصادر العربية . ولا شك في وجود تلك المصادر (4).

وتلك المؤلفات العربية هي التي نحن عازمون على دراستها هنا ، معتنين على وجه الخصوص بما ألف منها منذ القرن السادس عشر الميلادي الى أيامنا هذه ، وسوف لا نقتصر على الاهتمام بالحوليات التاريخية ، بل سنعتني كذلك بكتب التراجم لان أصحابها شاركوا الاخباريين في التعريف بتاريخ الدولتين السعدية والعلوية ، بالملكة المغربية .

ولذا فاننا سنحاول ان نلم باسماء أولئك المؤلفين وأن نضع قوائم لما جادت به قرائحهم من مؤلفات ، فندرس محتواها ، معتمدين في ذلك على ما سنصل اليه من معلومات لدى بعض رجال العلم والادب ، وما سنجده من بيانات في الابحاث البيبلوغرافية .

ولكن قبل الشروع في تلك الدراسة نرى من المفيد ان نقف على مدى مجال التاريخ ضمن الحركة الادبية القومية وان نحاول توضيح ما لتلك الحركة من خصائص أصيلة ، وبالاختصار ، ان نقدم صورة موجزة للاداب العربية المغربية .

---

4) لقد أبدى الاستاذ هوداس نفس الملاحظة في التنبيه الذي استهل به ترجمته للروض الهتون ، حيث قال : « كيفما كان الامر فان المسلمين ، عندما يتكلمون عن وطنهم ، يكونون أقرب الى الصدق من المؤلفين الاوربيين » .

ينبغي ، قبل كل شيء أن نتيقن من وجود تلك الآداب العربية المغربية وان نحدد ماهيتها .

هل يحق لنا أن نصف « بالمغربية » قسما ، مهما كانت أهميته ، من الآداب العربية الاسلامية التي كان منشؤها وتم تطورها في العالم الاسلامي المترامي الاطراف ؟

ولا غروة ان السلك الاصيل الذي ينتظم اجزاء تلك الاداب هو اللسان العربي ، ذلك اللسان الذي نزل به الوحي : « قرآنا عربيا غير ذي عوج » ، ولكن هل يجوز لنا أن نعتبر « مغربية » تلك الآداب التي كان مهدها المغرب الاقصى ذا الموقع الجغرافي المنعزل ، والذي تأصلت فيه ، منذ زمن بعيد ، مظاهر خاصة ؟

ومن البديهي أن يكون الجواب عن هذا السؤال بالسلب . لقد سبقنا عدد لا يستهان به من البحاثة الى توضيح ما كان للعلوم الاسلامية ، في جميع العصور ، من حظ عظيم وقسط وافر في مجالات الآداب العربية ، وبالفعل فكلما القينا نظرة على مجموعات المؤلفات العربية المحفوظة في الخزانات الشرقية والغربية ، فاننا نجد ذخائر ثرية من الكتب التي صنفت لتمجيد الاسلام ودراسة اللغة العربية ، لغة القرآن : فمن تفاسير لكتاب المبين الى شروح لسنة النبي الامين ، الى تفاصيل خاصة بسيرته وسيرة صحابته ، الى مدونات فقهية ، الى معاجم لغوية بما يتبعها من شروح نحوية وصرفية . والشيء الذي لا مراء فيه هو أن الادباء العرب اخذوا ، منذ القرون الاسلامية الاولى يخصصون الكثير من مجهوداتهم للاهتمام بالمسائل النحوية والفقهية وكأنهم قصروا نشاطاتهم على توضيح الاصول التشريعية وفك المعضلات اللغوية .

نعم فاننا لا نعرف قطرا من أقطار العالم الاسلامي لم يسهم علماؤه، خلال فترة من الفترات التاريخية المتتالية ، في توسيع نطاق الدراسات

الاسلامية واغناء مضامينه الثقافية . وان أدنى إطلاع على أسماء البلــدان التي يتحلى بالانتساب اليها اعلام الآداب العربية لاكفى شاهد علـــى ذلك ، فاننا نجد من بينهم المنتسبين الى بلدان تشملها مفاوز افريقيــا المحرقة ، والى أخرى تضمها سهول ايران الجليدية ، كما نجد من بينهــم رجالات تنم مناسبهم عن أصول بربرية مغربية .

انه لمن مزايا الاسلام الجديرة بالتقدير ان كانت فتوحاته المتوالية في اراضي مترامية الاطراف ، مواكبة بفتح قرائح سكانها الاصليـيــن للاضطلاع بتلك الابحاث ، الجافة بعض الشيء ، المتسمة ، على الدوام ، بالنزاهة والموضوعية ، والتي قد مر على الشروع فيها ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا ، ولا زالت تستأثر بالاهتمام والاعتناء .

وعليه فما كاد الاسلام يستتب بالمغرب حتى هب من أهله رجـــال اعتكفوا على دراسة العلوم الاسلامية ابتغاء مرضاة الله ، ورغبة في حسن الثواب ، بحيث لم تنقض عقود من العهد الوسيط حتى ذاع صيت البعض منهم ، وسار بذكرهم الركبان ، رغم ان الاندلس كانت اذذاك هي الحاملة لمشعل الثقافة والعرفان .

ان الامبراطورية المغربية لم تكن في ذلك العهد بادية المعالم ، ظاهرة الحدود ، اذ ان اسبانيا وافريقيا الشمالية حتى صقلية كانت تكون وحدة سياسية ، الشيء الذي يجعلنا نستنتج انه اذا كانت هناك حركة أدبية افريقية أو اندلسية ، لم يكن ما يمكن ان تعتبـــر حركة أدبية مغربيـــة مستقلـــة .

لقد اخذت ، في تلك الفترات ، مجالات الآداب العربية تتسع حتـى شملت ، بفضل بسط النفوذ الاسلامي على أقطار العالم الاوربي ، وبفضل التفتح الحضاري والفني ، معارف خارجة شيئا ما عن المواد الاسلاميــة الصرفة ، كالطب والفلك والعلوم الرياضية ، وبدأ ينتشر الاهتمــام

بالفلسفة مع التمسك بالاصول العقائدية ، كما أخذ نجم الشعر يتلالا أكثر فأكثر حتى كاد يغطي ما كان لشعراء الجاهلية من شهرة واعتبار .

كان العالم الاسلامي الغربي اذذاك يزخر بالنشاط ، وكانت الاندية العلمية ، من غرناطة الى فاس ، ومن فاس الى تونس مزدهرة ، تتنافس فيها القرائح : اذذاك بلغت الحضارة المغربية أوجها وتلالات نجوم الفكر الاسلامـي .

ولكن لم يكد القرن الخامس الميلادي يشرف على الانقضاء حتى خمد النشاط بل ران الركود خصوصا في الاندلس ، اذ اضطر العديد مـن المسلمين الى مغادرة عواصمها وثغورها ، مهاجرين الى العدوة الافريقية ، فكان ذلك من الاسباب التي أدت الى تكوين المدرسة الادبية المغربيـة واكتمال خصائصها ، وتوطدت دعائم تلك المدرسة بعد أن تراخت الروابط التي كانت تصل هذه البلاد بالمراكز الفكرية الشرقية .

ترددت أصداء تلك المدرسة ونما صيتها لا في فاس وجامعتها فحسب، ولكن حتى في الزوايا التي كانت منبثة في مختلف انحاء القطر . ونتاجها، خلال العصور الحديثة هو الذي عزمنا على تسميته مع شيء من التجاوز ، بالادب العربي المغربي .

اننا اليوم على علم بالاسباب التي نتج عنها ، بالمغرب. تقويض عروش الملوك البربري الاصل ، وجعل أزمة الحكم به في أيدي الدولـة الشريفة ، التي عرفت فيما بعد ، بالدولة السعدية لتمييزها عن الدولـة العلوية . ومن تلك الاسباب الحروب المتوالية التي شنها ملوك فاس علـى أمراء تلمسان وغرناطة ، وترحيل أمراء الاندلس عن مواطنهم ، وبوجـه خاص ، حركات المقاومة ضد غارات المسيحيين على الحدود المغربية ، وكذا الدعوات الى الجهاد برا وبحرا ، التي كان يحض عليها المرابطون ومشايخ مختلف الطوائف الطرقية ، وآخر الامر اللجوء الى الاشراف القارين بالمناطق

السوسية للقيام بصد هجمات البرتغال والاسبان والاطاحة بأولئك الملوك البربريين الذين تبين عجزهم عن محاربة النصارى المحتلين للثغور المغربية والمقاومين لاساطيل البحرية .

في تلك الفترة التاريخية كان المغرب يعتبر آخر ملجأ للاسلام بالاقطار الغربية ، وفي تلك الفترة كذلك بدأت تقل علاقاته بباقي بلدان افريقيا الشمالية لان الاتراك كانوا أخذوا ينشرون عليها نفوذهم (5) ، ولهذا يمكننا ان نقول ان المغرب الاقصى أقام شخصيته وبنى وحدته السياسية والترابية في ظروف شملها خضم من الفوضى ، لان منذ ذلك الزمن ، لم يحدث على حدوده تغيير يذكر .

ان الحركة الدينية ، التي أشرنا اليها ، نشأت وترعرعت في الزوايا والربط التي كانت تؤسس على بعد من الحواضر ولكن بقرب ضريح من أضرحة بعض الصالحين أو شيوخ الطرق الصوفية ، ولم تلبث تلك الزوايا والربط ان أصبحت معاهد للفئات من المريدين المتشوقين للحياة الروحية ، او الطلبة المتعطشين للمعرفة ، ولم يمض عليها زمن طويل حتى باتت تنافس ، كمراكز تعليمية ، مدارس فاس وجامعة القرويين .

ان هذه الجامعة التي ذاع صيتها وشع نورها طيلة ازدهار الدولة المرينية ، والتي كانت المركز العظيم الوحيد لنشر الثقافة ، أصبحت ، في مستهل العصر الحديث ، خافتة الصوت (6) ، وهي وان كانت استرجعت،

---

5) ذكر الاستاذ كور تفاصيل هذه القضية وكذا الاحداث التي كانت بين الاشراف والدولة في كتابه : **استقرار الدولة الشريفة بالمغرب** (المؤلف).

6) كانت أوربا ، قبل استقرارنا بفاس ، تبالغ في تقدير قيمة هذه الجامعة اذ كان يعتقد انها مركز لدروس تشحذ العقول وتنير السبل . أما خزانتها فان الفهرست الذي نشره (1918) الاستاذ الفرد بال *A. Bel* قد خيب ظن الكثير من المستشرقين . فان المؤلفات الموجودة بالمكتبات الخاصة او الحبوسية تحتوي على ذخائر أعظم قيمة وادعى للتقدير ، بيد أن خزانة القرويين لم تفتأ منذ زمن سحيق ، معرضة للنهب ، واعز ما بقي بها من الكتب ذات الشأن التي أخطأتها يد العابثين ، هي نسخة من كتاب العبر لابن خلدون نص على تحبيسه المؤلف نفسه (رقم 1266 من فهرست بال) (المؤلف).

فيما بعد ، قسطا من نفوذها وازدهارها ، فانها لم تستدرك أبدا تلك المرتبة العالية التي كانت جعلت منها منذ أمد بعيد وعن جدارة واستحقاق « منبع العلم وجوهرة المغرب (7) ، فان العلوم التي كانت تلقن اذذاك بجامعة فاس او بالزوايا في مختلف المناطق المغربية ، أخذت تسم أدباء البلاد وعلماءه بسما واحدة ، وهي سيما لم يطرأ عليها تغيير ، فيما توالى بعد من العصور ، وذلك لان البرامج والكتب المدروسة بقيت هي هي. وها قد مرت أربعة قرون ولم يقع اي تعديل او تطور سواء في الحياة الفكرية أو في الاحوال المعاشية .

فان أجلى الخصائص التي ينطبع بها المغرب الحديث هي النفور من التغيير .

ففي أوربا نعرف ان كل من يرغب في تشخيص صورة حقيقية عن مجتمع جيل من الاجيال التي انقرضت ولو منذ عهد جد قريب ، لا بد له من أن يستقريء ويحلل جميع الوثائق والآثار والظروف المتعلقة بذلك الجيل ، وأما في المغرب فان المستطلع لا يلبث ان يتأكد أنه يكفيه أن يفتح عينيه وأذنيه على ما يروج حوله ليعرف الحالة الاجتماعية التي كان عليها هذا البلد في العصور السالفة ، كما يتأكد ان جولة ساعة في أزقة فاس وأسواقها كثيرا ما تكون أوفر فائدة مما قد يكتسبه من معلومات في هذا الصدد ، حينما يقضي يوما كاملا متصفحا المراجع في مكتبة من المكتبات وما سبب ذلك ، فيما أرجح ، الا لان المغرب بلاد جد محافظ وبطيء التطور في جميع مجالات حياته ، ويكفينا للاقتناع بهذه الحقيقة ان ندرك ان الصورة التي رسمها ليون الافريقي (الوزان الفاسي) في كتابه (وصف افريقيا) « لا زالت أصولها شاخصة الى الآن لم يغير الدهر منها شيئا كثيرا ، وان الناظر اليها اليوم سرعان ما يشعر وكأنه يرجع أدراجا الى عهود فاس القديمة "ويشاطر أهلها الحياة برهة من الزمان »

---

7) القرويين ودستاذيلها لعبد الحي الكتاني — (بال : الفهرس ص 4) .

فان الاثنوغرافي الذي يقصد فاسا اليوم يجد نفسه أمام معرض لا نهاية له من التقاليد العتيقة ، وان المؤرخ لا يخاف أن يخطأ في توقيت احداث الماضي لان ذلك مبسوط أمامه يشاهده مشاهدة عيان ، لا يتطلب منه تخمين ولا تأويل .

واذا كان هناك وجه لم تتغير ملامحه العامة منذ اربعمائة سنة ، فذلك وجه العالم المغربي : فاننا نراه اليوم متأبطا لبدته ، يسير سيرا وئيدا في الازقة الضيقة القريبة من جامعة القرويين ، على نفس السمت الذي كان عليه نظراؤه في القديم ، فانه لم يتعلم ولا نراه يعلم غير ما كان يتعلم ويعلم اسلافه ، ويكفي أن نستفسره عن حاله وعن معلوماته لتكون لنا صورة دقيقة عن المعارف التي كانت تنير عقولهم وتدعو الى تقديرهم .

يمكننا أن نقول ان لقب العالم كان « وراثيا » لاننا كثيرا ما نلاحظ أن مؤلفي الكتب التي ظهرت بالمغرب على مدى قرنين او ثلاثة ، ينتمون ، في غالب الاحيان ، الى شجرة أسروية واحدة ، الشيء الذي يجعلنا نقدر ان بيوتات احتكرت العلم تتوارثه افرادها خلفا عن سلف على مر عصور وأجيال ، وسيتأتى لنا ان نترجم في الفصول التالية لبعض أعيان تلك البيوتات التي لا زلنا الى يومنا هذا نرى علماء من سلالتها يعتزون بالانتساب اليها ويحظون بهالة من الجاه والاحترام .

لن نطيل الكلام عن الطريقة التعليمية التي وجدنا المغرب يتبعها عند حلولنا به ، سيما وان تلك الطريقة لا تكاد تختلف عما هي عليه بالجزائر وتونس حيث تسنى لنا أن نتعرف عليها عن كثب : فالكتاب (او المسيد) هي المرحلة التعليمية الاولى في الاقطار الثلاثة ، والقرآن هو أول ما يعني الاطفال بحفظه للتعود على القراءة وترويض الذاكرة ، تلك الذاكرة الطيعة العجيبة التي لا نملك معها الا أن نصدق ما يحكى في جملة أخبار القرون الاسلامية الاولى عن الرواة وعما كانت تفيض به حافظتهم من منظوم ومنثور .

هذا وقد لا يكون من نافلة القول أن نشير الى مختلف المستويات التعليمية المعروفة الآن بالمغرب وان نذكر ، ولو باختصار ، « المصنفات » المعتمدة ، تلك المصنفات التي قلما تخلو منها مكتبة من المكتبات المغربية وهي مكتبات يتيسر فيها للباحث أن يضع يده على ما لا زال منها في حيز المخطوطات وهو جدير بالدراسة والتحليل .

ان الطفل المغربي الذي يتوق ، نظرا لما تتمتع أسرته من جاه ومال أو تأبية لرغبة حافزة أن يتابع دراسته بعد تخرجه من المدرسة القرآنية (أي المسيد) قلما يكون زاد على « حفظ » القرآن وترديد بعض القواعد النحوية البسيطة ، ولذا فاننا نراه يقبل أول الامر على إستظهار متن **الاجرومية** وأرجوزة **المرشد المعين** ، وهما من الامهات ولابد من استيعابهما للالمام بالمبادىء الاولى في النحو والعقيدة الاسلامية .

فاللغة والدين هما المعينان اللذان يجب على كل طامح في الحصول على لقب « عالم » ان يرتشف منهما ، بل ان يتضلع فيهما ، وذلك هدف لا يتحقق الا بالجلوس ، صباح مساء ، في حلق الشيوخ المتبحرين في العلم ، سواء في المساجد أو في الزوايا والا بالمواظبة على السهر ، الليالي تلو الليالي ، لاستذكار ما يسمعه في النهار من دروس ، واستحضار العبارات التي يرددها شيوخه .

ان الاستاذ دلفان (8) ‹ *Delphin* › قد بين منذ مدة ، في دراسة متعلقة بجامعة القرويين ، قائمة الكتب المعتمدة لكل مادة من المواد الملقنة، الا انه توسع فيها بعض الشيء بحيث لا يمكن اعتبارها قائمة نموذجية . ولذا قمنا ببحث خاص في هذا المجال فتبين لنا ان الكتب المدروسة الآن في معاهد مختلف المدن المغربية محصورة العدد واشهرها :

---

8) انظر مجلة الجغرافية والحفريات (وهران مجلد 8 ص 93 — 205) (المؤلف) — ذكرت مراجع أخرى ص 13 من النص الفرنسي (المعرب) .

النحو والصرف : الاجرومية وشرحها للازهري ،**الالفية ولامية الافعال** لابن مالك بشرحي المكودي والحرق (وبحرق) **ونظم الجمل** للمجراد بشرح الرسموكي

البلاغة : الشرح المطول للتفتزاني على مختصر القزويني **لكتاب** السقطي وحاشية الجرجاني السيد .

الدين والاصول : جمع الجوامع للسبكي بشرح جلال الدين المحلي وحاشية كمال الدين بن أبي شريف .

ويعتبر من الضروري ، في هذا الصدد ، استظهار **ألفية العراقي** في علم الحديث قبل الاعتكاف ، سنين متوالية ، على دراسة كتب السنن **كموطأ مالك** ، و **صحيح البخاري** و شرح **النووي** على مسلم ، و **الشمائل** للترميدي **والشفا** للقاضي عياض .

واذا كان الطالب يرغب في خطة القضاء فلا بد له من أن يحفظ ، عن ظهر القلب ، **تحفة الحكام** ، لابن عاصم ، **ولامية الزقاق** ، وان يقرأ على الاشياخ المشاركين **رسالة ابن أبي زيد** القيرواني بشرح ابي حسن علي الشاذلي ، ومختصر خليل بشرح الخرشي والزرقاني وكذا شرح ميارة على المرشد ، وعقيدة السنوسي الكبري ، والوسطي والأصغرى بشروح وحواشي الدسوقي وان يختم كل ذلك بدراسة **المقنع للمرغيتي** ، ومباديء **الحساب في مختصر** القلصادي و **منية الحساب** لابن الغازي .

ومتى قطع الاديب المغربي هذه المرحلة الواسعة المدى بسلام ، فانه يكون مؤهلا « للمشاركة » ويكفيه أن يتصدر بدوره لتعليم طائفة من أبناء الجيل الصاعد ، لكي يتحلى بلقب « العالم » فيحظى باحترام الناس وتتيسر له وسائل العيش الرغيد .

هذا وكثيرا ما يبدي الطالب حرصه ، في فترة من فترات طلبه للعلم أو نهاية المطاف ، على نيل اجازة من شيوخه وهي بمثابة اذن برواية ما

تلقاه منهم ، وترخيص بالصلاحية « للمهنة التعليمية » ، الا أنها لا تحمل مصادقة حكومية اذ المخزن المغربي لا يسلم للدارسين شهادات علمية ، وكذلك كان الامر ، الى عهد قريب في ، البلدان الاسلامية الا أن الدوائر الحكومية غالبا ما تشمل أهل العلم بحسن الرعاية ، وقد تخصص لهم الاوقاف منحا شهرية زهيدة ولكنها مشرفة ، من غير ان تفرض عليهم القيام بدروس معينة او تطبيق برامج تعليمية محددة .

ان الاجازات التي حفظتها لنا الايام مصادر ببلوغرافية جد مهمة ، والدليل على ذلك ، الدراسة التي قام بها الاستاذ ابن شنب ، سنة 1907، بمناسبة اجتماع مؤتمر المستشرقين الرابع عشر ، والتي نشرت تحت عنوان : « دراسة متعلقة بالشيوخ المذكورين في اجازة الشيخ عبد القادر الفاسي

ومن جهة اخرى فاننا نجد عددا وافرا من العلماء المغاربة اهتموا بوضع فهارس شيوخهم ، وهي وثائق مفيدة تمكن من تحديد المراحل الخاصة بتدريس العلوم الاسلامية ، الا أنها تهم في غالب الاحيان ، علماء كرسوا معظم حياتهم لطلب العلم ونشره بيد ان رجال الطبقة المتوسطة من العلماء ينقطعون عادة عن الطلب في أواخر العقد الثالث من حياتهم ليسعوا في الحصول على وظيفة رسمية او ليشتغلوا بالتجارة او الفلاحة . ان أبا القاسم الزياني الذي تولى خطة الوزارة عدة مرات (في القرن الثالث عشر الميلادي) ، واهتم خلال الفترات التي ابعد فيها عن البلاط ، بالدراسات التاريخية ، اخبرنا في كتابه **الترجمانة الكبرى** انه انهى تعليمه بفاس في سن مبكر من عمره ، حيث قال :

«.. ولما بلغت مبلغ الرجال ، وحفظت كلام الله عز وجل على وجه الكمال ، وطمحت نفسي لقراءة العلم الشريف ونسخ ما احتاج اليه من كل شرح لطيف اول ما قرأت علي شيخنا الفقيه سيدي احمد بن الطاهر

الشرقي الجرومية و السنوسية وابن عاشر . وقرأت الرسالة على شيخنا سيدي الطيب القادري بمسجد الاندلس ، ثم حضرت تشقيق الالفية بمدرسة الصهريج عند سيدي عبد القادر بوخريص مع ولديه ، ثم الرسالة بمجلس واحد ، ثم صرت أحضر درسه مع الطلبة بالمدرسة في التفسير ، وخليل، والالفية ، ثم لازمت درس أبي حفص سيدي عمر الفاسي لخليل في القرويين ثم مختصر السنوسي ، ثم كنت أحضر مجلس شيخنا سيدي محمد بن ابراهيم لخليل بمدرسة العطارين ،، ثم لازمت درس الفقية سيدي محمد بناني الى أن أكملت نسخ حاشيته على الزرقاني ،، الى أن كان عام تسع وستين ومائة والف (1755 ـ 1756) هـ. وسني ذاك ثلاث وعشرين سنة » (9) .

من البديهي أن المؤلفات المتداولة تعكس بوضوح خصائص هذه الثقافة ذات الطابع الاسلامي ، ولذا قلما نعثر ، ونحن أمام نتاج القرون السابقة، على مجهود أدبي ذي اتجاه شخصي مبتكر ، وبات هم أغلب المصنفين يهدف الى تيسير فهم تلك الكتب المتضمنة لحقائق العلوم الاسلامية ، فتوفر عدد الشروح والحواشي والمختصرات التي ليس المقصود منها الا القاء أضواء كاشفة على محتوى كتب شيوخ اجلاء وفقهاء أفذاذ قلما يجود الزمان بمثلهم .

يبدو أن الحركة الدينية التي حمست ، بالمغرب ، النفوس ضد الغارات المسيحية ، وكذا الزوايا الطرقية والصوفية ، لم تكن لترضى على الادباء المهتمين بالمواضيع الدنيوية ، كالمدح والفخر اللهم الا اذا كان ذلك لاعلاء شأن الاسلام أو للتنويه بالصالحين والاولياء .

---

9) نقلت هذا النص من كتاب الترجمانة الكبرى (ص 56 ـ مطبعة فضالة 1967) (المغرب).

نعم ، فان بعض الملوك قد افسحوا مجالسهم للادباء واغدقوا عليهم الصلات فازدهرت في عهدهم الفنون الادبية الا أن هذه الحيوية قلما كان يمتد أثرها الى ما بعد وفاة أولئك المشجعين ، وقلما يتجاوز عاصمة من عواصم الملك .

ان المناقشات حول الابحاث النظرية لم يكن مسموحا بها ، وأما التعاليم الصوفية فكثيرا ما كانت تتفتح لها بشوق ولهف قلوب المتعطشين للعيش في بحبوحة الحياة الروحية .

وخلاصة القول فأن الثقافة الاسلامية ظلت مهيمنة على جميع الاقطار التابعة للديانة المحمدية الا أنها لم تنف في طريق الرقي ولم تخنق نتائج العلوم الاوربية .

ومهما يكن فان تلك الثقافة كانت بالمغرب راسخة في العقول والنفوس ، وكان الاعتناء بفهم وتفهم العقيدة الحنفية والشريعة الاسلامية ، الى أواخر القرن التاسع الميلادي ، يستحوذ على كل نشاط فكري ، ولم يكن يتأتى الاشتغال بالعلوم الدنيوية للمؤرخين الذين يكرسون جهودهم لدراسة ماضي وطنهم ، ولذا يمكننا أن نقول ان التارريخ السياسي والديني والادبي هو المادة الادبية الوحيدة التي تصطبغ بصبغة مغربية محضة ، وقد يحق لمغاربة هذا الجيل والاجيال المقبلة ، ان يعتبروا ذلك الادب التاريخي من أمس الوان التراث بكيانهم وأصالتهم ، وان يعتزوا به . واما الاوربيون فيكفيهم ان يحددوا عناصره ومقوماته ، والا يشغلوا أنفسهم بالبحث عما ليس فيه .

القسم الأول

* *

مفهوم التاريخ

الفصل الأول

★ ★

المغاربة والتاريخ

(1)

صرح الكتاني في مقدمة كتابه **سلوة الأنفاس** (1) بأن المغاربة قليلو الاعتناء بالتاريخ ، وأكد تصريحه هذا ، الذي قد يستغرب أن يفوه بمثله عالم من أكابر علماء فاس ، بل الذي قد يستوجب لصاحبه الانكار والعتاب من لدن معاصريه ، للمزه أياهم بالنقص والاهمال ، **أكده بحكم** مماثل أورده **اليوسي** في **محاضراته** (2) ، وذكر **محمد العربي الفاسي** في **مرآة المحاسن** حيث قال :

« ،،، كم من عالم عرف برجاله وأوسع الخطو في مجاله ،،، ولم يكتفوا بما أدوا من الواجب ، وأبدوا من ذلك دون حاجب ، حتى أزروا ،، بمن قصر عن أدائه أو قصر في ابدائه ، ووسموا المغاربة بالاهمال ، ودفنهم فضلاءهم في قبري تراب واخمال ، فكم فيهم من فاضل نبيه طوى ذكره عدم التنبيه، فصار اسمه مهجورا كأن لم يكن شيئا مذكورا » (3) .

---

1) ج ا ص 3 (قلة اعتناء أهل المغرب بالتاريخ) .

2) ص 59 من المرجع المذكور .

3) ص 4 طبعة فاس .

ان عددا لا يستهان به من الكتاب المغاربة أفصحوا ، في فترات تاريخية مختلفة ، عن هذه الظاهرة ، واذا ما كانوا أقدموا على استنكارها بكامل الوضوح ، فما ذلك الا لاقتناعهم بإعراض العلماء المغاربة عن الاهتمام بماضي بلادهم اعراضا لا مثيل لـه .

والحقيقة انه يكفينا ان نسأل جماعة من رجال الفكر المشهورين بالاضطلاع في العلم والمعرفة ، لنقف على جهلهم المطبق للكثير من أحوال أسلافهم . فانك قد تجد نفسك أمام عالم ممن تزدهي بهم المحافل الادبية ، واعترف لهم معاصروهم بالتبحر في الثقافة لانه ، مثلا : « القى محاضرة حول نقطة باء « بسم الله » (4) فلا تلبث ان تدرك انه لا يعرف من تاريخ بلاده الا ان « العلويين خلفوا السعديين » لان ذاكرته التي تركزت فيها معلومات جمة ، لا تساعده على ضبط الترتيب الزمني للدول التي توالت على المغرب ، فانه قد لا يكون يجهل ان ادريس الثاني هو الذي بنى مدينة فاس ، وان المولى اسماعيل هو الذي شيد قصور مدينة مكناس ، الا أنه قد يكون من باب الاعجاز ألا يعتبر ذينك الاميرين متعاصرين !!

اذا كان العالم المغربي لا يعير اهتماما كبيرا لمعرفة الاحوال التاريخية وتسلسلها الزمني ، فما ذلك الا لانه يعتبر التاريخ من المسائل الدنيوية وان الاشتغال به من باب اللهو والعبث .!

ومما يزيده التشبث بهذا الرأي هو انه لم ير ، مدة طلبه للعلم ، شيخا من شيوخه حثه على دراسة ماضي المغرب ، سواء السياسي منه أو الادبي ، وان البرامج التعليمية المغربية لم تكن تعتني بالمظان التاريخية . فكيف ، والحالة هذه ، الا يولي ظهره لمادة لم تخصص لها ولو ساعة واحدة من تلك الساعات العديدة المخصصة للنحو او للفقه مثلا ؟

---

4) نزهة الحادي ط هوداس ص 132 من النص العربي و 219 من الترجمة .

وبناء على هذا فان المؤرخين القلائل الذين عاصروا أولائك العلماء الجامدين كانوا بدون شك ، يعدون من الثائرين أو على الاقل ، من الادباء المشكوك في صلاحهم وخيارتهم ، وذلك لاعراضهم عن المجالات التعليمية المقررة ، واقبالهم ، ولو لمدة قصيرة ، على المواضيع التاريخية ، وعليه فاذا ما استثنينا الزياني ، فاننا لا نكاد نجد مؤرخا لم يخصص قسطا من حياته للدراسات الاسلامية ولم يقم بتحرير شرح او حاشية او غير ذلك ليسترضي أولائك الذين سيقبلون على مطالعة تآليفه التاريخية ويبين لهم انه لم يحد عن الطريق المستقيم .

وبالاضافة الى ذلك فان المؤرخين المغاربة لا يغفلون في غالب الاحيان عن تصدير مصنفاتهم بحجج تثبت حسن نيتهم وتؤكد فوائد التاريخ ، معتمدين في هذا الشأن على مصادر أشتهر اصحابها بمتانة ديانتهم ورسوخ عقيدتهم . وهكذا نرى احمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج (5) ومن بعده اكنسوس في الجيش العرمرم (6). يكرران في المقدمتين قولا يؤكد فائدة التاريخ ومنسوبا للعالم الشهير ، جلال الدين السيوطي ، وهو : « الجاهل بالتاريخ راكب عمياء ، وخابط عشواء ، ينسب الى ما تقدم أخبار ما تأخر ، ويعكس ذلك ولا يتدبر » (7) .

يتجلى اهتمام المؤرخين بلفت الانظار الى قيمة مصنفاتهم ، بل باستمالة الناس الى مطالعتها ، في اهتمامهم بتخصيص جزء من مقدماتها للغض من الجاهلين للتاريخ وكذلك لتبيين فوائد ذلك العلم الجدير بان يتخذ محلا لائقا به ، ضمن العلوم الاسلامية .

---

5) ص 4 (المؤلف) .

6) ج 1 ص 2 (المؤلف) .

7) حققت النص من هامش كتاب الديباج ص 22 ط 1329 هـ (المعرب).

(2)

أكد اليفرني في مقدمة كتابه **نزهة الحادى** ان التاريخ يعد من « العلوم الشرعية» وان ذوي الافكارر النيرة من الكتاب « يقدمونه » (8). ومثله في الفائدة ، بالنسبة للزياني والناصري ، مثل علم الانساب لدى العرب : « وكفاه شرفا ان الله تعالى شحن كتابه العزيز من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية بما أفحم به اكابر أهل الكتاب ،، ثم لم يكتف تعالى بذلك حتى امتن به على نبيه الكريم وجعله من جملة ما اسداه اليه من الخير العميم (9).

لا توجد مقدمة (10) لم يذكر فيها صاحبها آية قرآنية ، او حديثا شريفا ، للاستدلال على ما في التاريخ من فوائد جليلة ، وكثيرا ما تكون طريقة ذلك الاستدلال صبيانية أو على الاقل ، لا تتسم بالابتكار اذ كلها ترمي الى معنى واحد وهي ان القرآن وكتب السنة هي المصادر الاولى للتاريخ الاسلامي ومن أجل ذلك لا يجمل بذوي الفضل والدين أن يذموه او يستنقصوا قيمته (11) .

وبجانب هذه الحجج الدينية فان هناك وقائع مشهورة تثبت فائدة التاريخ ولا يغفل الاخباريون وكتاب التراجم المغاربة عن ذكرها في صدور مؤلفاتهم ، من غير ان يدخلوا عليها أي تغيير في الاسلوب او في المضمون ، وغالبا ما تكون من جملتها واقعة رئيس الرؤساء التي استشهد بها كتاب

---

8) طبعة هوادس : النص العربي ص 2 الترجمة ص 3 .

9) تصرفت شيئا في ترجمة هذه السطور فاتت بنص الجملة الواردة في الاستقصاء (ج أ ص 5 طبعة الدار البيضاء) التي اكتفى المؤلف بالاشارة الى فحواها واضاف اليها في التعليقين 1 و 2 من ص 25 بعض المصادر التي تشتمل على مثل هذه الحجج المستدل بها على فائدة التاريخ .

10) أي من المقدمات التي صدرت بها كتب التاريخ .

11) من المعلوم ان كتب التاريخ الاولى هي كتب المغازي (المؤلف

غير مغاربة منهم ياقوت (م 626 هـ 1229 م) في **معجم البلدان** وابن خلكان (م 681 هـ 1282 م) في **وفيات الاعيان** والصفدي (م 764 هـ 1363 م) والسيوطي (م 911 هـ 1505 م) ، (12) واستشهد بها من بعدهم كتاب مغاربة ، منهم أحمد بابا في **نيل الابتهاج** (13) ومحمد الدرعي في **الدرر المرصعة** (14) والقادري في **نشر المثاني** (15) والزياني في **الترجمان المعرب** (16) واكنسوس في **الجيش العرمرم** (17) والناصري في **الاستقصا** (18) وابن الموقت في **السعادة الابدية** (19) .

والبكم نص الواقعة كما ذكرها خليل بن ايبك الصفدي في صدر معجمه **الوافي بالوفيات** (20) .

« .. من فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء (21) المشهورة مع اليهود ببغداد ، وحاصلها انهم أظهروا رسما قديما يتضمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باسقاط الجزية عن يهود خيبر ، وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب — رضي الله — ، فرفع الرسم الى رئيس الرؤساء وعظمت حيرة الناس في شأنه ، ثم عرض على الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي ، فتأمله وقال ، هذا مزور . فقيل له ، بم عرفته ؟ فقال :

---

12) حسب ما ذكره المؤرخون المغاربة انفسهم .

13) ص فاس ص 4 .

14) مخطوط في خزانة عبد الحي الكتاني .

15) ط فاس ج 1 ص 5 .

16) مخطوط سلا .

17) ط فاس ج 1 ص 3 .

18) ط القاهرة ج 1 ص 3 .

19) ط فاس ج 1 ص 7 .

20) نقلت هذه الواقعة من كتاب الاستقصا (ط الدار البيضاء ج 1 ص ص 4 (المغرب).

21) وزير القائم بامر الله العباسي علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة (عن الاستقصاء ط البيضاء) (المغرب).

« فيه شهادة معاوية ، وهو أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة ، وخيبر فتحت سنة سبع ، وفيه شهادة سعاد بن معاد وهومات يوم بني قريظة ، وذلك قبل فتح خيبر ، فسر الناس بذلك وزالت حيرتهم اهـ. »

ان هذه الواقعة لا تثبت في حقيقة الامر الا غلطة بسيطة في توقيت احداث تاريخية ولم يكن فيها ما يدعو الى اشهارها بهذه الصورة (22).

هذا ولابد ان نشير ، في هذا الصدد الى الجهود التي لم يفتأ يبذلها المؤرخون المغاربة ليضيفوا الى الحجج العامة السابقة ، المثبتة لفائدة التاريخ ، حججا أخرى مستخلصة من احوال البيئة القومية (23) واننا نجد من بينهم من يبرز اهتمامه بالتاريخ بما يكنه لبلاده من حب وقد أفصح (24) ابن عسكر عن هذه العاطفة في كتابه **دوحة الناشر** حيث قال : « ... وانما جعلته مختما بمشائخ المغرب لكونه وطني ومغرس شبابي ومعطفي » ولم يلبث أن أشفع ذلك بذكر حديث نبوي يرفع من شأن المغرب وورد نصه في صحيح مسلم ، وهو قوله (صلى الله عليه وسلم) : « لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » (25) ونحن نعرف ان الخاتمة التي كانت عليها حياة ابن عسكر لا تنبيء بشدة حبه لبلاده لانه مات ، (سنة 1578) ، في واقعة وادي المخازن وهو يقاتل أبناء قومه في صفوف الجيوش البرتغالية (26) .

---

22) اني استغرقت هذا الهوين من لدن الاستاذ بروفنصال !! (المغرب) .

23) انظر ما ذكره صاحب الاستقصا في هذا الموضوع (المقدمة) .

24) ص 23 ص 2 .

25) نفس المصدر ص 3 . وقد ذكر ايضا هذا الحديث اليفراني واكنسوس والشاطبي صاحب كتاب **الجمان في عجائب الزمان** (المؤلف) .

26) كان مواليا للامير السعدي محمد بن عبد الله الذي استغاث بملك البرتغال ضد اخيه عبد الملك (المغرب).

صدر بالمطبعة الحجرية الفاسية اخيرا كتاب عنوانــــه : **السعـــــادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية** كـرر صاحبـه محمد بــن **الموقت** ، في مقدمته ، كثيرا مما ورد في المصنفات التاريخية من كلام عــن فوائد هذا العلم ، وأضاف اليها حججا قد يكون رآها ذات صبغة فلسفيــة اذ تعمد فيها التمييز بين فوائد التاريخ الدنيوية وفوائده الاخروية حيث قال « من فوائد التاريخ الدنيوية ،، ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقفوا على سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس ،، ونظروا الى ما اعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها واعرضوا عنها واطرحوها ،،، واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميـل بعد ذهابهم ، وان بلادهم وممالكهم عمرت ، وأموالها درت ، استحسنــوا ذلك ورغبوا فيه وتابروا عليه ، وتركوا ما ينافيه ، هذا سواء ما حصل لهم من الاراء الصائبة التي دفعوا بها مضادة الاعداء وخلصوا بها من المهالك ، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك ومنها ما يحصل للانسان مــــن التجارب والمعرفة بالحوادث ، وما تصير اليه عواقبها ،،، وأما الفوائـــــد الاخروية فمنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلهـا وتتابع نكباتها على اعيان قاطنيها وانها سلبت نفوسهم ودخائرهم وأعدمت اصاغرهم وأكابرهم ،،، زهد فيها ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص ،،) (27) .



(3)

لاشك أن الابحاث التاريخية لم تكن تحظى ، في المغرب ، برضى أهل العلم ، ولكن قد يكون من الشطط ان نزعم انه لا توجد بهذه البـلاد كتـــب تاريخية مطابقة لسنن الادب أي « كلاسيكية » ، جديرة بالدراسة ، مــن

---

27) ط فاس ـ وقد خفي عن المؤلف ان هذا الكلام منقول عن ابن الاثير . (المعرب).

غير ان نعني بذلك انها كانت معتمدة في المدارس ، اذ البرامج التعليمية المتبعة لم تكن لتخصص حصصا لشرح كتب التاريخ ، كما كان عليه الامر في كل ما يتعلق بالمواضيع الاسلامية الصرفة .

عبر الاستاذ دلفان *(Delphin)* عن نفس الملاحظة حيث قال : « اذا كان التاريخ لا يدرس شفويا ، ومثله في ذلك مثل الجغرافية ، فان بعض الطلبة كانوا يدرسون في كتب الفت بالمغرب او خارجه » (28) واما القائمة التي زوده بها مخبره ، فان الكتب التي كانت تشتمل عليها تنم عن تبصر في وقع اختيارهم لها، اذ نجد من بينها ، من جهة ، مصنفات ابن الاثير والسيوطي ، ومن جهة أخرى ، كتب الزياني وحمدون بن الحاج .

والاهم من ذلك في نظرنا هو اننا نرى المؤرخ اكنسوس يذكر من تلقاء نفسه ، مجموعة من المصنفات التاريخية اعتبرها جديرة بالتقدير ، وان كان ، حسب ما نرجح ، لم يطالعها كلها ، وقال في مقدمة **الجيش العرمرم :** « فمن المؤلفين في التاريخ المشاهير ، الامام البخاري وابن الكلبي ، والذهبي والمسعودي ، وغيرهم مما لا يحصى ، هذا في العموم وأما فيما يخص قوما او أجيالا بأعيانهم أو دولة معينة دون غيرها فكثير أيضا كابن الرقيق في دول افريقية ، وابن حيان المؤرخ في الدولة الاموية بالاندلس ، وصاحب **دور الاثمان في دولة آل عثمان** ، (29) وكتاب **القرطاس** في دولة الادارسة ، (30) وابن خلدون في **بغية الرواد في دولة بني عبد الواد** ، والتنسي في **نظم الدرر والعقيان في بني زيان** ، وأحمد بن عبد السلام الجراوي في **صفوة الادب** في دولة الموحدين ، و **روضة النسرين في دولة بني مرين** ، والفشتالي في **مناهل الصفا** في دولة السعديين . (31)

---

28) في كتابه **فاس وجامعتها** (ص 36 فقرة 16) ومخبره هو ادريس بن ثابت (المؤلف).

29) **دور الاثمان في أصل منبع آل عثمان** لابن السرور محمد الصديقي المصري حسب ما ورد في **كشف الظنون** ص 745 (المعرب) .

30) قال ليفي بروفنصال في آخر هذه الفقرة ان كنسوس غلط فجعل **القرطاس** اسما للمؤلف ، وليس في النص العربي المنقول عن المخطط ما يؤيد لمزه هذا . (المعرب) .

31) أشار ليفي بروفنصال الى المصادر الاوربية التي ذكرت فيها هذه الاعلام وأهمها بروكلمان وهيار .

ان الكاتب اكنسوس هو ، حسبما ما يظهر ، الوحيد الذي ذكر لنا ، في قائمة خاصة ، المؤلفات التاريخية التي يمكن الرجوع اليها ، أما باقي المؤرخين فانهم غالبا ما يكتفون بان يسوقوا عرضا أقوال بعض أعلام العلم التاريخي المشهورين ، وذلك اما لتوكيد نظرية او رأي في شأن واقعة ذكروها في مصنفاتهم او لاقامة مقارنة سواء ان كانت تلك المقارنة مواتية أم لا .

ان كانت تلك الاقتباسات تساعد على معرفة المراجع التي اعتمد عليها المؤرخ ونقل منها ، بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، فانها تبين لنا كذلك ان مفهوم التاريخ بقي هو هو في أذهان المؤرخين خلال أجيال متوالية .

ومن الجدير بالملاحظة ، أن ذلك المفهوم المشترك لا تدرك ماهيته بكامل الوضوح لمن يستقريء الكتب المؤلفة بالمغرب .

ان كل المؤلفين المغاربة يتبادرون في التنويه بقيمة فن التاريخ وفي توضيح ماله من فوائد جمة ، ولكنهم قلما يعنون عناية مرضية بشرح مفاهيم التاريخ وتحديد ماهية ، من غير ان يلفوا أفكارهم في جملة كثيفة من المحسنات البديعة والتعابير الرنانة ، التي لا تيسر استيعابها وادراك معناها الحقيقي .

لقد حاول صاحب « الجيش العرمرم » (32) ان يحدد في مقدمته بعض تلك المفاهيم ولكنه لم يزد على ان لف ذلك في عبارات مسجوعة قليلة الفائدة حيث قال : « ،، فان النفوس والارواح لها بالاخبار السالفة انبساط واسترواح ، تدير في المجامع كؤوسها وتجلى على منصات المحاضرات عروسها ،.، والمتكفل بها هو التاريخ ،، ناهيك فنا يفيد موعظة وعلما ويمنح العقلاء لسانا وفهما تسمو اليه الهمم العالية ، وتحيا به الرمم البالية » !!

---

32) الجيش ج 1 ص 2 (نقلت النص عن المخطوط الذي بقسم الوثائق بالرباط رقم 965 د ص 2) (المغرب).

ومن جهة أخرى فان مؤرخين آخرين ، ومنهم ابن الموقت (33) اكتفوا بنقل الفصل الذي خصصه ابن خلدون في مقدمته للتعريف بفضل التاريخ والذي صرح فيه بقوله : اعلم ان فن التاريخ غزير المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ،، » .

يبدو أن وضوح ذلك الفصل قد أثار اعجاب الاخباريين المغاربة ولكن يبدو كذلك أن أولئك الاخباريين لم يكونوا يعتبرون ذلك المؤرخ الفيلسوف الواسع الافق قدوة لهم يسلكون مسلكه في البحث ، وينزعون نزوعه الى التحقيق . وان كانوا ، مع ذلك ، يعدونه من اعلام المغرب الذين يستطاب الاعتزاز بذكر مفاخرهم ، والتنويه بمحاسنهم.

كان من اللازم ان يبقى التاريخ معدودا من العلوم ذات الصبغة الشرعية التي لا يستنكر مضمونها لان المغاربة المعروفين بشدة المحافظة ، لم يكونوا ليحاولوا بناءه على أسس جديدة تنم عن خاصية ذاتية أو ميزة اصيلة ، ولا ليقدموا على تطوير مفهومه ، ذلك المفهوم الذي اتفق على احترامه كافة الكتاب العرب بالشرق وبالغرب .

ان لفظة التاريخ « تعني ، في اللغة العربية أول ما تعني « تعريف الوقت » وعليه ينبغي الا نعتبر كتب التاريخ أكثر من مجاميع احداث توافقت أوقات وقوعها .

ولا يخفى على احد ان هذا التعريف غير دقيق لانه يتسع للتاريخ الادبي والتاريخ السياسي وعلم الانساب وتراجم الاعلام من ذوي السلطان أو ذوي الصلاح ، ويتسع حتى لعلم الجغرافية لان المسلمين اذا ما وصفوا قطرا من الاقطار يرون من الضروري ان يتكلموا عن الاعيان الذين يعيشون فيه والبيوتات التي اشتهرت في ربوعه .

---

33) السعادة الابدية ج 1 ص 5

لقد حدد حاجي خليفة مجالات هذا المفهوم بصورة تمتاز بالدقة الايجاز وذلك في معجمه **كشف الظنون** حيث قال : وعلم التاريخ هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم الى غير ذلك ، وموضوعه أحوال الاشخاص الماضية من الانبياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء وغيرهم » (34) والظاهر ان هذا الترتيب وضع على هذا الشكل عن قصد ووعي ، للتنبيه على ان كتاب التاريخ يهتمون قبل كل شيء بتراجم الاعيان من مختلف الطبقات ، وغالبا ما يكون التاريخ السياسي آخر ما يعتنون به .

وعليه فلا ينبغي ، ونحن نتكلم على بلاد عرف أهلها بالاغراب في المحافظة على التقاليد والنواميس السلوكية ، ان نعجب من ميل مؤرخيه الى الاشتغال بسير المتقدمين من الاشراف والنبلاء سواء منهم الملوك والحكام الذين تعاقبوا على مسرح السياسة وكانت بأيديهم أزمة الامور الدنيوية ، او العلماء والصالحين المعروفين باخلادهم الى الحياة الروحية ، فكانوا في نفس الوقت اخباريين وكتاب تراجم ، سالكين المسالك التي سبقهم عليها المؤرخون في باقي اقطار العالم الاسلامي .

ومن المعلوم ان الملاحظات والاستنتاجات التي سنتصل اليها في بحثنا حول الحركة التاريخية بالمغرب ومجالاتها منذ اربعة قرون ، ستكون في جملتها ، مطابقة للتي قد تستخلص من دراسة باقي التاريخ الاسلامي .

---

34) طبعة فولجل ج 11 ص 95 ـ 96 (المؤلف) واعتمدت انا على الطبعة التركية فنقلت النص من باب «التاء» «تاريخ» وقد لاحظت خلافا طفيفا في ترتيب الاشخاص (المعرب).

الفصل الثاني

★ ★

الفنون التاريخية

— أ —

تاريخ الدول والسلالات المالكة :

ان من الحقوق التي كان يخولها الملوك المسلمون لانفسهم هو ان تدون أعمالهم ومآثرهم في التواريخ الرسمية ، لانهم كانوا يرتاحون لقراءة ما يمجدهم ويخلد ذكرهم ، ولان ذلك من شأنه ان يرفع منزلتهم ، لا في نظر شعوبهم فحسب ، ولكن في نظر الامم الاجنبية أيضا .

لقد كانوا يجزلون العطايا لمن يسجل محاسنهم ويحبر مفاخرهم ، وكان من الطبيعي ان يتزاحم الكتاب على أبواب قصور الحكام ليقدموا لهم نتاج قرائحهم رغبة في الحصول على الصلات او الوظائف المخزنية ، ومنهم من تزينهم المؤهلات المواتية والمواهب المناسبة ، ومن ينقصهم كل شيء الا الطمع والجشع آ

ليس لدينا معلومات تثبت أنه كان بالبلاطات المغربية مؤرخون رسميون اختيروا لكفاءتهم ومزاياهم الفكرية . ان الملك السعدي احمد المنصور الذهبي هو الوحيد ، حسب ما نعرف ، الذي حرص على ان يكون من بين موظفي دواوينه مؤرخ رسمي ، بيد ان غيره من ملوك البلاد كانوا يكتفون بتشجيع من يتغنى بفضائلهم وتكريم من يشيد بمحامدهم .

ولا غرو ، انه كان بالمغرب كذلك كتاب تصدروا تلقائيا لتسجيل مثالب الطاغين من ولاة الامور ، وللتنديد بمساويء المستبدين غير أنه من المحقق أنهم لم يفعلوا ذلك لتنوير العامة الاغمار ، ولكنهم فعلوه لاسترضاء الخاصة الناقمين على ذوي السلطة والمتربصين بهم دائرة السوء .

ومهما يكن فان الباحث قلما يعثر على مثل تلك الاهاجي لان الملوك ، الذين كانوا عرضة لها ، لابد أن يكونوا قد بذلوا كل ما في وسعهم لمحو أثرها خصوصا اذا لم يتمكنوا من القضاء على اصحابها .

وعليه فاذا كان من المتوقع ان نجد في المظان المغربية النوع الاول من التواريخ الخاصة بملوك وأمراء الدولتين ، السعدية والعلوية ، فانه قد يكون من العبث ان ننتظر الوقوف على نماذج من النوع الثاني لانها اما فقدت بالمرة واما لم يبق منها الا النزر القليل .

ولا حاجة الى القول ان هذا القسم من المؤرخين المتمتعين برضى الحكام يجافون النزاهة والصدق ، ولذا ينبغي ان نقرأ مؤلفاتهم بحذر شديد لانها مليئة بالتحريف ، وتكيل التملق بالمكيال الاوفى بحيث قد تجعل من أشد السلاطين فجورا وبطشا ، سلطانا مثاليا .

وبجانب هذا اللون من التواريخ ، توجد مؤلفات أخرى تتسم بالتحيز، ولكن لم يكتف أصحابها بمدح الجالس على العرش ، وانما أوردوا بعض التفاصيل عن الاحداث الهامة التي وقعت في عهده مع مقدمة عن اسلافه ، وأضافوا اليها بعض الاحصائيات التي لا تنكر قيمتها . ولذا ينبغي التمييز بين المؤرخين الذين يكلفهم السلطان رسميا بتحرير سجلات أعمالهم ، فيزودهم بالتوجيهات اللائقة ويغدق عليهم الصلات في مختلف المناسبات، وبين امثالهم ممن يقدمون من تلقاء أنفسهم على الكتابة ويهدون مؤلفاتهم للسلطان ، ذلك أن المؤرخين الرسميين ، ان صحت هذه التسمية ، يستطيعون عادة ، ولا نقول دائما ، أن يحصلوا على المعلومات فيتسنى لهم أن يدرجوا

في تواليفهم قوائم كاملة لاسماء الموظفين السامين من وزراء وكتاب وقضاة، وأخبارا ضافية عن الانتصارات والفتوحات ، وعدد العساكر ، وكذا تفاصيل عن التحصينات المقامة داخل البلاد وفي تخومها ، وعن اصلاحات المراسي التي تقصدها المراكب التجارية الاوربية ، ولا يغفلون ، بمناسبة كل حرب، ان يوردوا نصوص رسائل التهنئة التي وصلت ، والرسائل التي بعثت لمختلف الاقاليم أو الى الدول الاجنبية ، وغالبا ما يشفعون كل ذلك بوصف استقبالات السفراء الاجانب الذين وصلوا الى البلاط ، واعدادات البعوث التي أرسلت الى بلاطات الخارج ، اذ يرى المؤرخون في كل ذلك اشادة بعظمة الاسرة المالكة وبأهمية الحاشية ، وقد لا يفوتهم كذلك ان يذكروا نفقات الاسـرة .

ونحن عادة نميل الى الثقة بالكتابات التي يدونها كاتبها عند ما تكون الاسرة الحاكمة في أوجها أي عندما يكون صادقا في وصف أحوالها . واما اذا كانت تلك الاسرة منهارة مهددة بالفتن في الوقت الذي يكون فيه المؤرخ يدون أخبارها فاننا نميل الى الحذر منه والى اتهامه بالتحيز والتزوير لان التجارب المغربية اثبتت ان الملوك المحاطين برؤوس الفتنة ، المتوقعين حلول البوائق ، هـم الذين يحسون بالحاجة الى اشاعة فضائلهم ونشر محاسنهم لاحباط مساعي مناوئيهم وادحاض ادعاءات مقاوميهم .

ومن جهة أخرى فانه يجب على المؤرخين الذين يقدمون تلقائيا على كتابة تاريخ سلطان أو دولة ان يكونوا متحفظين في سرد الاخبار سيما اذا ما شرعوا في انجاز أعمالهم ، وسوق الهرج نافقة ، لان الملك الجالس على عرش غير ثابت القوائم كثيرا ما يرى في ثنايا الحقائق المسجلة طنزا أو تلميحا لمواطن ضعف الملكة ، أو يرى فيما حشد ثم الكاتب سما في دسم لابد أن يجازي صاحبه بالضرب او السجن أو القتل !

واذا ما كانت هذه المؤلفات لا تنطوي الا على الثناء والتمجيد فان رجال الفكر لا يلبثون ان ينظروا اليها بعين السخط ويعتبروها من سقط المتاع .

فهذه الكتب لا تحظى اذن ، في كلا الحالين ، لا برضى البلاط ولا برضى أهل العلم ، وقلما يحتفظ بها في المكتبات الخاصة أو في مستودعات القصور المخزنية .

اننا لا نرى في ضياع الكتب التي نصفها بعدم التحيز ما يستوجب التأسف والتحسر لاننا ، حتى اذا فرضنا ان البعض منها قد يكون محتويا لمعلومات مفيدة عما يجري في البلاطات من دسائس ومؤامرات ، أو حقائق مرة تتعلق بغارات تأديبية ضد الشاقين لعصا الطاعة ، قد يكون المؤرخون الرسميون ستروها فانها مضمنة لنوع آخر من التحيز السلبي الذي يهدف الى تجريد الدولة من كل مزية او محمدة تأييدا لناشري الاراجيف من الطامعين في الاستيلاء على أزمة الحكم .

وهنا يجدر بنا أن ننبه الى ان الكثير مما قلناه في شأن هذا النوع من التواريخ لا يخرج عن نطاق الافتراضات لانها مفقودة ، ولان الكتاب الذين سجلوا الاخطاء والعيوب والنقائص المنسوبة لاهل الحل والعقد قليلون جدا، ومن هذه القلة الشريف المولى الحسن ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، (1757 / 1789 م) الذي ، حسب ما يرويه كتاب جديرون بالثقة ، ألف كتابا مملوءا بالنقد واللوم المرير ولم يجد حرجا في تسجيل جميع ما شاهد من نقائص الاسرة الحاكمة التي ينتمي اليها ، ومنها أخطاء حكومة والده.

وثمة كاتب آخر ، سنتعرض له فيما بعد ، وهو أبو عبد الله محمد ابن عبد السلام الضعيف الرباطي الذي « أرخى العنان لقلمه » في كتابه **تاريخ الدولة العلوية الى عهد المولى سليمان** فسجل فيه كل ما بدا له قبيحا ، ومن المؤسف اننا لم نعثر على كتابه رغم استقصائنا في البحث عنه (1) عسى ان نجد فيه معلومات تسد ما بكتب التاريخ المغربي الحديث من فجوات تعمد المؤرخون المحترفون أهمالها .

---

1) **توجد منه** عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة (قسم المخطوطات) (المعرب) .

نعم فان هؤلاء المؤرخين كثيرا ما يعتمدون « نسيان » الحقائــق او « تحويرها » اذا ما رأوا أن الضرورة تدعو الى ذلك ، وهم من جهة أخـرى ، متيقنون أنه من السهل على القراء المتيقظين ان يكشفوا ما قصد « كتمانه » وقد أعرب المؤرخ السعدي ، محمد الصغير الافراني ، في كتابه **نزهة الحـادي** عما يحمل الكتاب على ذلك السلوك ، ويستوجب التغاضي عن هذا النوع من التحفظ حيث قال : « ... وقد ضربنا صفحا هنا عن مطاعن رأينا الاعراض عنها اولى اذ من شرط المؤرخ الا يتبع العورات ولا تهتك الاعراض » (2) ، وقال : « ... وتتبع ما وقع في ذلك يناقض غرضنا في هذا الكتاب مـن الاغضاء عن العورات والستر عن الفضائح وقد ألمعنا لك بما يكون دالا على ما وراء » (3) ، وقال في الفصل الاخير من كتابه : « ... ولقد تجنبنا التغالي في الذم في حق بعض من يستحقه منهم — (السعديين) — سترا للاعراض ورعيا لجانب الخلافة » (4— . ويبدو ان الافراني قد تنصل بلباقة مما قـد يوجهه له من انتقادات ولزات القراء المغرضون ، عند ما ساق في كاتبه رأي ابن السبكي في مهمة المؤرخ فأثبت ما يلي : « ... قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي ، رحمه الله ، في طبقاته : ان المؤرخين على شفا جرف هار، لانهم يستطيلون على أعراض الناس وربما وضعوا من الناس تعصبا أو جهلا او اعتمادا على نقل عمن لا يوثق بي ، قال : فعلى المؤرخ ان يتقي اللـــه تعالي » (5) (×) .

يتأكد مما تقدم ان تدوين التاريخ السياسي يتطلب من المشتغلين بـه قسطا وافرا من الحذر والحيطة لتحاشي المزالق وتجنب المعاطب ، وان ما

---

2) ص 9 من النص العربي المطبوع .

3) ص 158 من نفس المصدر .

4) ص 258 من نفس المصدر .

5) ص 49 من نفس المصدر .

×) يتجلى هنا ان في حكم الاستاذ نيقي بروفنصال على الافراني خاصة وعلى المؤرخين المغاربة عامة كثيرا من الحيف سيما وانه لم يأخذ من مقاطع النصوص الا ما يؤيد رأيه (المعرب.

نقوله عن مؤرخي الدولتين السعدية والعلوية ، ينطبق بصفة عامة على كافة المؤرخين الاقدمين الذين اعتنوا ، سواء في المغرب او في المشرق . بتدوين أخبار الملوك والامراء المسلمين ، وبهذه المناسبة يمكن لنا ان نستخلص ان المؤرخين المغاربة حذوا حذو سابقيهم من ابناء قومهم ، وكذلك من المشارقة ومن الاندلسيين ، فنسجوا على منوالهم فيما يتعلق بمضمون التاريخ وحتى في الحوليات والاراجيز .

وفي الختام يجدر ان نلاحظ ان أصحاب المدونات التاريخية يقتصرون على الاهتمام بالسلطة الملكية وما يحيط بها فحسب ، وانهم يهملون عن قصد تاريخ البلاد الداخلي الشعبي الذي يدور حول زوايا المرابطين و « الطرق » الدينية ، وقد يكون ذلك اعتبارا للرعاية والاكرام الواجبين لذوي الحكم ، ومراعاة للصراع الخفي والصريح بين السلطة المركزية الملكية وبين الرؤساء الدينيين ذوي النفوذ الواسع لدى عامة الناس .

واذا كان مؤرخو الاسر الحاكمة أهملوا ذلك الجانب من التاريخ ، فاننا نجده في كتب أخرى خصصت لتراجم الاولياء والشرفاء والعلماء ، ولم يغفل المؤرخون الاوربيون عن الرجوع اليها لاستكمال المعلومات واستكشاف حقائق الاحوال .



— ب —

كتب التراجم

تشغل تراجم العظماء ، في آداب العالم الاسلامي ، شرقا وغربا ، مكانة سامية ، وقد بدأت العناية بها في عصر مبكر جدا ، وهي تمتاز بكثير من عناصر التحقيق ، وتشتمل على تراث واسع بحيث اننا نستطيع ان نقول انه لولا كتاب **وفيات الاعيان لابن خلكان** ، و **الديباج المذهب** لابن فرحون ، مثلا ، لظلت زمر وافرة من أمجاد الاسلام مجهولة منمورة ، ولولا ما حفظته

لنا يد الدهر من كتب التراجم والسير والطبقات التي جادت بها قرائح أدباء الاندلس (6) وأقبل على دراستها علماء أوربيون ليقينا في غفلة عن جوانب ثرية من التاريخ السياسي والادبي الخاص بالدول الاسلامية التي تعاقبت في الجزيرة الاسبانية .

وبالمغرب ، رغم تقصير الادباء في الاهتمام بالدراسات التاريخية ، فاننا نرى عددا منهم سخروا أقلامهم لكتابة تراجم العلماء والصلحاء والمرابطين ، معتبرين « تراجم الكبار من أجل التاريخ » ، وطريقتهم في تدوين هذا النوع من الكتابات لا تختلف عما عرف بالشرق .

لا يخفى على أحد أنه ليس في أي بلد اسلامي آخر ما يعدل المغرب الاقصى في عدد الاولياء والصلحاء ، والشرفاء ، والمتشرفين ، المحاطين بالتبجيل والاحترام في الاوساط الحضرية والقروية ، مهما اختلفت مستوياتهم الفكرية او المادية ، وتباينت مقوماتهم الروحية ، وتداخلت اغصان انتسابهم الى شجرة الشرف النبوية .

ان الاهتمام بالتراجم في المغرب أدى حتما الى الاهتمام بالانساب لتمييز ذوي الشرف الصريح من أهل الدعاوي الزائفة .

ومن الملاحظ ان كتاب التراجم أقرب الى الصدق والاعتدال من الاخباريين، لانهم لم يكونوا مدفوعين بحافز الحصول على هبات من الاسر الحاكمة أو صلات من الشخصيات البارزة التي يؤرخون لها ، اللهم الا اذا كانوا من نفس الاسرة التي يصفون أحوالها أو من أقرباء المترجم له او من أصحابه.

ان الكتب المخصصة لتراجم الصلحاء والمبوبة حسب الاقاليم الجغرافية او حسب التسلسل الزمني لا تخلو من استطرادات تتعلق بجوانب من حياة البلاد الداخلية ، ونحن ، ان كنا نأخذ على مؤلفيها اعراضهم عن صلحاء

---

6) انظر الفهارس التي وضعها في

البوادي من عرب وبربر ، فاننا نستحسن أهمالهم للمعلومات التي تاتيهم من مصادر شعبية شفوية سيما في شأن المناقب والكرامات لان جلها أقرب الى الاساطير منها الى الحقيقة ، كما نستحسن اقتصارهم على الصلحاء الذين لهم مقام كبير في الحياة الفكرية او الروحية او السياسية ، المحاربين للبدع الشعبية ، الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر .

ان قيمة هؤلاء الصلحاء الاجتماعية هي التي جعلت الكتاب يعتنون بتدوين مناقبهم ومواقفهم الرشيدة ، ومراعاة تلك القيمة هي التي جعلتهم لا يهتمون بتراجم الصالحات من النساء وان كانت اضرحة الكثير منهن مزاررات تقصدها الجماهير الشعبية في مختلف المناسبات .

فكتب التراجم هي الوثائق المكتوبة الوحيدة التي يمكن ان نعثر فيها على معلومات تهم الطرق الدينية المنبثة في النواحي المغربية اذ يكاد يكون من قبيل المستحيل ان نجد من بين المترجم لهم في تلك الكتب صالحا مشهورا لا تربطه وشائج روحية او دموية بمؤسس احدى تلك الطوائف الطرقية . أو بأحد الدعاة لها ، كما انه غالبا ما تكون أسر شريفة هي المسيرة لطائفة من تلك الطوائف أو المشرفة عليها ، اما بصفتها طوائف مستقلة قائمة الذات ، وأما بصفتها متفرعة عن غيرها ، وتلك الكتب هي التي تتيح لنا ان نعرف أسباب تاسيس كل واحدة من تلك المنظمات الدينية ، والدور السياسي والاجتماعي الذي كان لها بالمغرب خلال اطوار تاريخها .

ومن المتوقع كذلك ان نجد في تلك التراجم الشخصية او الاسروية فوائد تاريخية مهمة . فاننا مثلا نجد فيكتاب **مرآة المحاسن** المخصص لمناقب جد العائلة الفاسية ، أبي المحاسن يوسف الفاسي ، وصفا قيما لمعركة وادي المخازن ، ونجد في كتاب **البدور الضاوية** معلومات وجيزة ، ولكن طريفة ، عن دولة المرابطين الدلائيين التي تقلص ظلها ، وانسدل الستار عليها بعد فترة قصيرة من نشأتها .

ان اعلام البيوتات المغربية غالبا ما يكون من أهل الصلاح والاستقامة، ومن أهل العلم والدراية ، ولذا نعتبر الكتب المخصصة للتنويه بفضائلهم ومناقبهم وثائق مفيدة قيما يتعلق بالحياة الدينية وبالحياة الادبيــة . فأسرة الفاسيين مثلا ، التي أشرنا اليها أعلاه ، كانت ركنا من أركــان الطريقة الشاذلية بالمغرب ، ومنبتا خصبا لعلماء اشتهروا بالتقوى والمعرفة بحيث أن أحدهم ، وهو عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، لقب عن جدارة واسحقاق « بسيوطي عصره » .

وخلاصة القول فان المتصفح النبيه لكتب التراجم لابد أن يجد فــي ثناياها عناصر لا يستهان بها من مقومات تاريخ أمبراطورية الشرفــاء السياسي والديني والاجتماعي والادبي .

هذا ومن المراجع التى يمكن أن تضاف الى كتب التراجم ، وبطبيعة الحال الى كتب التاريخ ، الفهارس التي ألفها أكابر العلماء ليعرفوا بشيوخهم وبالكتب التي قرؤوها أو فسروها أو علقوا عليها منذ شبابهم وذيلوها فــي بعض الاحيان بأسماء الطلبة الذين تتلمذوا لهم ، وكذا الرحلات وأوصاف ركب الحاج المغربي ، والاراجيز التاريخية والعلمية وحتى كتب النــوازل كمعيار الونشريسي ، لان كل هذه المؤلفات المختصرة منها والمطولة ، لا تخلـو من شذرات ولمحات تتفاوت قيمتها التاريخية ، ولكن لا يجمل بالباحــث النزيه أن يهملها .

ومهما يكن لتلك المؤلفات من نقائص أو من محاسن لابد لمن يريد ان يستخرج منها معلومات تاريخية طريفة ودقيقة ان ينتقدها بتبصــر وحكمة ويحللها بنزاهة وأمانة .

ان المؤلفات التاريخية المغربية التي وصلتنا ، حوليات كانت او تراجم، لا تحتوي على أكثر من نتف مشتتة هنا وهناك ، كتلك التي يمكن العثور عليها في الوثائق المحفوظة بدور المستندات من غيــر ان يكـون لها نفس القيمــة .

الفصل الثالث

★ ★

المناهج التاريخية

يستخلص مما تقدم أن الكتاب المغاربة لم يفتؤوا ، خلال الاربعة قرون الاخيرة ، يقتفون آثار أجدادهم في كافة المجالات الادبيية .

لقد تم في أوربا ، أثناء تلك الفترة الجديدة ، تقدم عظيم ، بيد أنه لم يطرأ ، بالمغرب ، أي تطور أو تجديد ، سواء في الانتجاه التاريخي ، والسعي في ادراك الماضي أو في مناهج احيائه وأساليب عرضه .

وعليه فان طريقة الكتابة ، لدى المؤرخين المغاربة ، بقيت هي نفس الطريقة التي عرفت في القرون الوسطى ، بالشرق والغرب والتي وضعها أسلافهم .

فانهم سلكوا سبيلهم في استعمال الاصول والمراجع وفي مناهج العرض ، وذلك بالنسبة لجميع النشاطات الفكرية ، وبوجه خاص ، بالنسبة للاتجاهات التاريخية من سياسية واجتماعية ودينية وأدبية .

فالسمة الخاصة التي اتسمت بها كتابات المؤرخين المغاربة وأصحاب التراجم ، هي أنها تنحصر في نطاق الحدود المغربية المعروفة بحيث يمكن القول ان دورهم التحرري كان مجرد اجابات عن أسئلة تقليدية ذات صبغة اسلامية قوية

ان العثور على بعض المؤلفات التي كانت مراجع للمؤرخين وأصحاب التراجم المغاربة في العصر الحديث ، تتيح لنا معرفة طريقة استفادتهم منها ، في حين أنه يصعب علينا ان نحيط علما بما استعملوه من الاصول والمراجع التي توصلوا اليها بفضل تحقيقاتهم الخاصة أو التي وضعت تحت تصرفهم من لدن الدوائر الحكومية أو عمداء الاسر ذات الجاه والنفوذ ،

وهذه المراجع الاخيرة يتعذر ضبطها وتحقيقها ولكن يمكننا ان نجزم ان المؤرخين لم يكونوا يلجؤون اليها الا نادرا وذلك حينما لا يكونون ، هم انفسهم ، معاصرين للاحداث التي يروونها .

وما دام الامر كذلك فانه ليس من الصعب أن نقتنع بأن المؤرخين المغاربة كانوا يستقون المعلومات التاريخية المتصلة بالمواضيع التي يزمعون تدوينها ، من مؤلفات الكتاب الذين تقدموهم في ذلك المجال .

ولكن هنا ينبغي لنا أن نتساءل هل تيسر لهؤلاء المؤرخين ان يستقصوا المراجع المغربية الخاصة بالمواضيع التي تهمهم ؟ من البديهي ان نجيب بلا، لانه اذا كان من السهل على المؤرخ أن يحيط بعناوين المراجع والاصول ، اذ جل الكتاب الذين سبقوه في هذا المضمار سجلوا قوائمها ، فان البون شاسع بين معرفة تلك المراجع وبين الوصول اليها والالمام بفحواها .

وعليه فاذا كان يسوغ لنا ان نثق بما يقتطفه المؤرخ من مؤلفات سابقيه ويورده في ثنايا اخبارره عن الاحداث ، فانه يصعب علينا ان نصدق انه أطلع على جميع الكتب التي ذكرها في القوائم المثبتة في مستهل مصنفه او في خاتمته .

ينبغي لنا ان نعترف ان توثيق المراجع وضبطها من لدن الناقد او الراغب في الاستفادة منها لم يكن من الامور الميسرة ، ذلك لان المطبعة لم توجد بالمغرب الاقصى الا في نهاية القرن التاسع عشر . هذا واذا كانت ظهرت ، اذ ذاك ، بفاس مطبعتان حجريتان نشطتا بعض الشيء ، فان المؤلفات التي

كانت تخرج منها كانت ذات طابع تعليمي في حين ان الانتاج الادبي والتاريخي كان من المحقق ان المشرفين الذين أسند اليهم ، على التوالي ، الاهتمام بمحتوياتها ، كانوا قليلي الاعتناء بالمصنفات التاريخية او المتعلقة بالتراجم ، لا يسهرون على سلامة المراجع الموجودة لديهم ولا يشغلون بالهم بتنميتها واثرائها . ولذا فاننا لا نشك ان الصعوبات التي نواجهها الآن بالمغرب للحصول على المراجع ، مماثلة للصعوبات التي كانت تعترض الباحثين المغاربة في العصور السابقة .

هذا ولا يجهل أحد أن علماء الحواضر المغربية الذين تملكوا مخطوطات ادبية فقهية أو تاريخية ، سواء بطريق الشراء او بطريق الوراثة ، يبخلون أشد البخل باعارتها وربما حتى باظهارها لمن لا ينتمي اليهم بوشائج عائلية ، هم ، في نظرنا ، على صواب لاننا لانكاد نعرف ، في هذا الوطن، من يشمل الكتب المستعارة بالحفظ والرعاية ، حتى يرجعها الى أصحابها بدون بتر ولا مسخ .

فان العالم الذي يرى نفسه مضطرا الى تلبية رغبة عالم آخر قصده لاستعارة كتاب من الكتب التي ورثها عن ذويه لا يخرجه من بيته ، ولو لمدة قصيرة الا أن يعد أوراقه وكراساته بمحضر المستعير والا بعد أن يكتب تلك الاعداد على الورقة الاولى ، ويثبت بخط يده ، ملكيته للكتاب .

لابد اذن للكاتب المغربي الذي يرغب في معالجة موضوع تاريخي من أن يتذرع بالصبر والاناة اذا ما أراد أن يطالع كل ما كتب في شأنه : وبما أنه من المتعذر عليه الالمام بكل تلك المراجع ، فانه يكتفي ، في غالب الاحيان ، بالرجوع الى مظان قليلة من التي يسهل عليه الوصول اليها ، اللهم الا اذا كان له من النفوذ وعلو القدر ما يتيح له مواصلة الاستكشاف والبحث عن المراجع وييسر له الحصول عليها ليجعلها تحت يده فيستقي منها ما قد يتوقف عليه من معلومات .

عندما يحصل المؤرخ على الوثائق والكتب التي تهمه فانه يطلع على محتوياتها وينقل منها كل « الفوائد » التي يريد استخدامها ، او يكتفي بتسجيلها في « ذاكرته » . ان الافراني مثلا زعم في خاتمة كتابه **نزهة الحادي** أنه قيد مستنداته في « بطائق » لكي يهذبها ، ولكن عاقته عوائق عن الرجوع اليها فهل من الممكن أن يكون قد اعتمد ، وهو يكتب تاريخه ، على ذاكرته فحسب ؟ فاذا اعتبرنا انه لم يكن من المستحيل عليه ان يستحضر عن ظهر القلب القطع الشعرية العديدة التي يشتمل عليها مؤلفه ، فاننا نستبعد الا يكون قد استقى مباشرة ، من كتاب الفشتالي . الفقرات الطويلة التي نقلها عنه وسجلها في **النزهة** .

لما ينتهي الكاتب المؤرخ من مطالعة مؤلف فانه ينتقل الى غيره ، وهكذا يسود الكراسات تلو الكراسات الى أن يقتنع أنه أحاط بكل ما في وسعه ان يحيط به في الموضوع ، واذ ذاك يبدأ في تحرير مؤلفه . فانه يختار له عنوانا « مسجوعا » ويستهله بمقدمه يوضح فيد الغاية منه ثم يجعل « مذكراته » نصب عينه ويشرع في كتابة « المسودة » .

من المعروف ان المؤرخين المغاربة يتبعون ، من حيث التاليف ، احدى الخطتين : منهم من يسجل في كتابه جميع المعلومات ، غير المتناقضة ، التي بين يديه ، من دون أن يشير الى مصدرها ، ومنهم ، وهم الاكثرون، من يوردون النصوص المتعلقة بحادثة من الاحداث ، أو بعلم من الاعلام ، حتى المتضاربة منها ، الواحد تلو الآخر ، حسب الترتيب الزماني لكل منها، وقد يتبعونها بملاحظات ذاتية اذا ما رأوا في ذلك فائدة . وهكذا يكون الكلام عن قضية من القضايا او حالة من الاحوال على صورة روايات مثل : « قال فلان » و (قال صاحب الـ ...) و « أقول ... » الخ .

قد يعترض علينا بأن هذه الطريقة مماثلة للطريقة التي كانت متبعة في أوربا ، ولكن من الحق ان نعترف ان الرواية التاريخية الاوربية لا تتسم

بنفس الرتابة ، وقلما تعتمد على نصوص طويلة او على استشهادات مكررة، ويكفي للاقتناع بذلك أن نطلع على بعض ما نقل الى الفرنسية من كتب التاريخ أو التراجم .

ومن جهة أخرى فان أصحاب هذه المؤلفات لا يدلون الا نادرا بآرائهم الشخصية في الاخبار التي يوردونها ، فانهم يكتفون بتقديم عناصر القضايا، المسلمة وغير المسلمة ، ولا يتورطون بابداء حكمهم الخاص ، بل يتركون ذلك للقراء .

ان هذه الطريقة ليست خاصة بالمؤرخين المغاربة ، لقد سبق أن اتبعت في المشرق ولكن من غير افراط لا في الكم ولا في الكيف. فتاريخ ابن الاثير مثلا ليس الا نسخة مشذبة من تاريخ الطبري الكبير ، والاطلاع على ما في الصياغة والمضمون ، هو الذي قد ييسر الوصول ، على طريقة المقارنة ، الى معرفة أسباب الفروق الموجودة بين مختلف نسخ الكتب العبرية القديمة (1).

وفي هذا المعنى قال الاستاذ كارا دو فو في كتابه مفكرو الاسلام الذي طبع مؤخرا : « ان المؤرخين العرب يجمعون الآثار المروية ويسجلونها الواحد تلو الآخر ، ويتركون للقاريء حق الفصل في قيمتها ، فعلى هؤلاء أن ينتقدوا ان حلا لهم ذلك . أما المؤرخ فليس الا من القائمين بالاعلام (2) ».

اننا متفقون معه في هذا الحكم الا أننا لا نشاركه استحسانه لذلك المنهج التاريخي ، على الاقل بالنسبة للفترة التالية للعهد الكلاسيكي الاسلامي ، اذ لا يسوغ لنا أن نستحسن الناسجين على ذلك المنوال الا اذا كنا متيقنين من أن الكاتب يمتاز بالضبط والصدق ، ونحن لا نستطيع أن نؤكد أن كل المؤرخين المغاربة كانوا متحلين ، على الدوام ، بتينك الخصلتين المهمتين .

---

1) المرجع : دراسات في التاريخ الديني لرنان ارباست . ط باريز 1909 ص 81.

x) ان كان المؤلف يحاول هنا تعليل ما وقع في التوراة من تحريف ، فان تعليله هذا ظاهر الاعتلال ! (المعرب).

2) مفكرو الاسلام ج 1 ص 87 من النص الفرنسي .

هذا فيما يخص استخدام المصادر ، فاذا ما تم تنسيق المعلومات ، وحرر الكتاب ، وتناولتــه الايــدي فان المؤلف قــد يرجع اليه من جديــد ليزيــد فيــه أو يحــذف منــه ، وحيــث أن متــون تلــك الكتب ليست مطبوعة ، فان التعديلات التي تدخل عليه قد تعتبر ضئيلة الشأن ، وهي ، في حقيقة الامر ، ذات أهمية لان النسخ التي تؤخذ من الكتاب قبل تعديله أو بعده ، ستكون بطبيعة الحال متغايرة .

وبناء على ما ذكر فاننا نجد ان المخطوطات المغربية العربية قد تكون مشتملة على نوعين من الفروق بين نسخ الكتاب الواحد : النوع الاول ناتج عن الاخطاء التي يقع فيها الناسخ عن غير قصد ، والنوع الثاني من أعمــال المؤلف نفسه . ولذايجب على كل من يتناول مخطوطا لينتقــده ، أن يتحقق من تاريخ استنساخه ، فاذا كان نسخ من الاصل الذي كان لدى المؤلف ، وبعد وفاة هذا الاخير ، فانه يجوز له ان يعتبر تلك النسخة مطابقة تماما للاصل في شكله النهائي .

ومن جانب آخر ، فان الكتاب قد يعثر ، بعد أن يكون قد اخرج مؤلفه للقراء ، على مصدر كان يجهل وجوده او سبق له أن بحث عنه فلم يجده ، فيطالعه واذا به يقف فيه على معلومات يستحسن اضافتها الى ما يحتوي عليه كتابه هو . فانه ، والحالة هذه ، لا يتأخر في غالب الاحيان ، عن تسجيــل تلك المعلومات او عن الاشارة اليها بهامش الورقة اللائقة بها ، لئلا تضيــع تلك الفوائد الجديدة . ويكفي شهيدا على هذا العمل ان نرجع الى الصورتيــن الفتوغرافيتين المثبتين في هذا الكتاب (3) فالاولى صورة لصفحة مــن مخطوط لكتاب الزياني **الترجمانــة** وقد كتب بهامشها فقرات من كتاب **دوحة الناشر** والثانية من **الاستقصا** المطبوع بمصر ، وقد كتب المؤلف على هامشها — بخط يده — نصا نقله من كتاب **نشر المثاني** .

---

3) نشر المؤلف الصورتين في كتابه : الاولى ص : 186 ، والثانية ص : 259 . ولم نر من الضروري الاستشهاد بهما هنا لانهما تشيران الى ظاهرة مألوفة ، قد يستغرب العثور عليها في كتاب مطبوع ولكن كثيرا ما نلاحظها في المخطوطات (المعرب) .

ان هذه الطريقة تشبه ، في شكلها المادي طريقة كانت مستخدمة عند كتاب العهود الكلاسيكية ومعروفة بطريقة « الاستدراك » أو « الرجوع عن الحكـــم » .

ان تلك التغييرات التي تلحق بالكتاب بعد تبيضه ، واحيانا بعـــد اخراجه للناس ، هي في نظرنا من أهم أسباب انعدام الوحدة في كتـــب التاريخ المغربية ، ومن أكبر الدواعي لاعتبارها تسجيلات بسيطة لاحداث معينة لا أكثـــر ولا أقـــل .

فالمعطيات التي استوجبت اتباع هذه الطريقة ليست جديدة ، بل عرفت منذ أقدم عصور التدوين الاسلامية الا أن المغاربة استمروا خاضعين لها الـــى عصرنا هذا بحيث يمكننا أن نقول : أن أرض المغرب لا زالت ، من هذه الوجهة، أرضا ثرية بالمعلومات المتعلقة بالماضي الاجتماعي الخاص بالعالم الاسلامي .

فالمهم في هذا الميدان هو الرجوع الى المصادر الاصيلة ، ولكن قلمـــا يتيسر ذلك للباحث لان المؤرخ الذي يعتمد على مؤرخ آخر كان جمع النصوص التي تهم فترة من الفترات التاريخية السابقة لا يرى ، عادة ، داعيا الـــى تحقيق تلك النصوص في مظانها ، بل يكتفي ، في غالب الاحيان ، بنقلها ممن سبقه اليها من المؤرخين ، وبتسجيل اسماء أصحاب الكتب المستخرجة منها، هذا اذا لم يكن من المنتحلين الذين « يأخذون من هنا ومن هنا ، ويقولون هذا كتابنا » .

فالانتحالات، بل « السرقات » من الامور المستسهلة في المجالات الادبية المغربية اذ من العسير على من يريد أن يثبت تلك « السرقات » بالحجـــج والشواهد ان يصل الى جميع المراجع الاصيلة ، نظرا لقلة نسخها ، ولكون تلك النسخ موزعة في مختلف انحاء المغرب .

نعم لا يوجد بالمغرب الاقصى مؤرخ واحد كتب في موضوع تاريخي ، سبقه اليه كتاب آخرون، ولم يستق معلومات، كثيرة أو قليلة ، من مؤلفاتهم،

وحيث لم تكن الرموز المحددة لاطراف الجمل المستشهد بها معروفة ، ولم يكن كل الناقلين يكتبون لفظة « انتهى » أو حرف (هـ) آخر كل نص منقول عن الغير ، فاننا نفهم أنه كثيرا ما يتعذر الرجوع الى المصادر الاولى .

فالمؤرخ اكنسوس ، مثلا ، أحد من اولائك المنتحلين ، فانه نقل في القسم الاول من كتابه **الجيش** كتاب الزياني **البستان** برمته من غير ان يذكره - مكررا هكذا ما فعله بالنسبة لكتاب **نزهة الحادي** الذي نقل منه الفصول الخاصة بالدولة العلوية .

اذا كنا نستنكر هذا النوع من النقل الحر في للنصوص ، ومنها الطويلة جدا ، دون ذكر الكتب المقتبسة منها فاننا نعترف ان ذلك العمل « نقمة في طيها نعمة » لان النصوص تمكننا من معرفة محتوى مراجع جدا نادرة او مفقودة بالمرة .

ومهما يكن من أمر فانه كان من الممكن ان نعتبر طريقة أولائك المؤرخين أكثر فائدة وأدعى للاستحسان لو اكتفوا ، في مؤلفاتهم ، بنقل بعض ما كتبه اسلافهم حول المواضيع التي تهمهم هم ، وشرحوها أو أوضحوا غوامضها بحواش ضافية كما كان يفعل الفقهاء في الكتب الخاصة بالعلوم الاسلامية.

فالافراني مثلا ، الذي ذيل كتابه بقسم كبير من كتاب الفشتالي ، مؤرخ أحمد المنصور ، وبين بكامل الدقة مبتدأ ومنتهي كل فصل من الفصول المنقولة بعد عزوها الى صاحبها ، يعد بحق من الكتاب الذين يحظون بكامل الثقة والتقدير .

يستنتج مما سبق ان أوثق المصادر هي التي يذكر فيها أصحابها أخبارا ويصفون أحداثا تتعلق بالفترة الزمانية التي عاشوا فيها او التي قبلها بجيل أو جيلين . ويؤكد ذلك ما افادنا به المؤرخ اكنسوس من معلومات عن ملوك الدولة العلوية الذين عاصرهم أو عمل في بلاطهم ، بحيث يمكننا أن نعده متمما لعمل الزياني وان كان يغض من قدره ما أقدم عليه من « هضم » حقوق هذا المؤرخ نفسه كما أشرنا الى ذلك من قبل .

سنرى فيما بعد ان هذه « الملاحظة » تطبق كذلك على المؤرخ الناصري ،ان كان أسلوبه ، في هذا المجال ، لا يدعو الى نفس الاستنكار .

لاشك أن أصحاب التراجم كانوا اكثر تحفظا من الاخباريين في النقل من كتب من تقدمهم من المؤلفين ، وذلك لتريثهم في جمع العناصر ، لانهم لا يكتبون لنيل الجوائز المادية والمنح المالية من أصحاب السلطة والوجهاء من رجال الدولة ، ولانهم يعرفون ان مصنفاتهم ستكون أكثر تداولا او ، بتعبير أخر ، أكثر تعرضا للفحص والنقد .

لا ننكر ان منهم من اضطروا ، غيرما مرة ، الى النقل الحر في من كتب ألفت فيما قبل ، ولكن من الملاحظ أنهم لا ينسون تحديد أطراف الفقرات المنقولة ولا أذكر أسماء أصحابها .

من اللازم أن نشير هنا الى أن أصحاب التراجم لا يستنكفون ، مثل الاخباريين ، من الاعتماد على « المسموعات » أو على ما قد يرد في فهارس أحفاد الصالحين والعلماء الذين يدخلون في نطاق أبحاثهم ، وذلك توخيا لتسجيل مناقبهم ومزاياهم .

ومهما يكن من أمر فان الكتب التاريخية وكتب التراجم ، الواجب بتحليلها ونقد مضمونها لا تزيد على نوعين : الاول منها المؤلفات الاصلية ، والثاني الكتب المنقولة أو التي نسجت على منوال مراجع فقدت أصولها .

ويبقى ان نعرف هل تلك المراجع الاصلية تشتمل على معلومات تاريخية حقيقية ، وهل الاحداث التي وصفتها وقعت على النسق المعروض فيها وحسب الظروف المشروحة على صفحاتها ، أي هل كان أصحاب تلك المراجع ذوي شخصية قوية ، ونزاهة نقية ، لا يزيفون الاخبار ، أم كانوا ممن يدهنون ويتملقون .

قد رأينا ان التاريخ السياسي قلما يخلو من التحيز والتزلف وان الامر ليس على تلك الشاكلة فيما يخص كتب التراجم . ولهذا فاننا نرى ان المعلومات التي في هذه ، من شأنها أن تساعد على تقييم المعلومات الواردة

في مؤلفات الاخباريين ، أي على اثباتها او على ابطالها ، لان المعلومات التي يوردها هؤلاء لا تكون الا نادرا مبنية على وثائق رسمية تيسر نقدهـــا كالرسائل او العقود الخ ، بل كثيرا ما نجدها مبنيـــة على ما « يروى او يحكى » .

من الواجب ان نعترف ان المؤرخ المغربي ، اخباريا كلن او مترجمـــا لاعلام ، لايهتم على وجه العموم بالحكايات والاراجيـف التي تـــروج في الاوساط الشعبية ، لان العوام ينظرون الى الاحداث السياسية التي يشهدونها نظرات لا تخلو من شطط ، ويزنون ما ينسب للاولياء والصالحين من كرامات ومناقب بموازن لا تسلم من خلل .

ان ابن عسكر ، وصاحب **الحلل البهية** ، هما اللذان اهتما ، فيما نعلم ، بعض الاهتمام بالاراء الشائعة على السنة العامة ، بيد أن باقي المؤرخيـــن يضربون عادة عنها صفحا ويتنزهون عن ذكرها في مصنفاتهم . فالافراني مثلا لم يتردد عن استنكار ما أشيع في شأن وفاة السلطان أحمد المنصور ، وأنه مات مسموما بايعاز من ابنه مولاي زيدان ، لا ضحية اصابة بوبـــاء الطاعون ، لقد قال في هذا الوضوع : « ان ما شاع عن الالسنة من أن المنصور سمه ولده ،،، كذب محض لان المنصور طعن بالوباء ، ولم يذكر أحد ممـــن يوثق به ذلك ، بل انما شاع على السنة العامة واضرابها من الطلبة » (4) وكان صرح في كتابه قائلا : « وقد تركت اخبارا ولعت بها العامة في ذلك ، ورأينا اخلاء كتابنا منها اولى ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » (5).

واخيرا فان المؤرخين المغاربة لا يكترثون عادة بما لبس له صلة بتاريخ بلادهم الداخلي : فاننا لا نكاد نجد في كتبهم شيئا عن علاقات المغـــرب السياسية بأوربا وحتى بباقي البلاد الاسلامية (6) اللهم الا ان استثنينا ما

---

4) **نزهـة الحـادي** (ص 189 ط انجي (فرنسا) سنة 1888 م) .

5) نفس المصدر ص 12 .

6) نستثني ، فيما يخص العلاقات الفكرية مع البلاد الاسلامية الاخرى ، بعض كتـــب الرحلات الى الاراضي المقدسة كرحلة العياشي (المؤلف) .

ورد في بعضها من اشارات طفيفة الى علاقات تمت بين المغرب والبـــلاد الشرقية المجاورة له . (7)

وعلى كل حال فلا ينبغي ان ننسى انه كان من العسير على الكتـــاب المغاربة ان يلموا بين ما كان يقع بين المغرب والبـــلاد الاخرى من أنـــواع الاتصالات ومختلف المعلومات لان ذلك كان يقتضي ان يكون في متنـــاول أيديهم وثائق رسمية محفوظة ومرتبة ، والمعروف انه لم يكن بالمغرب مصلحة حكومية مختصة بحفظ الوثائق وبتنسيقها .

ومن جهة أخرى فان المؤرخين المغاربة ، اذا اخرجنا منهم الزياني ، كانوا يأنفون من الاعتناء بتسجيل ما كان يتم بين ملوك الدولتين ، السعدية والعلوية ، وبين رؤساء الدول الاوربية من اتفاقات ومعاهدات ، بحيث أصبح من اللازم على المتطلع لمثل تلك المعلومات ان يبحث عنها في نطاق المحفوظات الاوربية الخاصة بالمغرب او في الكتب التاريخية التي الفها عن المغرب كتاب أوربيـــــون .

فالمؤرخون المغاربة القلائل الذين أشاروا ، بدافع من الدوافع ، الى بعض العلاقات التي أبرمت بين المغرب والدول الاجنبية ، كانوا لا يتورعون ، الا نادرا ، عن الانسياق لاهوائهم وعن تشويه الحقائق لارضاء ما يشعرون بـــه من تفوق واستعلاء بالنسبة لاصلهم وثقافتهم ودينهم ، الا أنه قد يكون من المكابرة ان ننكر ان الكتابات الاوربية عن التاريخ المغربي تتسم بنفـــس الشوائب نظرا للتعصب الديني الشديد الذي لم تخف وطأته شيئا ما الا بعد انفجار الثورة الفرنسيـــة .

ان المعلومات التي دونتها اقلام أولائك المؤرخين المتعصبين ، عن المغرب وتاريخه ، تنم عن جهلهم المطلق للثقافة الاسلامية ، ولما كان لها من تأثير

---

7) من تلك الكتب ، مصنفات الافراني والزياني (المؤلف) .

في حياة هذه البلاد القومية وفي لتجاهاتها المصيرية ، غير اننا قد نجد في ثنايا مؤلفاتهم بيانات مستخلصة من رسائل ديلوماسية قد تساعد على تصحيح وضبط اخبار تتعلق باحداث كان لها اصداء داخلية ولكن لم يذكرها الكتاب المغاربة بوضوح وتدقيق ، ويكفينا لتاييد هذا الراي ان نذكر ذلك الغلط المتعلق بتاريخ الوباء الذي انتشر بالمغرب سنة 1799 م وبتحديد حقبة انتشاره ، وهو غلط وقع فيه الزياني ثم لكنسوس ، وتوصل الى تصحيحه الدكتور رينو مستدلا بمعطيات جد وثيقة (8) .

يجدر بنا هنا أن نؤكد أنه من الافضل ان نكتفي بالرجوع الى كتب التراجم كلما خامرنا شك في صحة ما يرد في مصنفات المؤرخين الاخباريين ، اللهم الا اذا افدتنا الكتب الاوربية بحجج محكمة ، موثوق بها كتلك التي أشرنا اليها اعلاه والمتعلقة بالوباء .

لم يصل الينا ، من المؤلفات التي خصصت لتاريخ الدولتين السعدية والعلوية ، الا عدد جد قليل ، ولذا يصعب تصنيفها حسب طريقة كل واحد من كتابها في حين ان ذلك التصنيف متيسر بالنسبة لكتب التراجم التي لدينا منها عدد لا بأس به .

أول ما يلفت النظر هو عدم وجود مؤلفات تعالج التاريخ العام للبلاد منذ أصولها الاسلامية الاولى الى أن حاول المؤرخ أحمد الناصري ، في القرن التاسع عشر الميلادي ان يسد تلك الثغرة ..

نعم لقد سبقه في هذا المضمار ابن ابي زرع وابن خلدون ولكن جميع المؤرخين المغاربة الذين تصدروا للكتابة بعد هذين الكاتبين وقبل الناصري لم يتكلموا الا عن فترة خاصة من تاريخ بلادهم ، ولا نستثني منهم حتى

---

8) *Dr Renaud H.P.J., Recherches historiques sur les épidémies du Maroc : La Peste de 1799 d'après des documents inédits dans Hesperis, I, 1921 p 150 sqq.*

الزياني الذي خصص **الترجمان** للتاريخ الاسلامي ولكنه لم يتوسع في سرد اخبار جميع فترات التاريخ المغربي توسعه في ذكر أحوال الدولة العلوية .

يلفت النظر أيضا أن موضوع اكثر المؤلفات التاريخية لا يتجاوز الا نادرا ذكر أخبار أسرة من الاسر الحاكمة ، وأحيانا ذكر أخبار أمير واحد من أمراء تلك الاسرة . فهي ، في حقيقة الامر ، تواريخ أسر كان بيدها ، في عهد من العهود ، زمام الحكم، ولنذكر على سبيل المثال ان **نزهة الحادي** كتب لتدوين احداث الدولة السعدية ، وان **البستان** و **الجيش** الفا لتسجيل أحوال الدولة العلوية ، وأن **المنتقى المقصور** يتكلم عن أحمد المنصور بيد أن **الظل الوريف** يتكلم عن المولى اسماعيل (9) .

والملاحظ في تواريخ الاسر المالكة ان أحسن أجزائها هو الجزء الذي يتصل بحياة السلطان الجالس على العرش في وقت تدوين المؤلف لكتابه او الجزء المتصل باسلافه المباشرين اذ تتوفر عنهم لدى المؤرخ معلومات كثيرة عرفها بنفسه أو زوده بها معاصروه . ومع ذلك فالمؤرخ المغربي لا يستخلص الاحداث العامة ، بل هو كتاب **حوليات** اي يقوم بتدوين الاحداث المتتالية خلال عام واحد ، ثم ينتقل الى العام الذي يليه ، الشيء الذي يجعل مؤلفه شبيها **باليوميات** أي بسجل لاحداث لا تربط بينها رابطة فكرية . وهذا الاسلوب يتجلى مثلا عند (اكنسوس) في **حولياته** التي هي عبارة عن مجموعات من أخبار واشارات الى احداث لم يكن الداعي الى سوقها متتالية الا كونها وقعت في تواريخ معينة . وطريقة العرض هذه لا تترك للمؤرخ مجالا

---

9) **نزهة الحادي في أخبار القرن الحادي** للافراني ، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف** للزياني **الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي** لاكنسوس **المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور** لابن القاضي و **الظل الوريف في مفاخر مولانا اسماعيل ابن الشريف للافراني** . المعرب

لتقييم إحداث عصره وابداء رأيه الاجمالي فيها الا حين يذكر موت ملـــك وجلوس خلفه على العرش : فاننا نراه اذ ذاك يعتني كامل الاعتناء بوصــف الامير المعد للحكم وصفا خلقيا مفصلا . ومن السباقين في تلك الحلبة المؤرخ الافراني الذي نراه دائما يسهب في وصف المتربع الجديد على اريكة الملك فيتكلم عن سنه وقامته ولون بشرته وشعره وعينيه ، وعن حركاته وصفاته الخلقية والثقافية (10) . ويعتبر الاسلوب الذي تبعه ابن القاضي في كتابه المنتقــى نموذجا في هذا الباب لانه يكيل المدح والثناء ، ويضفي على الامراء الذين يصفهم حللا من الاوصاف الكريمة والخصال الحميدة .

وهذا الاسهاب في ذكر الصفات الجسمية والخلقية قلما يترك مكانا كافيا للكلام عن حياة الملك السياسية ، وعليه فاذا كان من الممكن ان نعتبر الكتب المخصصة للكلام عن حياة ملك من الملوك ذات قيمة أدبية فاننا قلما نجدها ذات قيمة تاريخية كبيرة .

من المعتاد عند المؤرخين الا يهملوا ذكر رجالات البلاط ، فانهم غالبا ما يخصصون مكانا من كتبهم لترجمة ذوي الشأن منهم وذوي المكانة عند الملوك. فمنهم من يذكرون بانتظام أسماء كبار الموظفين العاملين في مختلف الدواوين، ومنهم من يكتفون بذكر أسماء الاشخاص الذين ساهموا في الاضطلاع بمهمة من المهام التي اشاروا اليها في مؤلفاتهم ، وهكذا نطلع من حين لآخر علــى أسماء امراء ، ووزراء ، وحجاب ، وكتاب ، وقادة جيش ، وعمال ، وقضـــاة العواصم الكبرى مثل فاس ومكناس ومراكش الخ ،،، (11) .

---

10) نزهـــة الحادي النص العربي ص 45 و 78 (المؤلف) .

11) اثبتنا في أحد الملاحق قائمة باسماء عدد من أولائك الموظفين ، سجلناها خـــلال مطالعاتنا الا اننا لا ندعي انها كاملة (المؤلف)

وكثيرا ما يضمن المؤرخون الادباء ، ومنهم الافراني واكنسوس ، كتبهم ستطرادات أدبية لعرض ما قد يكون راج في مجالس الملوك من مساجلات شعرية أو نثرية ، الا أنه من المؤسف الا نجد في تلك الكتب مجموعات كافية من الرسائل الرسمية ، فان الرسائل القليلة التي نعثر عليها في تلك المظان عظيمة الفائدة لما تشتمل عليه من معلومات عن الحياة الاجتماعية أو من اشارات ذات قيمة تاريخية ، ويؤكد ذلك ما تفيدنا به ، في هذا الباب ، الرسائل الدلائية التي احتفظ لنا بها الحوات ، ورسائل السلطان أحمد المنصور التي وجهها لابنه ابي فارس عبد العزيز والتي نجد البعض منها في **النزهة** وهي تعطينا صورة دقيقة عن الحياة اليومية في القصور السعدية، تفصيلات ضافية عما كان يوليه ذلك السلطان ، في بعض الظروف ، من اهتمام بالشؤون العائلية وبما يجري في المرافق البلاطية (12) .

ان اصحاب كتب التاريخ الحديث قلما يخصصون جزءا منها لوصف مدينة من المدن كما فعل مثلا صاحب **القرطاس** وفي أوائل القرن السادس عشر ، ابن غازي في كتابه **الروض الهتون** (13) ولكنهم لا يغفلون عن تسجيل الاعمال المهمة التي تم انجازها في الفترات التي يعتنون بتاريخها مثل بناء أو ترميم القصور والمساجد والمؤسسات العمومية ، في العواصم المغربية ، وخصوصا تلك التي قام بها أولائك البناة العظام ، أحمد المنصور بمراكش ، والمولى اسماعيل بمكناس .

والى جانب الاخبار المتعلقة بالاحداث السياسية ، والاعمال العمرانية ، فاننا نقف ، في تلك التآلف ، على اشارات للظواهر الجوية الغريبة ، والاوبئة والمجاعات المبيدة ، والزلازل المدمرة ، مثل كسوف سنة 964 هـ ، ووباء سنة 965 هـ ، وزلزال عام 977 هـ ، وجراد عام 978 هـ ، والمذنب الذي شوهد ابان معركة وادي المخازن الخ .

---

12) انظر مثلا **نزهة الحادي** ط . هوارس ص 184 .

13) **الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب واخبار مدينة فاس و الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون .**

ولعل « القادري » في نشر المثاني كان يعني اكثر من غيره ، بتسجيل النكبات العامة ، لقد ورد في كتابه عن تراجم رجال « القرن الحادي عشر والثاني » تفصيلات جمة مثيرة ، عما أصاب المغرب في أعقاب زلزال فاتح نونبر 1755 م (26 محرم 1169) والمعروف بزلزال لشبونة .

ويمتاز القادري بجمعه ، في كتابيه التقاط الدرر و نشر المثاني الموضوعات السياسية والمعلومات الخاصة بتراجم الرجال المشهورين . فهو يمثل مرحلة انتقال أو صلة وصل بين الاخباريين والمترجمين ، وأسلوبه في ذلك ان يذكر السنة ، وان يسرد تراجم الرجال المشهورين المتوفين خلال السنة ، وهكذا سنة فسنة ، ثم يرسم لوحة مختصرة للاحداث الداخلية التي جرت بالبلاد في كل فترة ، من تلك الفترات الزمنية المتتالية . ولذا يمكن ان يعتبر نشر المثاني تاريخا سياسيا وضع في شكل حوليات .

ولكن الظاهر ان اسلوب القادري لا يمثل « القاعدة العامة » في كتابة التراجم ، فان كتب التراجم المغربية ذات طابع واضح ، منها ما خصص لافراد أو أسر مشهورة ، ومنها ما ضم تراجم قصيرة العدد كبير من الرجالات رتبت اسماؤهم حسب ظروف زمنية معينة كما هو الشأن في دوحة الناشر و صفوة من انتشر او حسب اطار مكاني كما نلاحظه في كتاب ابن عيشون الشراط الروض العاطر الانفاس باخبار الصالحين من أهل فاس

قلما يخرج كتاب التراجم ، وكذا الاخباريون في كتاباتهم ، عن اطار محدد ، فاذا كان المترجم له من العلماء ، فانهم يهتمون باسمه وصفاته الكريمة ومزاياه العلمية ، وشيوخه واجازاته التي احرز عليها ، وعناوين مؤلفاته ، واسماء مشاهير تلامذته ، وسنة وفاته ، وموقع دفنه ، واذا كان من الاولياء في ذكر المناقب والكرامات .

لنشر هنا الى ان طريقة تدوين كتب الرحلات لا تختلف كثيرا عن طريقة تدوين كتب التراجم ، نعم فاذا كانت « الرحلات » الى الارض المسيحية

لا تشتمل الا على ذكر ما يشاهد ويسمع في كل يوم من أيام السفر ، فان « الرحلات » الى البقاع « المقدسة » تتضمن عادة ، بجانب وصف المراحل والمنازل ، تراجم العلماء والفقهاء والمشاهير الذين صادفهم أصحاب تلك الرحلات اثناء حلهم وترحالهم فهي ، من هذه الوجهة ، أشبه بقواميس تبوغرافية لاحتوائها على الكثير مما يثير الانتباه في العالم الاسلامي ، وغالبا ما تكون تلك التراجم تتعلق باعلام أحياء تسنى لكاتب الرحلة مجالستهم ، وفي بعض الاحيان ، الإستفادة منهم . فان العلماء المغاربة معروفون بتكريمهم لعلماء الشرق ، ورغبتهم في الاطلاع على ما لديهم من جديد في المجالات الثقافية والطرق التبليغية ، ويكفي شهيدا على ذلك ما لقيه العالمان الشرقيان أحمد بن عبد الحي الحلبي ومحمد صالح الرضوي بفاس ، من إعتناء وجميل الرعاية ، وما وصلت اليه **رحلة العياشي** من شهرة في الاوساط المغربية نظرا لاشتمالها على تراجم عدد لا يستهان به من علماء الشرق وكذلك ما ناله صاحب العلماء الغرباء (14) .

لا شك أن تلك الكتب لم تنسج كلها على منوال السلف لا من حيث المبنى ولا من حيث المعنى . ولكن من المحقق أنه لا يوجد كاتب واحد من مؤلفي العصور الحديثة جدير بأن يدرس كتابه دراسة خاصة لابراز مميزات أسلوبه ولغته ، وذلك لان كل الادباء المغاربة متشابهون على وجه التقريب ، في مشاربهم الثقافية ، ويطمحون في الا تكون معارفهم وأساليب تدوينهم عرضة للتنقيص والسخرية .

ومع هذا فلابد ان نعترف أن كتابة التاريخ والتراجم لا تتوقف على استخدام مصطلحات خاصة ، وان أسلوبها غالبا ما يكون واضحا وبعيدا عن التكلف ، بل مضمنا للمفردات والعبارات المتداولة عند العامة .

---

14) انظر كتاب **المحاضرات** لليوسي ص 59 — و **نشر المثاني** للقادري ج 1 ص 182 و **سلوة الانفاس** للكتاني ج 1 ص 3 .

فأسلوب الافراني وأكنسوس لا يخلو من الطلاوة ، والاول لا يتأخر عن الامعان في استعمال « المحسنات البديعة » سيما حينما يريد ان « يلف » بعض الحقائق المرة الخاصة بالادارة المركزية .

وأسلوب الفشتالي وابن القاضي ، وهما من مؤرخي الدولة السعدية ، مملوء بالاستعارات المعقدة التي من شأنها أن تسدل على بعض فصـــول مؤلفاتهما ، وبوجه خاص المناهل و المنتقى المقصـــور سترا من الغموض. ولكن الملاحظ أن أكثر المؤرخين لا ينمقون التحرير الا عند كتابة المقدمـــات والخاتمات أو عند تحلية أفاضل الاعلام الذين يترجمون لهم ، وانهم يضحون بكل « قوالب الادباء عندما يعتنون بتوضيح الوقائع التاريخية .

ان هذه الملحوظات تنطبق كذلك على الاسلوب الانشائي الخاص بكتب التراجم وسير الصلحاء والاولياء ، وإن كانت نصوصها ، ولا سيما الاراجيز منها ، شديدة الغموض لما تشتمل عليه من مصطلحات صوفية واشـــارات ورموز لا يدرك فحواها الا العارفون .

القسم الثاني

★ ★

الرجال ومصنفاتهم

الفصل الأول

★ ★

مؤرخو الدولة السعدية

بقي علينا ان نشير الى أن جل المدونات التاريخية ، سواء منها المتعلقة بالدولة السعدية أو بالدولة العلوية ، تتضمن مفردات شعبية وتعابير تقنية « تركية وفرنجية استوجب استعمالها ما طرأ ، في فترات مختلفة ، على الجيوش المغربية ومعداتها الحربية من إصلاحات و « اضافات » نتجت عما كان بين المغرب وبين دول البحر المتوسط ، من علاقات ودية واصطدامات عدائية ، واستوجب استعمالها كذلك ما انتشر من كلمات اسبانية واطالية ،،، إلخ بالموانيء ، ومعاقل الاسرى ومجالات فيالق المرتزقة من الاجانب الذين حكمت عليهم الظروف باللجوء الى هذه البلاد (15) .

لم تكن هذه الالفاظ والعبارات الدخيلة مستعملة عند المؤرخين فحسب بل شاع استعمالها كذلك في الرسائل الرسمية المحررة في دواوين ملوك الدولة العلوية ، ولاسيما منذ عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن أي منذ ان كثرت المراسلات بين الحكومة المغربية وممثلي الدول الاوربية المستقرين بمرافيء الايالة (16) .

---

15) من تلك المفردات والعبارات نذكر ما يلي : « صقالة » ، « مينات » ، « الطفات » « كرنطينة » ، « باشادور » ، « سنجق » ، (فرتونة) ، (زمنووط) ، (ستايرية) ، « سقلابية » الخ (المؤلف) (انظر شرح هذه الكلمات : ص 82 من النص الفرنسي)

16) Voir 1°) « Choix de correspondances marocaines » Par Fumey (Paris 1903) ; 2°) « Les Letteres chérifiennes » -- Nehlil (Paris 1916)

أحمد المنصور - شيخه المنجور - الفشتالي - ابن القاضي



المنصـور : قامت الدولة السعدية بعد انقراض دولة بني مرين وبني وطاس الذين حكموا المغرب اكثر من ثلاثمائة سنة ، ولكن رغم تاييد الشعب لاولئك الاشراف الذين تصدوا للذوذ عن البلاد وتطهيرها من النصارى ، لم يستتب لهم الامر اكثر من مائة وخمسين سنة ، ولم يشتهر منهم الا ملك واحد وهو ابو العباس احمد المنصور الذي نهض بأعبائه أحسن نهوض ، فوسع مجال نفوذه ، ونشر الامن في البلاد ، ووطد دعائم العمران وقرب الادباء والعلماء .

كان أبو العباس ملكا واسع الثقافة ، مواظبا على طلب العلم رغم ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه ، حتى ان شيخه المنجور لقبه في **فهرسته** بـ « عالم الخلفاء وخليفة العلماء » (1) .



المنجـور : هو العالم أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله المنجور (2) المكناسي المحتد ، الفاسي المولد - (ولد سنة 926 هـ) - درس بالحاضرة الادريسية على علماء اجلاء نذكر منهم عبد الرحمن بن علي سقين الذي كان يعلم في دهليس رياضه بالزربطانة (وردت ترجمته في الكتب المذكورة في التعليق رقم 2) ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليستني وقد لازم حلقته إحدى عشرة سنة (3) .

---

1) ومن المشارقة الذين اثنوا على المنصور نجد الخفاجي وذلك في كتابه **ريحانة الالباء** ص 142

2) وردت ترجمته في فهرسته ، وفي **نيل الابتهاج** ص 80 و**جذوة الاقتباس** ص 67) و **سلوة الانفاس** ج 3 ص 62 . و **دوحة الناشر** (ص 1 - 6 و **نزهة الحادي** (ص 27 - 133 _ 135)

3) ترجم المنجور في **فهرسته** لطائفة من شيوخه ، منهم أبو الحسن علي بن موسى المطغري وعبد الواحد الونشريسي .

كان المنجور عالما مشاركا ذوي الادراك ، لم يستنكف من الاهتمام بالامثال الشعبية واللهجات الاندلسية . بل تعلم لعب الشطرنج والضرب على العود ، عاش بفاس ثم بمراكش وتفقه عليه كثير من الطلبة اشهرهم أبو عبد الله محمد الرجراجي قاضي الجماعة بمراكش ، ، وابراهيم الشاوي قاضي تامسنا وأبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني قاضي الجماعة بفاس والمؤرخ ابن القاضي (الذي تولى القضاء بفاس ثم مكناس) الخ ،، كما كان من تلامذته أحمد بابا التنبكتي صاحب نيل الابتهاج الذي حلاه بـ « آخر فقهاء المغرب ومشاركيهم » . الا ان امجد من أخذ عنه وأعلاهم طبقة ، قاهر المسيحية أبو العباس المنصور .

كان المنجور يزور ، كل سنة ، المنصور بمراكش ، ويشرح في مجلسه مصنفا من مصنفات العلوم الاسلامية ، ثم يعود الى فاس مزودا بالهدايا السنية والعطايا الزكية ، الا ان ذلك العالم الجليل ، سرعان ما كان يوزعها على الفقراء والمنكوبين ، موثرهم بها على نفسه وان كان في أشد الخصاصة .

مات المنجور بفاس في السبعين من عمره في السادس عشر من ذي القعدة ، سنة 995 هـ (19 اكتوبر 1587 م). ودفن خارج باب الفتوح قرب قبر شيخه اليستني ، حسب ما ورد في **سلوة الانفاس** .

أجاز الشيخ المنجور تلميذه ، احمد المنصور ، اجازة « كاملة وشاملة » في العشرة الاواخر من شهر رجب 989 هـ . (21 — 30 غشت 1581 م) وكتب ، بطلب من المنصور نفسه ، فهرسة شيوخه موضحا فيها طبقتهم العلمية وتاريخ ولادة ووفاة كل منهم .

تشتمل هذه **الفهرسة** (×) على معلومات قيمة عن الحركة الفكرية بالمغرب في ذلك العهد ، وقدم فيها المنجور صورة مشرقة عن المنصور ، اذ حلاه بأحسن الصفات الخلقية ووسمه بأجمل السمات العلمية بحيث عده من جملة شيوخه في التاريخ والادب .

(×) حقق الاستاذ محمد حجي ، سنة 1976 **فهرست المنجور** وعلق عليها بما يوضح مضمونها .

لم يذكر المنجور الاحداث التاريخية التي كانت سبب جلوس **المنصور** على العرش ولا التي وقعت ابان خلافته ، ولذا كان من الضروري أن يقوم بعض الكتاب بوصف ما وصلت اليه الدولة السعدية ، زمان ذلك **الخليفة** العظيم ، من ازدهار وعمران ، ورغد العيش ، نتيجة انتصاره على **البرتغال** وفتحه للسودان ، وما دره عليه ذلك من نعم وخيرات .

★ ★

عبد العزيز الفشتالي : اننا من حسن الحظ ، نتوفر على مؤلف لابن القاضي ، طرق فيه ذلك الموضوع ، كما اننا نعرف ، من خلال بعض كتب التاريخ والتراجم التي دونت فيها بعد ، ان المنصور كان كلف أحد كتابه بتدوين **حوليات** يضمنها كل أمر ذي شأن مما قد يقع في المغرب طيلة عهده . وذلك الكاتب هو ابو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الصنهاجي الفشتالي المولود عام 956 هـ (1549) والمتوفى سنة 1031 هـ (1621م) بمراكش (4) .

أجمع مترجمو الفشتالي انه كان، متولي تاريخ الدولة » و « وزير القلم الاعلى » وانه نظم ، بصفته شاعر البلاط الرسمي ، أكثر مقطوعات الشعر المنقوشة على المرمر ، وعلى الخشب في أروقة قصر البديع ، وداخل اجنحته في مدينة مراكش (5) ، ولا زال بين ابدينا باقة من المولدات التي كانت تجود بها قريحته في الحفلات الفخمة التي كان يقيمها المنصور في « البديع » كل سنة بمناسبة احياء ذكرى المولد النبوي .

---

4) ترجم لعبد العزيز الفشتالي :

ابن القاضي ، **درة الحجال** ، ونقل ذلك الافراني في **نزهة الحادي** ، 164، المقري، **نفح الطيب** (طبعة القاهرة سنة 1302 ، 3 ، 10 وما بعدها) ، الخفاجي ، **ريحانة الالبا** ، 180 ، القادري ، **نشر المثاني** ، 1 : 140 ـ 142 ، الناصري ، **الاستقصا**، 3 : 79 وأماكن أخرى ، أكنسوس ، **الجيش العرمرم** ، 1 : 159 ، **محمد السائح** ، **المنتخبات العبقرية** ، 33 .

5) أورد الافراني بعضها في **نزهة الحادي** .

ان المؤلفات التاريخية المنسوبة للفشتالي تعتبر مفقودة ، ولا نعرف منها الا كتابه **مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء** الذي ضاع كذلك (6) وقال عنه المقري أنه يتألف من ثمانية مجلدات ، وقد استعمله المؤرخ الافراني ، وذكر ابن القاضي انه يشتمل على تاريخ دولة الاشراف السعديين منـــذ نشأتها حتى عهد المنصور ، ويتضح من المقتبسات الطويلة التي اخذهـــا مؤرخون لاحقون من كتاب الفشتالي ان المؤلف جعل كتابه مديحا وتقريظا لاسرة المنصور الشريفة ، ويبدو ان الفشتالي وجد في العمل التاريخـــي الذي وكله اليه المنصور فرصة لابراز موهبته كناثر وكشاعر ، لدرجة ظهر معها كتابه أشبه بديوان شعر ، تبدو فيه المادة التاريخية على شكل لحمة لوصل القصائد في الكتاب ، ومع ذلك يبقى كتاب **المنــاهــل** ذا أهميـــة تاريخية لا يستهان بها اذ قد وصفه الافراني بأنه يضم تفاصيل دقيقـــة عن حكم المنصور وعن الاحداث التي وقعت في عهده .

لا شك أن أجود ما في كتاب الافراني وأجداه هو «خلاصات ومقتبسات» عن الفشتالي فيما يتصل بتنظيم البلاط المنصوري على النمـط التركـــي ، وتنظيم الجيوش السعدية ، وببناء قصر البديع الذي أراد المنصور أن يجعل منه أثرا خالدا لاسرته ، والذي احضر رخامه خصيصا من ايطاليا ، مقابـــل وزنه سكرا من انتاج معاصر القصب التي كانت قائمة اذ ذاك على طــــول الشاطىء الاطلسي بالمغرب .



ابو عبد الله محمد الفشتالي والتمكروتي :

يخبرنا الافراني عن كتاب تاريخي آخر عنوانه **الممدود والمقصـور مـن سنا أبي العباس المنصور** ألفه كاتب آخر من كتاب المنصور ، وهو ابو عبد الله محمد بن عيسى . الا اننا لا نعـــرف شيئا عن ذلك الكتاب ولا عـــن صاحبه (7) .

---

6) نشر قسما من هذا الكتاب الاستاذ عبد الله كنون (منشور جامعة محمد الخامس الرباط 1964)

7) ذكره صاحب **دليـل مؤرخ المغرب** تحت رقم 598 . وقال هو من التآليف الضائعة وان مؤلفه مات سنة 990 هـ في سجن المنصور الذهبي (المعرب) .

وكان يعيش ببلاط المنصور كاتب ثالث اهتم ايضا بالتاريخ ، وينتمي الى قبيلة فشتالة ، وهو أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي (8) الذي صحب، سنة 1003 هـ (1594 ـ 1595م) الشيخ علي التمكروتي سفير المنصور الى الخليفة العثماني .

عرف أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي بتعاطيه للشعر ، ويوجد له بخزانة الرباط (رقم 538) ارجوزة في التاريخ عنوانها الوفيات نظمها حسب ما قاله في مقدمتها ، كتكملة لوفيات ابن قنفد القسنطيني(9) و لقط الفرائد لابن القاضي ويفيدنا القادري ان ابا عبد الله المكلاتي (10) اتم أرجوزة محمد الفشتالي وان الحافظ ابا العباس احمد بن أبي المحاسن يوسف الفهري الفاسي (11) الف أرجوزة اخرى في هذا الموضوع وجعلها خاتمة لسابقاتها .

وأما التمكروتي الذي أشرنا اليه اعلاه فهو أبو الحسن علي بن محمد ابن علي بن محمد ، اصله من تمكروت ، حيث الزاوية الناصرية . اختاره أبو العباس المنصور ليترأس سفارة القسطنطينية ،وقد دون بتلك المناسبة رحلة سماها النفحة المسكية في السفارة التركية (12) وأورد فيها معلومات تاريخية لا بأس بها ، اقتبس منها الافراني ،ولكن أهمل ذكر صاحبها .

---

8) ترجم لمحمد بن علي الفشتالي في نفس المراجع المذكورة في التعليق رقم 4 ، واما التمكروتي فقد عرف به ابن القاضي في المنتقى المقصور والخفاجي في ريحانة الالباء والقادري في نشر المثاني .

9) هو ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني الملقب بقنفذ ، توفي سنة 810 هـ (1407 ـ 1408 م) ، ذكره ابن القاضي في جذوة الاقتباس (ص 79) واحمد بابا في نيل الابتهاج (ص 57) والقادري في نشر المثاني (ج 1 ص 4) وذكر ابن مريم مؤلفاته في البستان (ص 308 ـ 309) (المؤلف) .

10) ابو عبد الله محمد المكلاتي أخذ عن عبد الرحمن الفاسي ، توفي سنة 1041 هـ ، ذكره القادري في النشر ج 1 ص 160

11) انظر القسم الخاص بالتراجم .

12) قام بنشرها وترجمتها الى الفرنسية هنري دو كاتسري (باريس 1929 م) (المعرب)

أشار الافراني ، في الفصل الذي خصصه في **النزهة** للكلام على جيوش المنصور الى رحلة أخرى استفاد منها ، وهي **رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب** لابي العباس احمد افقاي (13) الا اننا لم نعثر على أي ترجمة لمؤلف تلك الرحلة التي تعد مفقودة .



ابن القاضي : اذا كان كتاب الفشتالي قد ضاع كله او جله ، فان لدينا كتابا لمؤرخ معاصر له ، وهو **شهاب** الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ابن علي بن عبد الرحمان بن أبي العافية المكناسي الزناتي المعروف بابن القاضي . والمولود سنة 960 هـ (1552 ـ 1553م) (14) .

يرجع نسب ابن القاضي الى عشيرة زناتية ، استقر كثير من أبنائها **في فاس وركناس** ، واشتهرت طائفة من فرع « ابناء القاضي » بتضلعهم في العلم .

كان « ابناء القاضي » يدعون انهم من ذرية الامير موسى بن ابي العافية الذي انضم الى **الفاطميين** في القرن العاشر وحارب من كان اذ ذاك **بالمغرب من الامراء الادارسة** (15) .

---

13) اقتبس الناصري ما ورد في الترجمة من اقتفاء الاستقصاء ج 3 ص 84) ولكنه جعل « افغاي بدل افقاي » و رحلة الشباب عوض رحلة الشهاب (المؤلف) . وذكر ابن سودة في **الدليـــل** «رحلـــة الشهاب» رقم 1475 ووردت ترجمة «فوقاي» شهاب الدين الحجري في **الاعـــلام** ج 2 ص 69 ، ومعها نبذة من رحلته (المعرب) .

14) نجد بعض اخباره في مؤلفاته وفي **صفـوة من انتشـر** (ص 77) و **النشـــر** (ج 1 ص 128 و **اقتبـــاس الـــدرر** (كراسة 8 **البـــدور الضاويـة** للحوات (مخطوط بخزانة الرباط رقم 394 ـ كراسة 29 و 30) و **سلـــوة الانفـــاس** (ج 3 ص 133 و **الدرر البهيـــة** للفضيلي (ج 2 ص353) الخ. (المؤلف) .

15) قال ابن القاضي في مؤلفه **جـــذوة الاقتباس** (ص 227 ـ229) بمناسبة ترجمته لموسى بن العافية ما معناه : « اننا ننتسب الى هذا الامير ، ولكن الله اعلم بالحق ، وعلى كل حال فاني أستنكر معاملته لذرية الرسول (يعني الادارسة) وأشهد الله وملائكته انني عبد لابناء الرسول ومحبهم » والظاهر انه قال ذلك تملقا للاشراف ، وبوجه خاص للسعديين .
هذا وقد ذكر الكتاني انه طعن في انتساب ابن القاضي للبيت النبوي (المؤلف) .

تلقى ابن القاضي العلم بمراكش وبفاس ، اخذ بفاس عن والده ، وعن العلامة ابي العباس المنجور ، وأبي عبد الله محمد بن قاسم القصار (16) وابي يعقوب بن يحيى اليدري المتوفى سنة 999 هـ (1595 م) وبمراكش عن المفتي عبد الواحد السجلماسي المتوفى سنة 1003 هـ (1595م) وأبي زكريا يحيى بن محمد السراج الاصغر (1007 هـ 1598م) وابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال بن محبر المساري (983 هـ / 1576 - 1577 م) والفقيه المشارك احمد بابا السوداني صاحب **نيل الابتهاج** ، وأخذ ايضا عن أبي المحاسن يوسف الفاسي .

برع ابن القاضي في الحساب وفي العلوم التي « يعوم فيها كالسمك في الماء ويحلق فيها كالصقر في السماء » ، وقد رحل الى ديار المشرق حاجا حيث مكث مدة طويلة وسمع عن عدة علماء كبار منهم ابراهيم العلقمي (17) وابي زكريا يحيى بن محمد الحطاب (995 هـ - 1589 م) ومحمد بن يحيى بدر الدين القرافي (1008 هـ - 1600 م) .

لما كان ابن القاضي عائدا الى بلاده ، علم وهو في فزان بمكان اسمه « المخاطين » ، شهر اكتوبر 1578 م . بانتصار المنصور على اعدائه البرتغاليين في معركة وادي المخازن ، وقتل ملكهم .

لاشك انه كان يعيش في كنف المنصور ، 994 هـ (1585 - 1586 م) لانه ، في تلك السنة ، استأذنه في الذهاب الى القاهرة لطلب « العلم الشريف ». وركب متن البحر ، قاصدا مصر ، ولكن اسره قراصنة البحر النصارى في الرابع عشر من شعبان (994 هـ) ، وبعد احد عشر شهرا في الاسر والحرمان افتداه المنصور الذهبي ، فمدحه بقصيدة طويلة انشدها بمجلسه يوم وصوله الى مراكش (8 شعبان 995 هـ - 14 - 7 - 1587 م).

---

16) توفي سنة 1012 هـ (1604 م) ترجم له في **مرآة المحاسن** (ص 149) و **النزهة** (ص 192) و **السلوة** (ج 2 ص 62) الخ .

17) ذكره الخفاجي في **الريحانة** ص 255.

مكث ابن القاضي بمراكش مدة ثم اسندت إليه خطة القضاء بسلا ، ولكن لم يلبث ان صرف عنها ، فانتقل الى فاس حيث استقر وتطوع للتدريس وشرح **صحيح البخاري** بمسجد الاباريين ، وكان من تلامذته أبو العباس احمد بن يوسف الفاسي واحمد المقري صاحب **نفح الطيب** .

قصد ابن القاضي ، في آخر عمره ، الزاوية الدلائية حيث اهتم بتثقيف محمد ابن الشيخ ابي بكر الدلائي ، ثم عاد الى فاس ، وهناك وافاه الاجل المحتوم ، في شهر صفر عام 1025 ، فأقام الصلاة على جثمانه تلميذه احمد المقري ، امام جامع القرويين اذ ذاك ، ودفن خارج باب الجيسة قرب ضريح الشريف الادريسي السجلماسي سيدي محمد بن الحسن .

مؤلفات ابن القاضي : ترك أربعة عشر كتابا ، اربعة منها تراجم أدبية ، سندرسها في القسم المخصص لها ، وثلاثة مصنفات تاريخية ، وهي **المنتقى** و **درة السلوك** وشرحها (18) .

خصص **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور** للاسرة السعدية ، بل للملك احمد المنصور الذهبي ، ويبدو من صفحة الكتاب الاولى ، أنه قدمه له اعترافا بجميله اذ افتداه من الاسر ، فهو يعدد فضائله ، ويسهب في عرض مناقبه وصفاته الخلقية والخلقية ، ريشد بعدله ونزاهته وورعه ومعارفه ، وصبره وعنايته بالعلوم وبموسم المولد النبوي وما الى ذلك ، وتطلعنا ، من خلال هذا الوصف ، معلومات تاريخية قيمة ، وخاصة في مستهل الكتاب حين يتحدث ابن القاضي عن نسب الاسرة السعدية موجزا لان سابقيه تناولوا ذلك ، ثم يبدي الشك في نسب واحد من جدود الاسرة،

---

18) وعناوين الكتب الاخرى هي : **الفتح النبيل بما تضمنه من اسماء العدد والتنزيل** و **غنية الرائض في طبقات اهل الحساب والفرائض** و **المدخل في الهندسة** و **نظم تلخيص ابن البناء** و **نيل الامل فيما به من المالكية جرى العمل** و **تقييد على جداول الحوفي** و **نظم منطق السعد** .

وبعدها يتحدث عن ميلاد السلطان المنصور بفاس (سنة 956 هـ ـ 1549م) ويذكر كيف تقلد زمام الملك بعد معركة وادي المخازن ، وبالمناسبة يـورد ملخصا عن تلك المعركة (19) ويقارنها بمعركة بدر ، ثم يستطرد الى ذكر الفتوحات التي تمت على يد جيوش المنصور بالسودان وتوات وتكورارين (كرارة) .

لا يستطيع الا القاريء النبيه ان يلتقط المواد التاريخية الغارقة في خضم التقريط والمديح للسلطان ، وهي جد قليلة ، وهكذا يتسنى له ان يعرف إن المنصور اهتم بتنظيم اسطوله البحري ، وبتحسين المراســي ، وأنه بنى بفاس برجين اولهما غربي باب الجيسة وثانيهما بالجنـــوب الغربي من باب الفتوح ، وأن يطلع أيضا على الابيات الشعرية التي أمـر المنصور بنقشها على الخصة المرمارية التي ارسلها سنة 996 هـ (1588م) من مراكش الى فاس ليزين بها صحن جامع القرويين .

إن المؤرخ الافراني سجل في كتـابه **نزهـــة الحـادي** المعلومـــات التاريخية التي يشتمل عليها **المنتقـى**ولم يغفل إلا عن القليل منهـــا فانه لم يشر الى نص الحوالة الحبسية التي تتعلق بالوقف الذي خصصه أم المنصور ، السيدة عودة بنت عبد الله الوزكتي الورزازاتي (20) لصالح مسجد اقامته بمراكش قرب باب دكالة ، وقد حرر تلك « الحوالة » الكاتب عبد العزيز الفشتالي وصادق عليها احمد المنصور نفسه .

---

19 ان هذه المعركة كانت ذات أهمية عظيمة ، خلافا لما يظنه الاستاذ كور وأعرب عنه في كتابه **الدول الشريفة بالمغــرب** ، وتشتمل الوثائق التي نشرها دو كاستـــري (السلسلة) الاولى من المحفوظات الفرنسية ج 2 على ما يؤيد هذا الحكم تأييدا لا غبار عليه (المؤلف)

20) لا زال قبر هذه السيدة معروفا بمقبرة السعديين في مراكش .

فالمنتقى في فصوله الثمانية عشر ، مليء بالشعر والاستطرادات الهامشية ، والفوائد الدينية ، ومثال ذلك انه بينما يتحدث عن تقوى المنصور ، في الفصل السادس ، يدخل في حديث طويل عن فوائد مخافة الله ، وخلال ذلك كله ، يورد اربع عشرة مقطوعة شعرية ، في كل منها من عشرة الى عشرين بيتا ، ثم يعود الى فصله ليختمه ببضعة سطور ، مكررا برتابة هذه العبارة « ولنرجع الى ما كنا بصدده » .

شرح ابن القاضي اسلوبه الانشائي في مطلع كتابه وذلك حيث قال: « ،، وقد اذكر بعض حكايات وقصائد ومقطعات انشدتها ، وملح غريبة استحسنتها ليكون ذلك كالمعين على مطالعة الكتاب لان النظر في فن واحد قد ترغب عنه النفوس ، بخلاف ما اذا نمي بغيره فقد يسلي العبوس ،،، والخاتمة اذكر فيها نكتا غريبة ، وطرقا عجيبة يصغى اليها المنتهي والشادي ، والعاكف في ربع الادب والبادي » فالاستطرادات في نظره ترطب من جدبة الفصول وتجعل قراءتها متعة .

لاشك ان ابن القاضي قد كتب **المنتقى** ، كما قلنا ، في بادرة عرفان بجميل من افتداه من الاسر ، وانه لم يفكر في وضع كتاب في التاريخ وذلك ، فيما نرجح ، لئلا يغضب الفشتالي مؤرخ الدولة الرسمي ، ولا يقف منه موقف الند المنافس .

لا ندري هل نظر المنصور الى **المنتقى** بعين الرضى والاستحسان الا اننا نلاحظ انه لم يلبث ان عين مؤلفه قاضيا بسلا .

لابن القاضي أيضا ارجوزة تاريخية عنوانها : **درة السلوك فيمن حوى من الملوك** لا ندري متى الفها . انه ذكر فيها الدول الاسلامية ، وبصفة خاصة ، الاسر الحاكمة التي توالت بالمغرب الى زمانه ، وقد اكملها ، بناء على طلب المنصور ، بشرح سماه **الدر الحلوك المشرق بدر السلوك** (21) .

---

21) يوجد بخزانة الرباط مخطوط للسلوك وشرحه تحت رقم 372 .

تقع الارجوزة في اربعمائة بيت بدأها بالسيرة النبوية اوجزها في عدة أبيات ثم انتقل الى الامويين فالعباسيين فالفاطميين (أو العبيديين) ثم الايوبيين وينهي القسم الاول من الارجوزة بذكر سلاطين آل عثمان /- ثم خصص القسم الثاني للمغرب : انه اعرض عن الاندلس وعن الموحدين ولكنه ذكر الادارسة ومن بينهم جده موسى بن أبي العافية ، ثم مغــــراوة ولمتونة وبني مرين ، وأشار ، في اربعة أبيات ، الى أمير فاس مــــزوار الشرفاء محمد بن علي بن عمر الجوطي (869 — 876 هـ / 1561 — 1569م) ثم الى بني وطاس ليصل الى السعديين الذين لقبهم « بشرفاء ينبـــــع الزيدانيين » .

ان الاربعمائة بيت التي تستمل عليها الارجوزة لا يمكن الا أن تكون « جريدة » إسماء وتواريخ جافة لا يزيدها ما يقتضيه النظم من حشو الا غموضا وتعقيدا . أما الشرح فانه مفصل شيئا ما ولكنه لا يسمن ولا يغني من جوع . فانه لا يتضمن اكثر من أسماء الملوك وسنيهم ونسبهم وتواريخ وصولهم الحكم ووفاتهم ، وأحيانا لوائح فيها اسماء وزراء وكتاب وحجاب وقضاة الخ .

فالقسم الذي خصصه ابن القاضي للسعديين في الارجوزة (59 بيتا) وكذا في الشرح (6 صفحات) لا يفيد القاريء الا بمقدار ضئيل مــــع ان الكاتب كثيرا ما يحيله إلى كتبه الاخرى ولاسيما **المنتقـــى و جـــدوة الاقتبـــاس** و **درة الحجـــال** .

ب – الافراني و «نزهـــة الحادي»

لما قام الاستاذ هوداس سنة 1889 م بنشـــر نزهـة الحـادي لـم يستطع إن يعرف عن مؤلفه الافراني ، اكثر مما استقاه ، في هذا الصدد ، من الكتاب نفسه .

نستنتج مما ورد في كتب التراجم ان نسبة «الافراني» و «اليفراني» أو «الوفراني»، وقد اخترنا الاولى - نسبة الى «افران» القبيلة السوسيـــــة المستقرة بحوض وادي درعة .

هو أبو عبد الله محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الافراني الملقـــب بالصغير . ولد بمدينة مراكش حوالي 1080 هـ (1669 – 1670 م) ، درس بمسقط رأسه على الفقيه ابي العباس احمد بن علي المواسي السوسي (22) ثم رحل الى فاس فأكمل دراسته في جامع القرويين حيث اخذ عن عدد من كبار العلماء منهم الفقيهان عبد الحي الحلبي ومحمد بن عبد الرحمان ابـــن عبد القادر الفاسي (23) .

يخبرنا الحوات ان الافراني أتم باكورة انتاجه في الثامن والاربعين من عمره ، وهو مؤلفه , المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل (24) وهو كتاب متداول اليوم عند الادباء المغاربة .

ويخبرنا الحوات كذلك ان الافراني كان يومئذ بالمدرسة الرشيدية في فاس ، ولكن لم يوضح لنا هل كان مقيما هناك لطلب العلم لم للتدريس .

---

22) ولد هذا الفقيه بمراكش سنة 1050 هـ (1640 – 1641 م) وتوفي سنة 1130 هـ ، قرب ضريح الامام الجزولي (صفوة من انتشر ص 223) .

23) سنتكلم عن هذين العالمين في القسم الثالث المخصص للتراجم .

24) طبع هذا الكتاب في فاس (المطبعة الحجرية سنة 1324 م).

ومما يجعلنا نرجح إنه كان من حاشية المولى اسماعيل ، ذلك الكتاب الذي دون فيه اخباره وعنوانه **الظل الوريف في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف و روضة التعريف بمفاخر** ،،، وقد انتهى منه سنة 1133 هـ، أي خمس سنوات بعد انتهائه من **المسلك السهل** وهو لسوء الحظ كتاب فقد أثره (25) .

ألف الافراني **صفوة من انتشر** (26) ، حسب رواية الحوات ، سنة 1137 هـ وعلى هذا فيكون قد انكب ، قبل ذلك ، على تصنيف كتبه الاخرى التاريخية ، وهي **درر الحجال في مآثر سبعة رجال** ولم يتمه (27) و **المعرب في اخبار المغرب** وهو مفقود كذلك ، وأخيرا **نزهة الحادي** . وغير التاريخية وهي : **الافادات والانشادات و طلعة المشتري في ثبوت تواب الزمخشري** و **فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث** .

اننا نجد في كتاب الدرعي **الدرر المرصعة (28)** وكتاب القادري **التقاط الدرر** ان الافراني عمر طويلا ، وانه مات حوالي 1151 هـ لا 1140 هـ ، فصاحب : **الدرر** ذكر في ثنايا ترجمة العارف الكبير احمد بن ناصر ان الافراني امتدحه بقصيدة انشدها بنفسه وكان قد جاوز السبعين من عمره ، وأنه كان إذ ذاك اماما وخطيبا بالمسجد اليوسفي بمراكش ، وفي نفس الوقت بالتدريس . قال صاحب الاديب النحور اللغوي البياني المحدث أبي عبد الله محمد الافراني وقد لقيته بمحروسة مراكش بمسجد علي بن يوسف وهو الامام والخطيب به وذلك في صدر سنة 1151 هـ وانشدني

25) انه لمن حسن الحظ ان عثر الاستاذ عبد الوهاب بن منصور على مخطوط هذا الكتاب فحققه واشرف على اخراجه بالمطبعة الملكية (1382 هـ — 1962 م).

26) انظر القسم الخاص بالتراجم .

27) أكد ذلك في كتاب **الاعلام** ج 1 ص 23 (المعرب) .

28) ورد في «دليل مؤرخ المغرب ، تحت رقم 86 (المعرب) .

بعض القصيدة التي امتدحه بها وناولني بقيتها مع كراسة من نظمه ، ثم ذكر قصيدته التي قالها بعد الرحلة وقد بلغه طعن الطلبة عليه حين تصدى للتدريس ونصها (29) :

الى كم يهتك الحساد عرضي
وجفني عنهم بالحلم مغض
وما ذنبي اليهم غير اني
رفعت عليهم من غير خفض
يرون العلم في حبس وشيب
وذاك عليهم بالجهل يقضي
وهل في خطة الاحباس شيء
سوى غضب الاله وهتك عرضي (30)
وكم من أشيب كالبغل يمشي
ولحيته اللجام له بركض
ولو تركوا حظوظ النفس كانوا
جميعا ظامين لورد حوضي
وتاهوا في فجاج الحفظ مني
ولم يصلوا الى طول وعرضي
وجاؤوا مهطعين لبحر علم
يفيض على المجالس أي فيض
جمعت من النفائس كل علق
وحزت من اللطائف كل غض

---

29) نقلت هذا النص من كتاب اظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال (المطبعة الحجرية بفاس) للقاضي العباس بن ابراهيم المراكشي ص 182 ـ 183 (المعرب) .

30) يرى المؤلف المترجم لهذه القصيدة ان الافراني يلمز هنا الى الاختلاسات التي يرتكبها عتاة المكلفون بشؤون الاوقاف .

وحلاني اللـه بـدر علـم
يفيض علـى المجالس أي فيض
جمعت من النفائس كل علـق
وأعطاني القبـول بكـل ارض
وحصلت العلـوم بجوع بطـن
وخوض في المباحث أي خـوض
وكم من ليلة قد بت فيهـا
سمير دفاتر مـن غير غمض
أخذت العلم عن اشياخ صدق
وأعلمت المطي لكـل مـرض
وبعض مشائخي الابـرار لاقي
نبي اللـه عيسى دون رفض
فقل لشيوخ مراكش هلمـوا
بانصاف لتصطحبـوا بروضـي
ولا يحملكم كوني صغيرا (31)
علـى انكار مرتبتـي وبغضـي
فان العلم نـور اللـه يعطـي
انارتـه لبعـض دون بعـض

لم يصلنا من نظمه إلا هذه القصيدة واخرى في مدح ابي العباس السبتي (32) والبيتان اللذان ارتجلهما مفتخرا :

انا أشعر الشعـراء غير مدافـع
مـن قال لست بشاعر يأتينـي
فكري هو البحر الخضم شبيهـه
والبحر حاوى الجوهر المكنوني (33)

---

31) ربما يشير هنا الى لقبه « الصغير » (المؤلف) .

32) ابياتها مثبتة كذلك في اظهار الكمال .

33) ص 310 (ط هوداس) .

زعم ابن الموقت في كتابه **السعادة الابدية** ، ان الافراني دفن بالمسجد اليوسفي تحت بلاط حجرة الجنائز ، وان نخلة صغيرة نبتت على قبره وهي لا زالت قائمة الى يومنا هذا .

اننا لا نعرف الكثير عن حياة الافراني ولا ندري ما هي « المصيبة » التي نزلت به وأشار اليها في كتابه **نزهة الحادي** وكل ما نعرفه عنه انه نكب في حياته وشكا جشع الناس للمال ، ويبدو انه وقع في ضائقة مالية حتى ان دائنيه باعوا مكتبته الشخصية ، وقد عبر عن غيظه في رسالة من جملة الرسائل التي كان يوجهها لرئيس الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد الشيخ محمد الصالح بن محمد المعطي الشرقي .

وكيف ما كان الامر فان المؤرخ الافراني يتمتع اليوم بسمعة طيبة في الاوساط الادبية المغربية ، ويحظى بكامل التقدير ، وان كتاب **نزهة الحادي** يعتبر أكمل تاريخ للدولة السعدية بعد **مناهل الصفا** للفشتالي.

★ ★

نزهة الحادي

أطلعني فضيلة القاضي العباس بن ابراهيم على نسخة من رسالة كان قد وجهها الافراني للشيخ محمد الصالح الشرقي ، وتسنى له استنساخها بزاوية ابي الجعد . واليكم الفقرة التي تهمنا منها :

الغيـاث الغيـاث يـا أحـرار
نحـن خلجـانكم وأنتـم بحـار
انمـا تحسـن المواسـاة في الشـ
ـدة لا حيـن تـرخـص الاسعـار

« وقد اكملنا كتابنا صفوة من انتشر ، في اخبار صلحاء القرن الحادي عشر في خمسة عشر كراسا ، وهو كتاب حفيل ، ذكرنا فيه والدك ، وكل ما فيه من الغرر والفوائد فهو منقول من نحو خمسة وعشرين كتابا ، وهو عندي قربة الى الله ، فان اردت نسخة فابعث من ينسخها لك ، ولو رأيت تراجمه قبلت برجمه ، وكذلك كتابنا **نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي** .

يتضح من هذه الرسالة ومن مقدمة **الصفـوة** ان **النزهـة** الف قبـل **الصفـوة** وبعد **الظـل اوريـف** المخصص لذكر مفاخر المولى اسماعيـل ابن الشريف . لماذا يا ترى بدا له أن يدون تاريخ دولة بعد تراجم الصالحين، معرضا هكذا عن تقصير اهتمامه على ذكر إخبار دولة قد قويت شوكتهـا وانتشر نفوذها ؟ ألان **الظـل** قوبل بشيء من الغضاضة ؟

فانه والحق يقال ، قد ختم **النزهـة** بأخبـر المولى اسماعيل فامتدحه وأثنى عليه ، ولكن انكبابه على تدوين اخبار ملوك انقرضوا ، لا يخلو ، في نظرنا من جرأة .

بدأ المؤرخ كتابه **نزهـة الحـادي** بنشأة الاسرة السعدية وتعرض في آخره لبداية الاسرة العلوية الى عهد المولى اسماعيل ، فذلك الكتـاب «يغطي» اذن فترة قرنين من الزمان ، وان كان عنوانه يوحي بأنه سيقتصر فيه على تاريخ قرن واحد . وحيث ان الافراني اعترف نفسه انه يريد ان يتعرض لاخبار كافة الاشراف السعديين فانه ذلل تلك الصعوبة بقوله : « وهذه الدولة السعدية وان كان ابتداؤها عام ستة عشر من القرن العاشر . وأول الحادي ، فلذلك ادرجناها في الحادي وما قارب الشيء فهو له فـي الحكم محاذي » (34) .

خصص الافراني خمسة وسبعين فصلا من الواحد والثمانين التـي اشتمل عليها كتابه ، للكلام على الدولة السعدية ، وذلك حسـب قوله ، ليجعله ذيلا **لـروض القرطـاس** (35) و **روضة النسرين في دولة مرين**(36) الم يكن الحافز الحقيقي له على تدوين تاريخ الدولة السعدية ، هو ميله العاطفي الى اولئك الاشراف الذين كانوا بسوس ، موطنه ، وتربعـوا على العرش بمسقط رأسه ، مراكش ؟ فلنستمع اليه وهو « يئـن » قـرب انقاض البديع . قال :

---

34) **نزهـة الحـادي** (طبعة هوداس ص 2)

35) العنوان الكامل لهذا الكتاب هو **الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملـوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** (تأليف ابن ابي زرع) وقد طبع بالمغرب عدة مرات (المعرب) .

36) **روض النسرين في دولة بني مرين** لابي الوليد اسماعيل بن الاحمر طبع بالرباط ـ (المطبعة الملكية 1382 هـ ـ 1962 م) (المعرب) .

« امر بهدمه السلطان المظفر إسماعيل بن الشريف ، عام تسعة عشر ومائة والف لموجب يطول شرحه ، فهدمت معالمه ، وبدلت مراسمه ، وغيرت محاسنه ،،، وعاد حصيدا كأن لم يغن بالامس . ولما دخلت البديع مقفلي من الرحلة ورأيت ما هالني قرأت عليها أبياتا أنشأها محيي الدين بن عربي في كتابه **المسامرات** لما دخل الزاهرة فوجدها متهدمة

ديـار بأكنـاف الملاعـب تلمـــع
ومـا ان بهـا مـن ساكـن وهي بلقع
ينوح عليها الطيـر من كـل جانـب
فتصمـت احيانـا وحينـا ترجـــع
فخاطبـت منهـا طائـــرا متفــــردا
لـه شجـن في القلـب وهـو مـروع
فقالـت علام ذا تنـوح وتشتكـي ؟
فقال على دهر مضى ليس يرجع (37)

لا شك ان الافراني كان لا يرى ملكا اعظم من المنصور ، صديـــق الشعراء والمؤرخين اذ خصه هو وحده بثمانية وعشرين فصلا وصف فيها حياته ومفاخره وما كان له من أياد بيضاء .

اننا لا نرى ضرورة لتحليل كتاب **النزهـــة** تحليـلا مفصلا ، بل يكفي ان نذكر ان الافراني ضمنه تاريخ جميع السعديين الذين تولوا الحكم ، فعرف بنسب كل منهم وتاريخ جلوسه على العرش . ثم قفز بسرعة الـى حكم المولى عبد الملك فوقف قليلا عند النصر الذي إحرزه على جيـــوش سبسطيان . حتى اذا وصل الى زمن المنصور ، بدأ يكتب بحماس وتؤدة عن فتوحه ونشاطه العمراني ، فوصف قصر البديع وأورد معلومات مختلفة عن الاحتفالات الرسمية والدينية ، وعن فروع الادارة المركزية ، ثم تكلم عن الثورات التي قامت بعد وفاة المنصور . وعن اعمال المجاهدين الذين تصدوا، بمدينة سلا ، لمحاربة النصارى ، وعن الدلائيين الذين كان قد بزغ اذ ذاك

---

37) **نزهـــة الحـادي** (طبعة هوداس ص 113 ـ 114) .

نجمهم وبدأ يتألق ، وختم بالتحدث عن وصول الحسنيين للحكم ، وعن الملوك الذين وطدوا أسس الدولة العلوية وهم مولاي محمد بن الشريف،فمولاي رشيد فمولاى اسماعيل .

استند الافراني ، في تاريخه هذا على ثلاثة وأربعين مصدرا ، بعضها يتصل بالتاريخ العام وبعضها يتصل بتاريخ الاسرة السعدية ، كتاريخ الفشتالي ، و المنتقى و درة الحجال و الدر الحلوك لابن القاضي ، ولم تكن تنقصه الجرأة احيانا لما يورد في كتابه بعض العبارات التي لا يرتاح عادة لسماعها أرباب السلطة ولا تتسع لها صدورهم ولكنه كان دائما يتخلص من تبعتها باسنادها الى أصحابها .

واعتمد الافراني كذلك على عدة مراجع غير تاريخية لانه كان ، كسابقيه ، ميالا للاستطرادات الادبية ، مهتما بتسجيل ما كان يقع بين الادباء من المساجلات الشعرية وما كانت تجود به قريحته هو ، في مختلف المناسبات (38) وكل ذلك يدل على سعة ثقافته وقوة عارضته ، ومما يزيدنا تقديرا له انه كثيرا ما كان يستعمل ثقافته ومحفوظه ، لنقد أقوال بعض المؤلفين الذين اخطأوا في التعليل والتفسير .

وبالاضافة الى ما تقدم فان الافراني استطاع أن يرجع في تاريخه الى أوثق المصادر المعروفة في عهده ويستعملها استعمالا سليما ، وان يرجع كذلك الى بعض المستندات الرسمية بحكم وظيفته في المخزن بحيث توصل اليها ونقل منها بأمانة .

أورد في نهاية مؤلفه قائمة مصادر عربية مطولة من شأنها ان تساعد المتطلعين لدراسة الحركة الادبية بالمغرب .

وفي الختام فانه المؤرخ المغربي الوحيد ، في عصره الذي ترك لنا خلاصة عن حكم السلاطين الثلاثة الاولين من الاسرة العلوية . فكتابه النزهة يتسم بالجدية وجدير بان يعتبر وصلا لروض القرطاس ولكتاب العبر .

---

38) انظر مثلا ص 14 من النزهة (طبعة هوداس) .

ج - مؤلف مجهول كاتبه

يخبرنا الافراني في الفصل المخصص في **النزهــــة** للسلطان السعدي ابي محمد عبد الله الغالب بالله ان احد الكتاب اتهم ذلك السلطان بأنه سلم للنصارى مرسى « حجرة بادس » لئلا يستولي عليها الاتراك وأنه أمـــر القائد على وادة بالانسحاب عن مرسى « البريجة » التي كان قد حاصر فيها البرتغاليين واستولوا عليها (39) وبهذه المناسبة قال مؤرخنا : « وهذه أمور شنيعة ان صح انه فعلها ، ولست ادخل في عهدتها ، انما رأيتها في أوراق مجهولة المؤلف ، اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية ، وظني انها مـــن وضع اعدائهم للحط من قدرهم واخراجهم من النسب الشريف ، ووصــــف دولتهم بالدولة الخبيثة ، فلذاك تجنبت منها كثيرا من الاخبار التي لا تظن باولئك السادات الاشراف رحمهم الله (40) .

لم أكن اتصور ، وأنا أقرأ هذه الفقرة ، انه سيتسنى لي يوما مـــا العثور على ذلك المرجع الذي استنكر مؤرخنا موقف موقف صاحبه مـــن الاشراف السعديين ، وأنبه على اتهامه للغالب بالله بالخيانة والخذلان. ولكن ابتسم لي الحظ ذات يوم فعثرت عليه صدفة بمكتبة العالم السلوي محمد بن علي الدكالي . في شكل كراسات تضم نحو الثلاثين ورقة مبتور الاول ولا اثر فيه لاسم مؤلفه ولم اكداتصفحه حتى تيقنت اننــــي وضعت يدي على ضالتي المقصودة .

اخبرت ان ذلك المخطوط اقتني بفاس ، ولذا سميته بـ **مجهول فاس** وقد عقدت العزم على نشره وترجمته (41)

---

39) ورد ذكر هذه الاخبار ص 37 من **تاريخ الدولة السعدية** لمؤلف مجهول الاسم ، وهو الكتاب الذي اشار اليه ليفي بروفنصال وقام بتحقيقه ونشره الاستاذ جورج كولان (الربـــاط سنة 1934 ضمن مطبوعات معهد الدروس العليا المغربية (المعرب) .

40) **نزهـــة الحــادي** ـ طبعة هوداس ص 49) .

41) ولا شك ان المؤلف ليفي بروفنصال لم يستطع انجاز ذلك ، اذ الاستاذ جورج كولان هو الذي قام بنشر المخطوط ، وكان قد جمع ثلاث نسخ منه فتسنى له تحقيق اكمل (المعرب) (انظر التعليق رقم 39).

ان الصورة المثبتة في الصفحة الثانية تكفي لتعطينا فكرة عن الحالة الي وجدت عليها تلك النسخة من المخطوط « وهي نسخة قديمة بخط مندمج ، قريب من المختول » .

إنه عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الثورات والمؤامرات والاغتيالات والمحاصرات والغزوات التي توالت بالمغرب خلال القرن السادس عشر الميلادي .

استهل بذكر اخبار السلطان مولاي محمد الشيخ الملقب بالاصغر . وهو يشتمل على معلومات دقيقة عن إغتيال العالم عبد الواحد الونشريسي وعن حصار محمد الشيخ لمدينة فاس وانتصاره على احمد الوطاسي ، وعن فرار عم هذا الاخير الامير ابي حسون ، الى الاندلس ثم الجزائر ورجوعه الى فاس صحبة فصائل من الجيش التركي ، وآخر الامر عن موت ابي حسون وعن استيلاء مولاي محمد الشيخ على حاضرة فاس وقتله للعالم ابي محمد الزقاق .

لا يلبث متصفح هذا المخطوط ان يدرك ان صاحبه كان يرغب ، قبل كل شيء في تسجيل الاحداث التي وقعت في عهد الامير السعدي الاول محمد الشيخ لانه لم يخصص لخلائفه ، ومنهم احمد المنصور ، الا نتفا ضئيلة من الاخبار .

ويبدو من الظروف المحيطة بالاحداث التي ورد ذكرها في هذا المرجع ان مؤلفه يعرف بدقة ، مدينة فاس وحاراتها وسككها وأبوابها الخ ، ويكفي للاقتناع بذلك ان نمعن النظر في الفقرة التالية : « ،، انهزم مولاي محمد الشيخ ، وظفر ابو حسون المريني بمحلته ،، ودخل ولده عبد الله على باب الفتوح ، وجاز على قنطرة الرصيف ، وخاف ان يمر بوسط المدينة ، فرجع على وادي الصوافين ، وخرج على باب الحديد ولحق بأبيه » (42).

---

42) ص 18 من طبعة جورج كولان .

ويتجلى من الفقرة السالفة ان مؤلف المخطوط فاسي النشأة الا أنه من للصعب تحديد الزمان الذي أقدم فيه على التدوين وكذا معرفة الاسباب التي « تغضى عن المحاسن وتبدي المساوىء » والظاهر ان الافراني كان كثير التحفظ فيما ينقل منه ويوجز كل ما فيه نوع من التحامل على رجالات الدولة السعدية . فانه مثلا لخص في أسطر « تأدب السعديين بآداب أهل الحاضرة فقال : « ان ملك السعديين انما تأنق على يد رجل وامرأة ، فأما الرجل فقاسم الزرهوني ، فانه رتب للسلطان أبي عبد الله الشيخ هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابهم ، وكيفية مثولهم بين ايديهم ، وأما المرأة فالعريفة بنت خجو فانها علمته سيرة الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس ، وعاداتهم مع النساء وغير ذلك ، فاكتسى ملك الشيخ بذلك طلاوة وازداد في عيون العامة رونقا وحلاوة(43) وقال صاحب مخطوط فاس : « ولقد حدثني رجل كان في عصره يقال له السيد علي بن هارون ، وكان من أعلم الناس بأحوالهم انه لقي أربعة من رجالهم عند حمام القلعة — وهم مرتدون باردية الفرش المطروزة بالحرير وحواشيهم مطروزة بالحرير الملون وهم ينظرون الى بعضهم بعضا ويستحسنون ذلك ، وكان قد دخل مولاي محمد الشيخ لفاس الجديد دخوله الاول وعليه « ملوطة » من ملف سماوي وطوقها من ملف أحمر ، وكان بنو مرين يسمونه ببوملوطة ، وهكذا كان أعيان أهل درعة لباسهم ولباس أشرافهم الى ان دخلوا مدينة فاس وتمهد ملكهم فيها وفي نواحيها منبلاد المغرب فتزخرفت ايامهم على يد رجل وامرأة ، فأما الرجل فهو قاسم الزرهوني ، كان وزيرا عند بني مرين ، مجدهم وزين لهم لباسهم وزيهم وأراهم كيف يلبسون الثياب وكيف يشدون الشدود والعمائم ، وكيف يركبون المراكب بزي عجيب ، وكيف يشهرون السلاح بالفضة والذهب والوشي ، وكيف يباشرون

---

43) نقلت هذا النص من **الاستقصا** ط الدار البيضاء 1955 م ج 5 ص 30 ، وقد ورد في **نزهة الحادي** ص 29 (المعرب) .

الامور مع أعيان القبائل وأكابر القوم ، وكيف ينعقد الديوان ومن يختص به من العلماء والادباء والكتاب والحفظة والقواد ، وكيف يكون قعودهم ومنازلهم في المجالس ، وكيف يكون وقت الطعام مع تقديمه الى القوم ، وكيف يقضي الامر والنهي الى غير ذلك من الامور والاشياء التي لا تحصى، واطلعهم على جبايات المغرب ودواوين القبائل وما ياتي من جباية زكواتهم وأعشارهم ، وما عليهم من الوظائف ورواتب الجيوش الى ان ضبط لهم ملكهم وزينه وشرف امرهم وحسنه وغلظ حجابهم ومكنه فكبرت حجتهم وعظمت صولتهم ، وأما المرأة فهي العريفة بنت نجو (!) كانت عند بني مرين ، ودخلت بيد الشرفاء ، وجدوها اكبر حجة في الدار فأبقوها على ما هي عليه ، فأرتهم كيف يصنعون الاطعمة وكيف يطبخونها وكيف يدفع الطعام في أوقاته وفصوله وأيامه . وأرتهم كيف يلبسون نساءهم الملابس الحسان والتنوير بالطيب والتزين بالزي العجيب ، وتفريش القرش من الحرير والرقم فى المخاد والاردية الموشية بالوشي الغريب ، ووقد الشمع الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة ، فكانت هذه العريفة المرينية زينت لهم الديار وقامت بهمتهم واحوالهم فيها والوزير الرهوني زين ملكهم وابهج سلطانهم (44).

ان صاحب **مخطوط فاس** يتسم بالتحامل على أمراء الدولة السعدية الا أنه لم يستطع التغافل عن بعض محاسنهم . وهو على كل حال ليس ممن يزخرفون الاقوال ويكيلون المدح والثناء بالمكيال الاوفى لكل من يجزل لهم الصلات ويغدق عليهم العطايا ، لذا نعتبر مؤلفه تكملة مفيدة **لنزهة الحادي** .

---

44) **تاريخ الدولة السعدية** ، طبعة كولان بالرباط ، ص ، 23 — 25 (المعرب) .

الفصل الثاني

★ ★

مؤرخو الدولة العلوية حتى حكم مولاي الحسن

لن عدد المؤرخين الذين اهتموا بتدوين أخبار الدولة العلوية ، وخصوصا اولئك الذين لا زالت مؤلفهانهم متداولة بالمغرب ، يكاد لا يتجاوز عدد مؤرخي الدولة السعدية ، وفي هذا ما يدعو ، في أول وهلة ، للاستغراب .

نعم فاننا كنا نتوقع ان يتيسر أكثر فأكثر الوصول الى الوثائق التاريخية ، ويزداد عدد المشغلين بدراستها كلما كانت تتعلق بفترات تاريخية أشد قربا من عصرنا ، وذلك بالطبع نظرا لقلة اسباب تعرضها للتلف او الاهمال .

اننا نعثر ، من آن لآخر على اضبارات من تلك الوثائق قد اعتنى ، لحسن الحظ ، بعض العلماء المغاربة ، بحفظها ولكن تأكد لدينا ان كتب التاريخ ، وحتى التي تهم اخبار العقود الاخيرة من القرن الرابع عشر الهجري قليلة جدا .

الظاهر ان عدد تلك الكتب لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة ، ويؤيد هذا الرأي قلة اسماء التواريخ الخاصة بالدولة العلوية ، ضمن المراجع التى اعتمدها المحدثون من المؤرخين المغاربة ، وأوردوا لوائحها في مؤلفاتهم.

رأينا ان الافراني كان اول من سجل أخبار السلاطين الثلاثة الاولين الذين تم على أيديهم تأسيس الدولة العلوية ، وتوطيد اركانها ، وثبت لدينا أنه لم يظهر بعده كاتب اعتنى بوصف احوال تلك اسرة المالكة ، الا في

أواخر القرن الثاني عشر الهجري (1786م) . ولاشك ان الاضطرابات التي سادت المغرب اثر وفاة المولى اسماعيل والى عهد حفيده سيدي محمد بن عبد الله ، هي التي جعلت المؤرخين يرغبون عن وصف ما اكتنف تلك الفترة من هرج ومحن . ومن شغب وفساد .

ومهما يكن من امر فاننا لا نجد فيما بين اوائل القرن الثامن عشر وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي سوى مؤرخين اثنين عاصرا القسم الاكبر من الاحداث التي تكلما عنها ، وهما ابو القاسم الزياني ومحمد أكنسوس ، وكان كلاهما بربري الاصل ، مثل الافراني ، ومرتبطا بالحكومة اي على علم بالامور العامة والشؤون السياسية .

ويمكن ان نضيف الى الكتب التي ألفها هذان المؤرخان عن الاحداث المغربية الى عهد مولاي الحسن ، كتابين آخرين : أحدهما مختصر ومجهول مؤلفه ، وثانيهما مؤلف لمحمد الضعيف ، وهو لا يخلو من همز ولمز .



الوزير ابو القاسم الزياني

ان الزياني الوزير المؤرخ يكاد يكون مجهولا اليوم بالمغرب (1) الاقصى فكتبه لم يطبع منها ولو واحد ، بالمطبعة الحجرية الفاسية ، ولا يوجد الا عدد قليل من نسخها المخطوطة ، كما ان صاحب **سلوة الانفاس** لم يخصص فيها لترجمته ، الا أسطرا لا تسمن ولا تغني من جوع (2) .

---

1) لا ننس ان المؤلف قال هذا سنة 1922 هـ . اما اليوم فان مؤلفات الزياني تعتبر من التراث الثقافي الواجب احياؤه (المعرب) .

2) ترجم للزياني :

الناصري ، **الاستقصا** ، 4 : 108،33، 109، 113، 116، 118، 132 . الكتاني **سلوة الانفاس** ، 1 : 263 ، محمد السائح -**المنتخبات العبقرية** ، 100 ، هوداس ، **مقدمة المغرب من 1631 ـ 1812** ، ج ، سلمون ، **رحالة مغربي** ، مجلة الوثائق المغربية ، 1905 ، ص . 330 ـ 340 ، أ. كرول ، **البستان الظريف** ، مجلة العالم الاسلامي ، 24 : 311 ـ 317 ، بروكلمان ، **الادب العربي** ، 2 : 507 ، هوارات ، الادب العربي ، 423 .

وذكر المؤلف ايضا ان هوداس نشر **الترجمان** ونقله الى اللغة الفرنسية معتمدا على نسختين مخطوطتين احداهما من تلمسان والاخرى من وهران .

ان الادباء المهتمين حاليا بالدراسات التاريخية لا يولونه اي اعتبار ، بل منهم من يصرح بانه سفيه ، وقد سبق لمعاصره اكنسوس ان وصمه عدة مرات ، في كتابه **الجيش العرمرم** بالجهل والغباوة (3) .

والحقيقة ان الزياني كان يمتاز عن العلماء المعاصرين له بسعة الثقافة وبالصراحة ، لا يتكلف التصنع في احكامه ولا يربأ بنفسه ، في بعض الاحيان ، عن استعمال الحوشى من الالفاظ في أقواله .

هو أبو القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم الزياني ، المولود بفاس سنة 1147 هـ (1735/1734م) ، ينتسب الى قبيلة زيان من أهل الاطلس المتوسط .

كان جده ، الفقيه النسابة علي بن ابراهيم ، يسكن بزاوية اوكو قرب ادخسان ، وقد نقله الى مدينة مكناس ، السلطان مولاي اسماعيل ، عند عودته من زيان ، سنة 1100 هـ (1689م) واتخذه اماما لصلاته .

لما توفي علي انتقل ولده ، أحمد ، الى فاس فاستوطنهاوولد له بها أبو القاسم .

أخبرنا الزياني عن جده أنه « رفع نسبه الى أبي القبيلة « زيان » ومنه للجد ، مالو الصنهاجي ، ومن مالو رفعه الى اليسع الذي اسلم ، على ما في تاريخ سليمان بن سابق المطماطي نسابة البربر ، في عهد الخليفة الامويعبد الملك بن مروان » (القرن الثامن الميلادي) .

نشأ أبو القاسم بفاس وبها حفظ القرآن واشتغل بطلب العلم بجامع القرويين ، وجامع الاندلس ، ومدرستي الصهريج والعطارين ، على شيوخها أحمد بن الطاهر الشرقي ومحمد بن الطيب القادري ، وعبد القادر بوخريص

---

3) لقد اعتنى الاستاذ عبد الله كنون ، في جزء من سلسلة **ذكريات مشاهير رجال المغرب** بتلطيف ما وجه للزياني من انتقادات مرة مبينا ما لمؤلفاته من مزايا قيمة وملتمسا الاعذار لما كان له من هفوات . (المعرب)

(4) ومحمد بناني (5) ، وبوجه خاص ، على الفقيه الجليل أبي حفص عمر الفاسي المتوفى بفاس في 29 رجب 1188 هـ . والذي كان من جملة تلامذته طائفة من العلماء المشهورين ، مثل عبد السلام الحسين والعربي القسنطيني ومحمد سحنون والوليد العراقي ويحيى الشفشاوني (6) ومحمد الهواري(7) ومحمد بن عبد السلام الفاسي (8) .

عندما اتم ابو القاسم دراسته ، وكان في الثالثة والعشرين من عمره (سنة 1169 هـ / 1785 م) عزم والده على الارتحال الى الديار المقدسة قصد تأدية الحج ، والاستقرار نهائيا ، في المدينة المنورة ، اذ ضاقت نفسه بتوالي الفتن واضطراب الامن في المغرب ، منذ وفاة مولاي اسماعيل ، فباع دارين كانتا له بفاس ، ومكتبته ، واتجه وزوجته ووحيدهما ، مؤرخنا الزياني ، نحو القاهرة ، لينضموا الى ركب الحجاج المصريين المتجهين برا نحو مكة المكرمة ، الا ان هناك ، اشار بعضهم على والده بركوب البحر لكونه اقرب مسافة واقل مشقة : فاشترى بما كان لهم من مال سلعة ، واكترى ابلا لحملها الى مرسى السويس ، ومن ثمة ابحروا نحو الينبع ولكن تكسر المركب ، وضاعت السلعة، وتلفت الاسباب ، فحمدوا الله على عتق رقابهم . وكانت هذه هي أولى النكبات السبع التي أصابت أبا القاسم خلال حياته ، وأثرت فيها عظيم التأثير ، كما يخبرنا بذلك هو نفسه في وصفه لهذه الرحلة .

---

4) ابو محمد عبد القادر بن العربي بوخريص ، ولد حوالي سنة 1118 هـ وتوفي سنة 1188 هـ ، ولي القضاء بفاس ثلاثين سنة الى أن عزله السلطان سيدي محمد بن عبد الله (عن **السلوة** ج 2 ص 12)

5) محمد بن الحاج الحسن بن مسعود بناني ، ولد سنة 1133 هـ ، تولى الافتاء والامامة والخطابة ، اشتهر بحاشيته على **شرح الزرقاني لمختصر خليل** ، توفي بفاس سنة 1194 هـ.

6) ابو زكريا يحيى بن المدني الشفشاوني ، الشريف الادريسي والعالم المشارك ، تولى الامامة والخطابة بالضريح الادريسي ، مدة ثلاثين سنة توفي سنة 1228 او 1229 هـ (عن **السلوة** . ج 1 ص 95)

7) انظر **السلوة** ج 1 ص 308 .

8) انظر **السلوة** ج 2 ص 318 .

« في الينبع أخرجت والدته من حزامها 300 ديناركانت أعدتها لحادث الدهر ان ألم بها ولم يكن للاب ولا للابن علم بصريحها ولا بابهامها » ، فاكتروا منها مطايا لجدة ومكة ، حتى أدوا الحج وأتموا العمرة ، وبعد الفراغ من مناسك الحج ونوافله ، سافروا مع الركب المصري الى المدينة المنورة بقصد الزيارة فقط لا المجاورة لانها ، مع ذهاب البضاعة وقلة ذات اليد واليسارة ، أصبحت مستحيلة ، فرجعوا الى مصر على طريق البر ، حيث باعوا بعض الاسباب كانوا تركوها بها ، واستعدوا للرجوع الى المغرب اذ بلغهم خبر وفاة السلطان مولاي عبد الله ، وبيعة ابنه سيدي محمد » (9) .

لم يتسن لابي القاسم ، خلال اقامة أسرته بالقاهرة التردد الى مجالس العلم « ولكنه حصل هناك ، في بيت صاحبهم الذي كان نزولهم عنده ، مسائل من علم الرمل والسيميا ، وخواص المعادن وما ينشأ عنها من الاسرار العجائب التي يبلغ بها المرء أعلى المراتب » .

كان مر على خروجهم من فاس أكثر من سنتين ولما عزموا على الابحار وجدوا المراكب معطلة نظرا لنشاط القرصان في عرض البحر وللحرب التي كانت قائمة بين اسبانيا وفرنسا وبين الانجليز (المسماة حرب السبع سنوات) ، وأخيرا ركبوا في مركب للفرنسيين قاصدا ليفورن *Livourue* حيث أقاموا أربعة أشهر ، ثم قصدوا برا مرسيليا ومنها برشلونة حيث علموا أن الفرنسيين كانوا محاصرين لجبل طارق ،، وبعد أن رفع الحصار عن ذلك المرسى توجهوا اليه ، ومنه الى تطوان ومنه الى فاس ، فدخلوها وليس معهم ،، « الاسبعة مثاقيل بقيت من البضاعة » .

---

9) استفدت في تعريب هذه الترجمة مما ورد في كتاب **الترجمانة الكبرى** (ط . وزارة الانباء سنة 1967) وقد اخبرنا المؤلف انه استفاد من نسخة من كتاب **الترجمانة** كان أعارها اياه الفقيه ابن علي الدكالي السلوي ، ومن نسخة أخرى كان وجدها في خزانة السيد محمد بن عبد الله المراكشي الكاتب يومئذ بوزارة المعارف .

(انظر ص 143 من المؤلف . تعليق (2)

لما استراحوا من السفر عاد ابو القاسم الى القراءة كما كان ، ثـم سأل عن رفقائه في الانس والطلب فوجد اكثرهم تعلق بخدمة السلطان سيـدي محمد بن عبد الله لما بويع فتاقت نفسه الى اللحاق بهم ، وتعلقت همتـه بخدمة السلطان . فهناه ابوه عنها و « شرح له حالها ومآلها فلم ينفعه نهيه ، ولم يرده انذاره وهديه » وهكذا أصبح مترجمنا كاتبا في البلاط العلوي .

لاشك أن أبا القاسم بقي ، اول عهده بالبلاط ، خاملا مغمـورا ، وان ما أدركه خلال رحلته من معلومات وخبرات جعله عرضة لكثير من الـوان الحسد وضروب السعايات ، الا ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله لـم يلبث ان اسند اليه مراقبة ما يجري من الاحداث في المناطق الوسطى مـن المغرب وذلك لكون الزياني كان يفهم اللهجة البربرية . (10) ولكن لما شق آيت ومالو عصا الطاعة سنة 1187 هـ (1773 م) وردوا القائد ابا القاسم الزموري ، اضطر السلطان ، بعد ابعاد الزياني وتهديده بالقتل ، الـى الخروج بنفسه لتأديب القبيلة الثائرة ، فأشار عليه الزموري بأن يقسـم جيشه اثلاثا وعين لكل ثلث مكانا يرابط فيه . فانتهز الزياني تلك الفرصة ليبين للسلطان ان الزموري يجهل كل شيء على المنطقة التي تحت تصرفه، وأن إشارته تعرض السلطان وجيشه للهزيمة فلم يسع السلطان الا ان عهد اليه انفاذ الموقف باستخدام جاهه عند تلك القبائل . فما عتمت ان القـت السلاح ودخلت في الطاعة. فرضي سيدي محمد على كاتبه ورفـع منزلتـه ، وهكذا انفرجت النكبة الثانية وابتسم له الحظ من جديد اذ اصبح سيـدي محمد يقدمه في المهمات ويكل اليه تذليل ما يحدث في القبائل البربريـة من عقبات واطفاء ما يتأجج فيها من فتن وثورات .

---

10) ورد في رحلته ما يثبت انه كان يفهم عدة لغات اجنبية منها الاسبانية والتركيـة وربما حتى الفرنسية واما البربرية فلا شك انه كان يفهمها ويتكلم بها .

وهكذا نراه ، سنة 1198 هـ (1784/1783 م) رفقة السلطان بالصويرة ثم بتافيلالت ، حيث كان عم هذا الاخير ، الحسن بن اسماعيل ، اعلن عن استقلاله . وهناك قدمه السلطان أمامه لاخراج البرابر من قصورهم في الامان ، ثم بعثه الى المولى الحسن ليعرض عليه السكنى بمكناس وينفد له ما يكفيه من الظهر لحمل عياله واثقاله . ولما فرغ من شأن عمه بمكناسة أمره ان يعود الى سجلماسة ومعه اولاده : المولى سليمان والمولى الحسن والمولى الحسين ، وان يصحب معه قدرا من المال ، وعددا من المدافع والمهاريس والبنب Bombes وطائفة من الطبجية من علوج الالمان وألفا من عسكر الثغور رجالة ،، » (11) . « رده السلطان ، بعد ذلك الى الغرب ليأتيه بجيش من أولاد عبيد الثغور وان يلقاه بهم بمراكش ليزيدهم في جيشه » (12) .

وفي عام 1200 هـ (1786 م) أرسله سيدي محمد بن عبد الله سفيرا الى سلطان الاستانة عبد الحميد بن أحمد العثماني (1789/1774 م) ليقدم له مكاتيب وهدايا . فأبحر من الصويرة هو وسفير تركي كان بالمغرب اسمه ابراهيم افندي . نزل بمالقة ثم ركب منها قاصدا العاصمة التركية .

يتحدث الزياني ، في **الترجمانة** ، باسهاب عن رحلته الثانية خارج وطنه ولكننا سنكتفي هنا بذكر بعض ما ورد فيها من اخبار ، ومن ذلك انه لما خرجوا منمالقة، وقعت فرتونة - (أي زوبعة) في البحر فتكسر أحد صواري المركب ، فقصد ربانه مرسى تونس لاصلاحه » قضى الزياني بتلك الحاضرة عشرة أيام في ضيافة الباي حمودة (1782/1814م) فلما دخل المركب جزر بر الترك وعاين السفير التركي شاطيء بلاده ، استأسد وسرح لسانه بالشتم في دولة المغرب وأهله . فنهاه الزياني ، فلم ينته ، فأخذ بلحيته وقال له : « والله يا ملعون لا تقرب الله بخبحك » الا ان رئيس المركب خلصه وشفع فيه ، فتركه .

---

11) اخذت هذه الفقرة من كتاب **الاستقصاء** (ط) الدار البيضاء ج 8 ص 52)(المعرب).

12) نفس المصدر ص 53 (المعرب) -

فلما دخل المركب مرسى الإستانة ، رفع سنجق (أي لواء) الباشدور ، واستقبل الزياني بحفاوة من لدن السلطات التركية . تقدم للسلام عليـــه أربعة من رجال المخزن المغاربة ، كانوا كلفوا بمهة ولم تتأت لهم بعد العودة الى المغرب ، وهم المولى عبد الملك بن ادريس قريب السلطان وصهره ، ومحمد ابن عثمان المكناسي وعمر لوزيرق ، وعبد الكريم بن يحيى (13) .

ولما أخبر الوزير الاول التركي بوصول السفير الزياني خصصت دار لنزوله ووجهت الخيل لركوبه وركوب أصحابه ، والكراريط (العربات) لحمل « حوائجهم » . وأقام معه الاغا المكلف بنزول الباشدورات ليطلعه على الاحوال ويعرفه بالتشريفات وبالتقاليد الخاصة بالبلاط التركي .

حظي الزياني ، أثناء اقامته بالعاصمة العثمانية ، بحسن الرعاية وجميل التكريم ، وقد تأتى له الوقوف على جميع الاماكن المعتبرة كبيت المال و « دار الضرب » ودار الصناعة » و « دار الكنز » الخ،،، وزيارة المساجد والمـــدارس وخزانات الكتب ، وقد وصف في رحلته كل ما وقعت عليه عينه وسمعتـــه أذنه . وصفا دقيقا ، كما ذكر الكتب التي اشتراها للسلطان سيدي محمد .

ومما يؤكد ما لقيه الزياني بالاستانة من اعتناء وتقدير من لدن ولاة الامر انه ،، قابل الخليفة في غير الموعد المحدد لمقابلة أمثاله من السفراء ،، وحيـــث ان امبروطورة روسيا كاتورين الثانية كانت اشهرت الحرب على الدولـــة العلية أظهرت هذه رغبتها في « السلف » من سلطان المغرب ، ولما استفهـــم الزياني « هل تسمح نفس سلطان المغرب بالمعاونة » و « هل اذا احتاجـــت

---

13) ان هؤلاء « الطلبة » ، كما يلقبهم الزياني ، كان أوفدهم السلطان الى مكة المكرمة لتوزيع هدايا وصلات على الاشراف وعلى فقراء الحجاز والشام والقدس والعراق ،،، وكانوا لما وصلوا الى اسطنبول وجدوا الركب العثماني سافر ، فاقاموا الى العام القابل ،،، وذكـــر الزياني في الترجمان (ص 84) ما كان من اليزيد بن سيدي محمد من سوء التصرف مـــع هؤلاء « الطلبـــة »

الدولة المال يسلفه لها قال : « ان سلطاننا له رغبة في الجهاد ، ولولا مشقة للبحر وبعد المغرب لسعى للجهاد بنفسه . وأما المال فانه يعطيه دون سلف ، اذ لا ترضى همته السلف » .

واستغرق مقام الزياني بالاستانة مائة يوم ، عاد بعدها الى وطنه على طريق البحر وبصحبته سفير تركي الى المغرب . فنزل بطنجة وقصد توا السلطان ليطلعه على تفاصيل سفارته ، وانتهز تلك الفرصة فناوله كتابا من عند الخليفة يقول فيه : « ...، وبعد فانه قد وصلنا من مقامك الإسمى عشرون سفيرا واحسنهم عقلا ونبلا وسياسة ابو القاسم الزياني الذي أدى رسالتك وهديتك بأدب وانفصل عنا بأدب ، فمثله من يكون سفيرا بين الملوك فان اقتضى نظرك توجيه سفير من اطرافك فليكن هو . فان ظاهره وباطنه سواء » .

لما أطلع السلطان على هذه « التزكية » سر سرورا عظيما ودعا للزياني بالخير ، وأثنى عليه ، ونوه به بمحضر أعضاء ديوانه ، وبعد ذلك أمر بارسال « أربعة صناديق من الريالات الفضية للخليفة العثماني ، على طريق اسبانيا ثم فرنسا » .

وفي السنة التالية (1201 هـ / 1787 م) كلف الزياني بمراقبة طائفة من قبائل الجيش الى وجدة . ثم التحق بالسلطان وهو على رأس جيشه بالحياينة . فعين عاملا بتازة لتهدئة القبائل البربرية المتوثبة عليها . وبعد أن قضى بتازة سنة ، تقلب في عدة وظائف من ولاية على مدن . وتدريب الجنود البحرية من آيت عطاء وعبيد تافيلالت . بتطوان ثم بطنجة . ثم في سنة 1202 هـ، عينه السلطان واليا بتافيلالت ، ولما إظهر الزياني التردد قال له : « طب نفسا ، لولا اني احبك ما وليتك على أولادي وأهل بيتي » .

وعلى كل فقد بقي بتافيلالت ثلاث سنوات أي الى وفاة سيدي محمد بن عبد الله (24 رجب 1204 هـ 21 ابريل 1790 م) .

لم يكن اليزيد ، خلف سيدي محمد بن عبد الله راضيا عن الزياني بل كان ممن « ينظر اليهم شزرا ولا يرى الايقاع بهم وزرا » حسب قول الزياني.

أورد مؤرخنا ، وصفا مسهبا لما نزل به ، ايام اليزيد . في كتابه الترجمان المعرب ، ونحن نكتفي هنا بذكر لمحات منها ، قال : « ،، وكنا كتبنا له على مال الاشراف و المؤنة لاخوته واخواته ، عين ذلك في زمام ،،، ولما أكملنا ما أمرنا ، توجهنالحضرته بفاس مع ولده ، وبيتنا بدار دبيبغ بلغنا ان ديارنا بمكناسة اعطاها للعبيد ، ولم يبق الا دويرة فيها عيالنا ، فتجلدنا بالصبر ،، (ص 87) ،،، وأقمت مدة وأنا محموم مهموم ، ولما عوفيت لحقته وأقمت بسبتة ،، فوجهني لمكناس وفاس لقضاء بعض أغراضه فلم أشعر الا وقائده بفاس اتاني وقبض علي ،،، فسجنت بالقصبة ووجهني لمكناسة ،،، (ص 88) ،، وكانت هذه نكبته الثالثة .

وبعد مدة أخرج من السجن ، وولاه السلطان على أكادير ،،، ثم رده وكلفه بعدة مهمات سافر في شأنها الى طنجة ، والعرائش ، والرباط ، والدار البيضاء ومراكش ولكن قبض عليه السلطان من جديد « وضربه حتى غاب عن الوجود، وأخرج المكابوس والملا شهود » ولكنه نجا من الموت لعدم حضور أجله ، وكان ذلك بالعرائش : قال « فحملوني الى السجن ولم أفق من غشيتي الا بعد ثلاثة أيام ، فوجدت الحديد على رجلي ، والسلسة في عنقي ، ويدي مكسورة ، وأصابعي كذلك ، ورأسي كذلك ، فكان بعض الذبحة يأتيني ليلا بطبيب يعالج يدي ورأسي وجراحاتي ،، وتوجه هو (أي السلطان) للرباط ، ولما بلغ المهدية سأل عني هل من بهيمة ، وساروا بي الى ان وضعوني أمامه (أي بالرباط) ، فقال : « هذا ساحر شيطان ،، وأمر ان يتوجه بي للسجن ،، ولما خرج المشور وأمر الزبانية ان يأتوا بي وقال : جردوه وألبسوه ثيابي وألبسوني اياها في دجنبر الاصم ، والمطر ينزل ، ولما توجهوا ليأتوا ببهيمة أركبها من السوق لم يجدوها ، فتوجهوا للحاكم ، فوجه للجمالين ، فما

حضرت البهيمة الا بعد ساعتين ، واركبوني ، وخرج الاولاد من المكاتب بألواحهم يطلبون الله لي ، وكان أهل الرباط في نكد عظيم من أجلي . ولما بلغنا المشوره وجدوه نزل من موضعه الذي كان ينتظرني فيه حين ابطؤوا بي . فكان ذلك سبب خلاصي منه . فوضعوني في وسط المشور ، فلم يخرج ، وأنا في المطر والبرد ، والطلبة في ضريح مولانا السلطان يدعون ويتضرعون ، وأهل الدولة أحرارا وعبيدا ، يبكون لحالي ، ورغبوا عبيد الدار ، فأخبروه ، بحالي فأمر بردي الى السجن فلما بلغته دخل علي بعض الاحبة من الرؤساء بما البيسه ، وبمجمر من الفحم لاني لم أقدر على الكلام بما لحقني من البرد ،، (ص 91) .

بقي الزياني مسجونا في الرباط الى ان توفي اليزيد ، قال : « ولما بلغ خبر موته للرباط أخرجني الرؤساء من السجن رغما على أنف حاكمها بركاش » وهكذا انتهت النكبة الرابعة .

كان المولى سليمان يعرف كفاءة الزياني ، ويقدره حق قدره ، ولذا ولاه على وجدة ونواحيها لكبح جماح عرب انقاد الذين كانوا قد عاثوا فيها فسادا فاستقال فلم يقبل كلامه ،، فتوجه نحو وجدة مكرها ، وخرج معه ركب التجار الذي كان محصورا بفاس . فخرج عليهم العرب قبل ان يصلوا الى وجدة ، ونهبوا ما معه من صامت وناطق ، وصاهل وناهق » فسئم الخدمة السلطانية وازمع بعد هذه النكبة الخامسة ، الرحلة عن المغرب . فتوجه الى وهران ، ثم الى تلمسان ، ونزل بجوار ضريح ابي مدين ، بالعباد ، حيث بقي سنة ونصفا مشتغلا بالمطالعة والتقييد .

وهناك عزم على زيارة الاستانة وبلاد الشرق ليجدد العهد بتلك الديار ، ويتفقد من له بها من الاصحاب والاحباب ، فتوجه الى وهران ، ثم الى الجزائر فقسطنيطينة ، فتونس ،،، ومن هناك ركب متن البحر قاصدا الاستانة ، وذلك في فاتح جمادي الاولى 1208 هـ (5 دجنبر 1893) .

لقي بالاستانة ما كان ينتظره من ترحاب وعناية : ومن ثم توجه مع أمير الركب التركي الى المدينة ثم مكة قصد الحج ، رجع الى القاهرة مع الركب المصري ، ومعه جاريتان حبشيتان كان اشتراهما من المدينة .

وكان يتصل ، حيثما حل ، بالعلماء ورجال الدولة ، فيحظى بالاحتفاء والتقدير ، غير انه وقع له في مصر حادث كاد يذهب بحياته ، وذلك انه كان ركب النيل في نزهة صحبة أحد الاغوات ، فهبت على المركب ريح شديدة وانقلب وغرق كل من فيه . ونجا هو بفضل اتقانه للسباحة وبفضل مساعدة أهل مركب آخر كانوا على مقربة منه .

بعد هذه النكبة السادسة ، ركب من الاسكندرية مركبا كان متوجها الى أزمير ، ولكن الريح عاكسته فالتجأ الى جزيرة رودس ، فسافر منها الى انطاكية حيث بقي شهرا توجه فيه الى القدس ثم الى دمشق وعاد الى المرسى ليبحر الى أزمير ، مكث هناك مدة ثم ابحر الى تونس حيث نزل . وفي تلك الحاضرة ماتت احدى جاريتيه وتركت له ولدا في سن الرضاعة، فدفعه الى رجل مغربي مات له صبي وبقيت امرأته بدون رضيع ، وسافر الى قسنطينة فلم يجد الولي بها ، ثم الى الجزائر وكان قليل الزاد، خاوي الوفاض ، يكاد لا يجد ما ينفق ، الا أنه لما وصل الى الجزائر علم أن البضاعة التي كان اشتراها بالشرق وصلت سالمة ، فانتعش بعد الإنتكاس وعول على الاقامة بتلمسان . فوجد غلاما له من الجزائر لفاس ليأتيه منها بأفراد أسرته وبجواريه ، ويلقاه بهم في تلمسان .

لما علم أهله برجوعه ، وكانت قد انقطعت عنهم اخباره فرحوا وكتبوا اليه ليعود الى فاس ، ولم يرسلوا اليه الا جارية واحدة ، وكتب إليه السلطان نفسه يأمره بالرجوع ويطمئنه معفيا أياه من الخدمة . فامتثل وغادر تلمسان متوجها نحو مسقط رأسه ، سنة 1210 هـ (1795 ـ 1796 م) . فلما وصل الى فاس عرض عليه السلطان ولاية العرائش فحاجه بكتابه فحجه ولكنه عاد فطلب منه بالحاح أن يذهب الى تفتيش مراسي المغرب ومراقبة عمالها ، ولما كان هذا الوظيف تكليفا موقتا قبله ، وقام به على أحسن ما يرام .

بقي بفاس الى سنة 1213 هـ (1798 / 1799 م) فكلفه السلطان بمهمة أخرى موقتة بمراكش ثم قلده الكتاب والوزارة والحجابة فبلغ اذ ذاك من المجد أوجه ، وبقي عدة سنوات يرتع في بحبوحة الهناء ،،، ولكن كثر حساده، وتوالت السعايات به الى أن أبعد عن منصة السلطنة والنفوذ ، فتمت بذلك نكباته سبعا .

أنهى الزياني هذه الترجمة الذاتية حوالي سنة 1230 هـ ــ 1815 م) وكان عندئذ قد جاوز الثمانين من عمره ..

ذكر صاحب **سلوة الانفاس** . (ج 1 ص 263) . أن الزياني توفي بفاس، عصر يوم الاحد 4 رجب 1241 هـ (17 نوفمبر 1833) وكان في التاسع والتسعين من عمره (14) وأن السلطان أمر بدفنه في الزاوية الناصرية التي بحي السياج .

قال الكتاني في ترجمة مؤرخنا : « له قصائد مدحا وذما ، ومعرفة بالتاريخ والعربية والحساب والعروض والتنجيم والجدول والاسماء والتدبير ،،، وكانت له حدة ولسان لا يبقى ولا يذر حتى أداه ذلك الى الوقوع في الاولياء الكبار ، ونعوذ بالله من ذلك » **السلوة** ج أ ص 263 .

وقال فيه أيضا : « وكانت جمجمة رأسه من القرع (!) لانه ضرب عليه بسيف ، فطارت، فجعلوا مكانها طرفا من القرع ، فطلع عليها اللحم وعاش ،،، ولذلك كان لا يكشف رأسه (!) » والظاهر ان هذه الخرافة كانت صدى لالوان اللمز والسخرية التي كان من الطبيعي أن توجه للزياني الذي بز أقرانه ومنافسيه من رجال السياسة والادب ، ولم يتورع من دون شك عن الحط من أقدارهم .

---

14) هذا العدد يتعلق بالسنين الشمسية ، وحسب السنين القمرية ، توفى الزياني في الثانية بعد المائة من عمره .

كيف وجد الزياني متسعا من الوقت للتأليف ؟ لقد رأينا أن حياته كانت حافلة وانه قضى معظمها متنقلا بين الحواضر والبوادي ومتجولا عبر القفار والبحار . لا شك أنه اعتكف على التأليف لما تقدم به السن وسئم من الخدمة .

وعلى كل حال فانه ترك لنا عددا لا يستهان به من المؤلفات ، جلها في التاريخ والجغرافية .

اننا نجد في كتابه **الترجمانة** قائمة مؤلفاته و ويبدو أنه رتبها حسب التواريخ التي وضعها فيها وهي :

1) **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب** وهو تاريخ عام ، من بدء الخليقة الى القرن الثالث عشر الهجري (16)

2) **البستان الظريف في دولة أولاد علي الشريف** وقد سماه أيضا **الروضة السليمانية** (17) .

3) أرجوزة دينية سماها **الدرة السنية الفائقة في كشف مذاهب أهل البدع من الخوارج والروافض والمعتزلة والزنادقة** (18) .

4) **ألفية السلوك في وفيات الملوك** (19) .

5) **تحفة الحادي في رفع نسب شرفاء المغرب** (20) .

6) رسالة سياسية في الملك سماها **السلوك فيما يجب على الملوك** .

7) **رحلة الحذاق لمشاهدة البلدان والآفاق** .

---

16) **دليل المؤرخ** رقم 519 (المعرب) .
17) نفس المصدر رقم 467 (المعرب) .
18) نفس المصدر رقم 1514 وقد وقع خلط في تحقيق العنوان (المعرب) .
19) نفس المصدر رقم 1636 (المعرب) .
20) نفس المصدر رقم 258 .

8) **جوهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك العلويين وأشياخ مولانا سليمان** (21) .

9) **كشف الاسرار في الرد على أهل البدع الاشرار** .

10) **تحفة الاخوان والاوليا في ثبوت صنعة السيميا وبطلان علم الكيمياء** .

11) **نصيحة المغتربين في بطلان التدبير للمعتزلين** .

12) **الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار مدن العالم برا وبحرا** (أو في **أخبار المعمور برا وبحرا**) وقد ضمنها وصف رحلاته الثلاث (22)

ان بعض الكتب مكرر للبعض ، وليس الثالث والخامس والسادس والسابع منها الا فصولا من الترجمان .

وعلى كل حال فان أهم كتب الزياني هي **الترجمان** و **البستان** و **الترجمانة** ، الاول والثاني مفعمان بالمواد التاريخية ، أما الثالث فهو ليس كما يفهم من عنوانه كتاب جغرافية فحسب ولكنه يحتوي على فوائد تاريخية وأدبية وعلى تراجم ، ولذا نرى أنه جريد بأن نجعله من المصادر الواجب علينا تحليل مضمونها .

عرف كتاب **الترجمان** عند المؤرخين الغربيين منذ مدة طويلة اذ نشر منه ، المستشرق الفرنسي هوداس ، سنة 1886 م ، القسم الخاص بالدولة العلوية ، وترجمه الى اللغة الفرنسية تحت عنوان : المغرب من 1631 الى 1812

---

21) ذكره صاحب **دليل المؤرخ** تحت رقم 1204 ، **وقال عنها** : « تقع في سفر وسط ، توجد نسخة عليها خط المؤلف ، بالخزانة الفاسية ضمن مجموع جعلها على نسق لم يسبق اليه ، قال في حقها تلميذه ابو عبد الله محمد التهامي ابن رحمون ، في اختصاره لها : عديمة المثال ، غريبة الشكل ، تشتمل على منظومة قليلة الوجود ،، » (المعرب) .

22) ذكر هذا المؤلف في **دليل المؤرخ** تحت رقمين : رقم 1451 بعنوان : **الترجمانة** وقال : تقع في مجلد ضخم توجد منها نسخة بخزانتنا الاحمدية ، وبعد رقم : 1431 ، تحت عنوان **اباحة الادباء والنحاة في الجمع بين الاخوات الثلاث** ،، جمع المؤلف فيها بين رحلاته الثلاث ، وهي الرحلة الثالثة له ؟! (المعرب) .

قال هوداس في المقدمة التي صدر بها الترجمة **الترجمان** تاريخ عام غير ان مؤلفه لم يتوسع الا في فصلين منه ، الفصل الذي خصصه لتاريخ الدولة العثمانية والفصل الذي دون فيه أخبار الدولة العلوية » وقال بعد ذلك « ان المؤلف إستهل كتابه بمقدمة موجزة ثم لخص في خمسة عشر فصلا أخبار الدول الاسلامية التي لم تعترف بسلطة الخلفاء ، وأوصاف الرحلات التي قام بها والامصار المهمة التي زارها » .

يفيد هذا التحليل ان النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها هوداس تختلف عن النسخة التي بين أيدينا (23) فنسختنا تشتمل على عشرين فصلا لا على خمسة عشر كما أخبرهوداس ، بدأها المؤلف بمقدمة في سياسة الملك ، ثم تطرق الى ذكر تاريخ آدم ، وسلالته الى الطوفان ، وأولاد نوح ، ثم الدول الفارسية فالحميرية فالفراعنة ، فالاسرائيليين ، فاليونان ، فالرومان ، فتاريخ البعثة ، وقد ذكره بكثير من الايجاز ، ثم مر مرا سريعا بتاريخ الخلفاء الراشدين ، والامويين وفتح الاندلس ، فالعباسيين بالعراق ، الى استيلاء لتتار الاتراك على تلك المناطق ، فالفاطميين بافريقية وبمصر ، فالاغالبة ، فالايوبيين ، فالاتراك العثمانيين متوسعا شيئا ما في الكلام عنهم، منهيا بذلك القسم الاول من **الترجمان** .

بدأ القسم الثاني مخصصا فصلا لكل دولة من الدول الاسلامية المغربية ، والاندلس، فالحفصيين فالمرينيين فالزيانيين بتلمسان فبني الاحمر بالاندلس، فالسعديين بالمغرب الاقصى والسودان ،فالشرفاء السجلماسيين بالمغرب ، ثم فصول في شرفاء المغرب ، وفي قبائله ، فجامعة في الدول التي لم تعترف بالخلافة ، فخاتمة قصيرة في وصف رحلاته الى الشرق .

---

23) رأينا في التعليق ان هوداس اعتمد على نسختين مخطوطتين احداهما من تلمسان والاخرى من وهران . واخبرنا المؤلف (ص 143 ـ تعليق 2 من كتابه) انه استفاد من نسخة وجدها بسلا عند المؤرخ السيد محمد بن علي الدكالي ، ولهذا سماها بالنسخة السلاوية (المعرب) .

جعل الزياني كتابه **الترجمان** علي شاكلة تآليف كبار المؤرخين الشرقيين مثل البلاذري والطبري اذ وسع مجال أبحاثه فضمنها مواد تاريخية عالمية على خلاف من سبقه من مؤرخي المغرب الاقصى الذين اكتفوا بتدوين الاخبار الخاصة بوطنهم .

لاشك أن فكرة وضع هذا التاريخ راودته وهو يقوم بسفارته الى الإستانة ، سنة 1200 هـ ، اذ ذكر في **الترجمانة** أنه رجع من تلك المهمة والتحق بسجلماسة ، حيث عين واليا ، عرض على المولى سليمان ، وهو أمير بها ، فصولا من **الترجمان** ، فاستحسنها وشجعه مرار ا ، شفويا وكتابيا على اكماله . ويخبرنا الزياني أيضا أنه اشتغل بتحرير تاريخه مدة استقراره بتلمسان (1207 ـ 1208 هـ ـ 1792 ـ 1793 م) ولكن من المحقق أنه لم يكمل الفصل المتعلق بالدولة العلوية الا بعد وفاة مولاي سليمان اذ وصل به إلى عام 1228 هـ ـ (1813 م) (24) .

ان النسخ المخطوطة التي اطلع عليها هوداس لا تشتمل على الفصل الخاص بالسعديين الا أن هذا النص مثبت لحسن الحظ ، في النسخة التي لدينا ، ويتضمن نسب الشرفاء السعديين، وأخبار طريفة عن العساكر الاتراك الذين ساعدوا عبد الملك وأخاه أحمد على الاستيلاء على فاس ، ومعلومات مفيدة دقيقة ، في نفس الوقت ، عن واقعة وادي المخازن وعن الجيوش التي وجهها أحمد المنصور الى السودان والمسالك التي سلكوها ، ويختم الزياني فصله هذا بقصيدة ذكر فيها الاحداث والتواريخ والانساب الخاصة بسلاطين الدولة السعدية .

---

24) ومن المحقق كذلك ان النسخة التي كانت بين يدي هوداس كتبت بعد سنة 1231 هـ (1816 م) سنة وفاة المولى سليمان لان الزياني قال في أول الفصل الذي خصصه لسيدي محمد بن عبد الله ، ما يلي :

دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، والد مولانا سليمان رحمهما الله

(ص 70 من النص العربي الذي نشره هوداس) .

ويجدر بنا أن نسجل هنا أن الزياني انتهز فرصة ذكره للنسب السعدي ليخبرنا أنه أثير ذات يوم، بمجلس سيدي محمد بن عبد الله، الاقوال الشاعة في شأن نسب السعديين فقال: «انهم اخوتنا وأبناء أعمامنا، وكلنا من حي بني ابراهيم بالينبع» (25).

هذا ولم يغفل صاحب **الترجمان**، مرة واحدة، وهو يحرر حولياته عن ذكر تاريخ بيعة كل من السلاطين العثمانيين الذين عاصروا مختلف سلاطين الدولة السعدية، وكذا تاريخ وفاته.

★ ★

لما شرع الزياني يتكلم، في موسوعته التاريخية، عن الدولة العلوية، كانت الظروف والملابسات التي نشأت فيها تلك الدولة، والاحداث التي واكبت مسيرتها لا زالت عالقة بالاذهان، ولكن لما كان الافراني هو المؤرخ الوحيد الذي أثبت، في **نزهته** فصولا تتعلق بتلك الحقبة، لا شك أن مؤرخنا رأى من الواجب عليه أن يواصل ما ورد في **النزهة** في ذلك الشأن، وان يصف بشيء من الاسهاب أحوال سلاطين أطلع عن كثب على الكثير من أعمالهم وأسهم في مساندة جوانب لا يستهان بها من سياستهم الداخلية والخارجية.

وعلى كل فانه يمكننا أن نعتبر الفصول التي خصصها الزياني، في **الترجمان**، للاسرة العلوية الحاكمة، صلة متممة للعمل الذي بدأه في هذا الصدد صاحب **نزهة الحادي** اذ نراه ينسج على منواله وهو يدون حوليات السلاطين الذين تعاقبوا على العرش المغربي الى سنة 1813 م. ولم يخرج عن المسلك الذي سلكه سابقه الا بتخصيصه فصلا لسيدي محمد بن عبد الله، وهو خليفة لابيه بمراكش، لم يقبض بعد على زمام الحكم.

---

25) من المعروف ان سيدي محمد بن عبد الله كان كثير الاعجاب بالسلطان السعدي محمد المنصور ومقدرا لاعماله، وانه كان يطيب له ان يقوم بنفس الزيارات التي كان يقوم بها ذلك السلطان للاولياء وللصالحين داخل المغرب المغرب (المؤلف).

- قال الزياني في **البستان**: «ولقد سمعت من مولانا أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله، رحمه الله، لما جرى ذكرهم (أي السعديين) وذكرت له الخلاف الذي وقع في نسبهم قال لي رحمه الله: اسكت ولا تعد لمثل هذه المقالة فانهم اخواننا وبنو عمنا وجدنا واحد وقريتنا بالينبع واحد يقال لها بنو ابراهيم، ص 8 من المخطوط د 1577 (المعرب)

ان النصوص التي استخدمها هوداس توهم أن الزياني تعمد الاعراض عن ذكر عدة أحداث . وعن تسجيل عدة وثائق رغبة في الاختصار ، ونرى مؤرخنا يؤكد تلك الرغبة ، وهو يشير الى رسالة كان وجهها باي الجزائر لسيدي محمد بن عبد الله ، حيث قال : « وهي - (الرسالة) - طويلة تركناها لاجل الاختصار المشروط ، وهي مثبتة في تاريخ لطيف يسمى **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف** ، الذي إستوفينا فيه أيامهم وفتوحاتهم وحروبهم لمن خالفهم من الامم . وفيما بينهم ، وانما هذه النبذة جعلناها تكملة لمن سبقهم من الدول حتى يكون الكتاب جامعا وشاملا لجميع الدول ، واختصرناها مثل ما سبقها » (26) .

يتضح من هذه الفقرة ان الزياني لم يدون في **الترجمان** النبذة التاريخية الخاصة بالدولة العلوية الا ليجعلها تكملة لتاريخ من سبقهم من الدول ، فهي اذن ملخص لما « استوفاه من أخبار تلك الدولة في كتابه **البستان** .

اننا لا نجد أثرا لهذه الملاحظة في النسخة المخطوطة من **الترجمان** التي رجعنا اليها واتخذناها مصدرا من مصادر هذه الدراسة (27) ، وعلى العكس من ذلك فاننا نجد فيها نص الرسالة بأكملها ، الشيء الذي يثبت أن النسختين نسخة هوداس ونسختنا متماثلتان من حيث عناصر الموضوع ولكنهما مختلفان من حيث طريقة التحرير (27) .

فاننا مثلا نجد في النسخة السلاوية (وهي النسخة التي بين أيدينا) معلومات لا نجدها في النص الذي نشره هوداس ، ومنها ما ضمنه نسختنا ، اثر كلامه عن سفارته الى الاستانة ، من تفاصيل عما كان ، سنة 1200 هـ ،

---

26) **الترجمان المعرب** ط هوداس ص 4 ، 5 .

27) اخبرنا المؤلف ص 143 انه أطلع على نسخة مخطوطة من **الترجمان** ونسخة اخرى من **الترجمانة بفضل** المؤرخ القاطن بسلا ، الشيخ محمد بن علي الدكالي ، ولهذا نعت تلك النسخة « بالسلاوية » (المعرب) .

عن عساكر بالثغور المغربية وعما أحدثه ، تلك السنة ، السلطان سيدي محمد ابن عبد الله من بيوت الاموال بكل مرسى من مراسي المغرب لاعانة من بها من جيش وطبجية وبحرية ، وللانعام عليهم بالرواتب والاعطية بصفة منتظمة (28) .

هذا وتبين لنا المقارنة بين النسختين أن الزياني كثيرا ما كان يصف في كلتيهما أحداث فترة تاريخية معينة بأسلوبين متغايرين تغايرا تتفاوت أشكاله كما وكيفا .

فاذا ما قابلنا مثلا الجملة التي بدأ بها الفصل الخاص بتولية مولاي إسماعيل فاننا نجده يقول في نسخة هوداس (ص 12) : « ولما مات الرشيد بويع بمكناسة أخوه السلطان اسماعيل وكان بقصبة الموحدين القديمة التي بمكناسة ، وأسس بها قصره » .

ويقول في النسخة السلاوية : « ولما مات الرشيد ابن الشريف بويع السلطان إسماعيل بن الشريف بمكناسة اذ كان خليفة أخيه الرشيد بها ، نازلا بقصبتها التي بناها الموحدون » .

وإذا ما قارنا بين المعلومات التي أنهى بها الزياني تاريخه في كلتا النسختين فاننا نلاحظ أن نسخة هوداس تنتهي بأخبار سنة 1228 هـ (1813 م) وان نسخة سلا تنتهي بوصف ضاف لما امتاز به السلطان مولاي سليمان من اخلاق طيبة وبجدول أنساب كافة سلاطين الدولة العلوية الذين تولوا الحكم بالمغرب الى آخر القرن الثامن عشر الميلادي .

من المحقق أن الزياني هو الذي كتب أصل كل من النسختين المذكورتين ، ولكن ما هي يا ترى النسخة التي بدأ بها ؟ اننا نرجح أن نسخة هوداس هي الاخيرة نظرا لكونها تتسم « بالاختصار » الذي اشترطه المؤرخ على نفسه عند

---

28) نجد هذه التفاصيل مثبتة في **الجيش العرمرم** ج 1 ص 72 ، وفي **الاستقصا** ج 4 ص 117 ط القاهرة (المؤلف) — **الاستقصاء** ط الدار البيضاء ج 8 ص 61 (المعرب) .

ماقرر أن يجعل من **الترجمان** كتاب تاريخ عام يضم نبذا من تاريخ المغرب وعزم ان يخصص لتاريخ الدولة العلوية كتابه **البستان الظريف** . ويؤيد هذا ندرة النسخ المنقولة من الكتاب « الاصلي » الذي اختصره الزياني فيما بعد (29)، وتلك الندرة هي التي حملت ، حسب ما نظن ، المؤرخ أكنسوس على أن « يستقي » من **البستان** ، (أي في الواقع من النسخة الاولى من **الترجمان** فصولا طويلة من غير أن يذكر ، في غالب الاحيان « مرجعه » ولا اسم مؤلفه (30) .

ان الاطلاع على محتوى التاريخ المطول (31) الذي خصصه الزياني للدولة العلوية يحملنا على ترجيح الاستنتاجات التي أوصلتنا اليها مقارنة نسختي **الترجمان** ، أي نسخة هوداس ، ونسخة سلا — فان نسخ ذلك التاريخ قليلة جدا بالمغرب ، وربما تكون أقل من نسخ **البستان** فالنسخة التي أطلعنا عليها تحمل عنوانين ، الاول : **البستان الظريف في دولة مولاي علي الشريف** والثاني : **الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الاسماعيلية ومن تقدم من الدول الاسلامية** ويوهم هذا العنوان الاخير أن الكتاب لا يتضمن تاريخ الدولة العلوية فحسب ، بل يشمل أيضا تاريخ جميع الدول الاسلامية بالاضافة الى ذلك فان المقدمة التي صدره بها ليست في حقيقة الامر الا

---

29) رأينا بفاس وبالرباط نسخا مخطوطة مماثلة لنسخة هوداس (المؤلف) .

30) يبدو أن النسخة التي رجع اليها المؤرخ الناصري ، عندما كان يدون كتابه **الاستقصاء** نسخة مماثلة لمخطوط سلا — (المؤلف) .

31) أخبرنا المؤلف (ص 143 من كتابه — **صلة تعليق** 2 من ص 142) انه لم يتمكن من الاطلاع على نسخة مخطوطة من كتاب **البستان** الا مدة جد قصيرة ، وذلك أنه تسنى له، وهو بفاس (مارس 1921) أن يستعير ، لليلة واحدة ، تلك النسخه من السيد احمد بن المواز ، سفير المغرب بمدريد سابقا وقال : « وتلك النسخة هي التي كنا صححها الزياني نفسه » ووردت ترجمة أحمد بن المواز في كتاب **الاعلام الفكر المعاصر بالعدوتين** (ج 2 ص 28) (المعرب) .

تلخيصا جد موجز لكتاب **الترجمان** ، وهو عمل كان بامكان الزياني أن يستغني عنه (32) .

وعلى كل حال فان تلك المقدمة تبين ان **البستان** لا يختلف في فحواه **عن الترجمان وان كان** قسمه الخاص بالدولة العلوية أوسع شمولا وأوفر مادة .

ان المقدمة المذكورة عبارة عن مجموعة من القوائم لاسماء كافة الملوك المسلمين الذين تقلدوا الحكم الى أواخر الدولة السعدية، بيد أن القسم المتعلق بأخبار الدولة العلوية يتكون من ثلاثة عشر بابا وأربعة فصولا وجامعة وخاتمة .

حلل الاستاذ كرول *(GRAULE)* ، سنة 1913 ، في مجلة العالم الاسلامي (33) ، محتوى **البستان الظريف** وما يتضمنه كل قسم من أقسامه من معلومات ويتضح من ذلك التحليل أن **البستان** يختلف عن **الترجمان** بكونه يشتمل على شذرات أدبية ، نثرية وشعرية ، اذ تحرى الزياني أن يستهل كل باب من أبواب **البستان** طويلا كان أو قصيرا ، بالكلام عن خلق ينهيه باشارة تثبت أن ذلك الخلق امتاز به ، حسب نظره ، السلطان المخصص له ذلك الباب ، فهو مثلا يقول في آخر كلامه عن العلم : « ... وممن عظم العلم ، واكتفى به عن الملك مولانا علي الشريف » (34) ويقول في العقل :

---

32) رجعت في هذا الشأن الى **دليل المؤرخ** ثم الى قسم المخطوطات بالخزانة العامة ، فوجدت تحت رقم : (د ـ 1577) مخطوطة تحمل عنوان **البستان الظريف** وتحت رقم (د ـ 1275) مخطوطة تحت عنوان **الروضة السليمانية** ولكن كتب ناسخها بآخرها « انتهى بحمد الله اللطيف كتاب « **البستان الظريف** على يد الفقير لمولاه الراجي مغفرته ورضاه الحسن بن محمد الحسني الادريسي المنوني - = عام 1351 » وبعد ان تصفحت المخطوطتين تبين لي ان استنتاجات الاستاذ ليفي بروفنسال مطابقة على وجه العموم للواقع وان مؤلفات الزياني متداخلة تدور مواضيعها حول محاور ممثالة لا تكاد طريقة عرضها تختلف الا من حيث الاسهاب أو الاختصار .وتوضيح هذه القضية يتوقف على دراسة دقيقة للكتابين سأقوم بها في فرصة اخرى ان شاء الله . (المعرب)

34) ص 21 من مخطوط **البستان** الموجود بالخزانة العامة ، تحت رقم : د 1577 (المعرب)

« ،، فانظر الى كمال العقل كيف بلغ بالرشيد الغاية القصوى وعالج داء المغرب الى أن دان له الجميع» (35) ويقول : «،، وبالشجاعة أدرك السلطان اسماعيل ما أدرك وبلغ ما بلغ » (36) ، ويقول، « ،، وسبـــب فساد دولة السلطـــان أحمد بن اسماعيل والفشل ،، انه لم يشاهد حربا قط ،، الا دخل داره وتـــرك الناس فوضى ، وهو في داره على الهوى » (37) ويقول في العفو : « ،، وكـان مولانا علي بن اسماعيل رحمه الله من أهل العفو والحلم ، متوقفا عن سفــك الدماء ، فستره الله بذلك ولم يفتضح » (38) .

وبهذه الطريقة تسنى للزياني أن يضفي على كل من سلاطين الدولة الذيـن ارخ لهم ما يناسبه من أوصاف خلقية ولكن هذا النوع من الاستطـــــرادات استثار ما كان كامنا من حسد في صدور الادباء المعاصريـن له ، فاذاعوا فـــي الاوساط العلمية أنه عاطل من كل حلية أدبيـــة وان المبدع الحقيقـــي لتلـك المحسنات »هو أبو عبدالله محمد بن ادريس الزموري العمروي الذي أصبـــح فيما بعد وزيرا للسطان مولاي عبد الرحمان (39) . وهذه الدعوى ، في نظرنـــا خرافة لفقها أدباء من الحاقدين على مؤرخنا الذي كان حمل عليهم حملة نكـراء ورماهم بالقصور ونكران الجميل ، ومن ذلك ما قاله عنهم في مستهل كتابـــه

---

35) نفس المصدر ص 23 .

36) نفس المصدر ص 27 .

37) نفس المصدر ص 46 .

38) نفس المصدر ص 57 (المعرب) .

39) ذكر الزياني هذا الاديب في الفصل الاخير من **البستـــان** وأورد له قصيدة مطلعها :

متـى يتجـلى ليـل التهاجـر بالوصـــــل
ويرجـع مجـــرى الــــود عنـــا الـى الاصل ،،،

وقال بهذه المناسبة : « هذه القصيدة من انشاء الاديب السيد محمد بن ادريس ابـن الحاج ، وكان في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تآليف **الترجمـــان** و **والبستان** و **الفهـرسة** و **الحـــادي** ،، وكان ملازما لي في البيت ، يدي ويده الى الليل ،، مـــدة ثلاثة أعوام وأنا أعطيه خمسة آواق في كل يوم ، ولا يخرج الا ممتلىء الجراب من كل ما يدخل علي من من الفواكه والغلل ،،،ثم قد قدم على هذه الايام بهذه القصيدة الرائقة ،، فانها من غرر القصائد . ولذلك عرفت به أمير المؤمنين ، واظنه يخلف مقام السيـــد حمدون ويقرب منه (المعرب) .

البستان « ،، وبقي علي خبر الدولة السعدية الموفقة الرشيدة ،، لم يضع فيها أحد من أهل الوقت تأليفا ، ولا اعتنى بجمع فضائل ملوكها مشروفا ولا شريفا ،، وعلمت أنه لم يبق بمغربنا من يعتبر ما يسدي اليه من الاحسان ويرى المكافآت عليه ولو بمجرد اللسان ،، خصوصا من أهل هذه الطبقة الثالثة من الطلبة والكتاب الملازمين لتلك الاعتاب ، الذين جمعوا فيها الاموال والدور والرباع والبساتين والضياع ، وقادوا الدولة بلا رسن ، لكن أهل وقتنا كما قيل : « من أحيا شرار قوم أماتوه ، ومن سابق لئاما فاتوه ، ومن زرع السباخ أتلف بدره ، ومن رفع الاخلاط جهلوا قدره » (40) .

★ ★

الترجمانة الكبرى : (41)

فرغ الزياني من تخريج كتاب **الترجمانة الكبرى** في ثاني عشر المولد النبوي الشريف من عام 1233 هـ (20 يناير 1118) ، وكان له من العمر اذ ذاك ست وثمانون سنة .

جمع الزياني في كتابه هذا أوصاف ما شاهده في رحلاته الثلاث من الامصار والبحار ، وأخبار من لقيه من السادات وذوي العلم والجاه بحيث يجوز لنا أن نعتبره فهرسة ورحلة ذات طابع جغرافي ، فهي شبه موسوعة لانها تضم معلومات ضافية وجد متنوعة ، ويكفي للدلالة على ذلك أن نذكر عنوانه باكماله وهو : **الترجمانة الكبرى** من الامصار والمدن والقرى والقفار والبحار والجبال والانهار ، والعيون والمعادن والآبار وغير ذلك من عجائب خواص الحيوانات والاحجار وما يؤيد ذلك من التفسير والآثار (42) ونوازل الفقه وشواهد الاشعار » .

---

40) اقتطفت هذه العبارات من المخطوط الموجود بالخزانة العامة رقم : د 1577 — (المعرب) .

41) أخبرنا المؤلف ، (ص 143 من كتابه) أنه أطلع على نسخة مخطوطة من الترجمان ومن **الترجمانة** بفضل الفقيه المؤرخ ابن علي الدكالي السلوي ، واطلع على نسخة مخطوطة من **الترجمانة** حديثة العهد اعاره اياها السيد محمد بن عبد الله المراكشي الذي كان كاتبا بالسفارة المغربية بباريز ، ثم كاتبا بوزارة التعليم (المعرب (×)

42) لم يفهم المؤلف معنى لفظة « الاثار » المقصود منها هنا : « الكلام المروي او السنة ، ولذا يقال : « فلان من حملة الآثار » ، وقد ترجمها بكلمة *Ruines* أي « الخرائب » !! (المعرب) .

ان المواضيع المطروحة في الترجمانة جد متنوعة ومتفاوتة من حيث الاسهاب أو الايجاز الا أن مؤلفها لم يتبع في ترتيبها خطة محددة ولم يراع في بسطها طريقة واضحة المعالم (43) .

وعلى كل حال فانه يمكننا أن نعتبر العناوين التي اتخذها الاستاذ سالمون في الفصل الذي كتبه عن الترجمانة وجعلها بمثابة فهرست لمحتواه(44)

لاشك أن الزياني حرر فصول **الترجمانة** في ظروف مختلفة من حياته السياسية والفكرية ، وخلال عدة سنوات لان مواد ذلك « الكشكول » لا يتيسر جمعها وتدوينها بطريقة فورية وفي فترات زمنية متصلة الحلقات واذا كان هو نفسه أخبرنا أنه انتهى من تخريج كتاب **الترجمانة** سنة 1233 هـ . فاننا نلاحظ أنه ذكر فيه أحداثا وقعت سنة 1234 بل سنة 1235 هـ (1819 ـ 1821 م) .

أجل ، كل منا يعرف أن المؤلفات التي تصنف في هذه البلاد لا تعتبر تامة الا بعد موت مدونيها ، لان كل من كتب لايغفل ، حتى من بعد تبييض مصنفه واخراج نسخ منه للقراء، ان يسجل بهامش نسخته الاصلية ما قد يعثر

---

43) قال الزياني في مقدمة **الترجمانة** أنه يقصد « الاخبار عن العالم برا وبحرا وما تخلله من الامصار والمدن والقرى والقفار ، والبحار والجبال والانهار ، والعيون والآبار والحيوانات والاحجار ، وما يؤيد ذلك من التفسير والآثار ، ولي في كل مقام منها مقال ، وفي كل روض منها مجال ، حسبما ما يقتضيها الحال ، ويخطر على البال ، من نصوص قرآنية وتاويلات تفسيرية ، وأحاديث نبوية وفتاوي فقهية ومواعيظ صوفية ، وحجج قطعية ، وادلة معقولية ، وشواهد شعرية ، وضوابط معنوية ، واسامي لغوية ، ونوادر سروجية ، وقصائد عالية ، وما يناسب كل خبر ويؤيده ، ويعتمد عليه ويعضده ، وختمها بنصوص من التوراة والانجيل والفرقان للرد على اليهود والنصارى والصابئة والمجوس عبدة النيران حسبما ذكره بعض من تصدى لذلك من اهل العرفان ، ووقع عن الائمة الاجماع» (المعرب : عن **الترجمانة الكبرى** ، نشر وزارة الانباء الرباط ، سنة 1967 ـ ص 34).

44) مجلة المستندات المغربية *Archives marocaines* ج 2 ص 331 ـ وتلك العناوين هي : « وصف المغرب ـ الرحلة الى اسطنبول سنة 1200 هـ ـ وصف الاندلس ـ وصف اسطنبول وما فيها من آثار عمرانية ـ الرجوع : وصف الجزائر وتونس ـ الاقاليم السبعة ـ وصف مصر ـ الرحلة الى الحجاز ومكة ـ تاريخ قدماء ملوك الفرس ـ وصف البحار والجبال ـ مؤلفات الزياني ـ الانبياء والرسل ـ مدن العالم ابتداء من المغرب » (المؤلف) .

عليه من معلومات جديدة لها علاقة بموضوعه وكثيرا ما تكون تلك الاضافـــات الهامشية طويلة ومفيدة، وكدليل على شيوع تلك السيما في المؤلفات المغربيـة يكفي أن نلقي نظرة على الصفحة رقم 111 المثبتة هنا (45) والمستخرجة مـن المخطوط المشار إليه سابقا والمحفوظ بخزانة المـؤرخ الكريم السيـد اتن علـي الدكالي (×) .

فان هذه الصورة تبين لنا أن الزياني رأى من الضروري ، بعد الفراغ مـن تخريج **الترجمانة** ، ان يضيف بخط يده ، وبهامش الصفحة المخصصة لوصف طرابلس وخرائب مدينة مسراتة حيث « تربة الشيـــخ الصالح أحمـــد زروق البرنوسي ، (المتوفى بها سنة 899 هـ 1493 م) ، ترجمة ذلـك العالم وقـد أخذها برمتها من كتاب ابن عسكر : **دوحـة النـاشـر** (46) .)

هذا ومن حيث التاريخ فان كتاب الترجمانة يحتوي علء معلومات تعـــد تكميلا لما ورد ، في هذا الصدد ، في **الترجمـــان** و **البستـــان** إذ نجد بـــه تفاصيل مفيدة عن أحداث السنوات الاخيرة من عهـــد المولى سليمان ومنهـــا الحركة التأديبية التي قادها هذا السلطان ضد آية أملو ، بغاة البربر ، وكـان على رأسهم أبو بكر امهاوش ، وهي حركـــة باءت بالفشل اذ انهزمت فيهـــا جيوش العاهل المغربي وشقت ، أثرها ، عصا الطاعة عدة من القبائل التي كانت الى ذلك الحين ، منضوية تحت لوائه .

من المحقق أن الزياني لم يصاحب السلطان في تلك الحركة وذلك نظرا لكبر سنه ، الا أنه لم يستنكف عن الغض من البربر ، أبناء أرومته ، وعن التنديـد بهم لتجردهـم من الاخلاق الحميدة وتدثرهم بالغدر والخذلان » .

---

45) هذه الصورة توجد بين صحيفتي 186 و 187 ـ من كتاب **مؤرخـــو الشرفـــاء** ولم نر من الضروري اعادة نشرها لان المؤلف اشار هنا الى ظاهرة عادية قد لا يخلو منهـا مخطوط (المعرب) .

(×) توفي المؤرخ ابو عبد الله محمد بن علي الدكالي السلوي بسلا سنة 1364 هـ (1944 م) وقد ترجم له صديقنا الاستاذ عبد الله الجراري في كتابه **اعلام الفكر المعاصر بالعدوتيـــن** (ج 2 ص 177) (المعرب) .

46) هذه الترجمة مثبتة ص 40/38 من **الدوحة** (ط فاس)

اننا نجد في **الترجمانة** أيضا اخبارا طريفة تتعلق بسياسة المولى اسماعيل وحفيده سيدي محمد بن عبد الله الداخلية وبحياتهما الخاصة كما نجد فيها منظومة جديدة عن الدولة العلوية مغايرة للارجوزة التي ختم بها الفصل الاخير من **الترجمان** (47) .

ان الزياني هو المؤرخ الفريد الذي اشتغل بالجغرافية اشتغاله بالتاريخ ولا جرم أن الظروف التي اكتنفت حياته هي التي يسرت له معرفة البلدان في البحر الابيض المتوسط ، الاسلامية منها وغير الاسلامية ، وان رحلاته الثلاث الطوملة أكسبته عن تلك البلاد وسكانها معلومات قل من كان يلم بها ، اذ ذاك ، من أبناء وطنه .

وبالاضافة الى ذلك فانه كان متيقظ الذهن تواقا للاطلاع ، ديدانه البحث والتنقيب والاتصال بذوي المعرفة والنفوذ، فأتاح له تفتحه ان يؤلف كتابا يضم من المعلومات الجغرافية ما لم يتسن لسابقيه ولا لمعاصريه ، أمثال العياشي والغزال ، أن يضمنوه كتبهم .

ليس من أهدافنا القيام بدراسة المعلومات الجغرافية التي يشتمل عليها كتاب **الترجمانة** ، ولكننا نرى من المفيد أن نضع تحت نظر القراء صورة فوتوغرافية « لخريطة البحار » المرسومة في النسخة المخطوطة الخاصة بالمؤلف نفسه ، وهي خريطة خطها بيمينه (48) واليكم وصفها بايجاز : قسم الزياني العالم (من الاعلى نحو السفل الى سبعة أقاليم وقسم كل اقليم من اليمين الى اليسار) الى سبعة أقسام : فالاقليم الاول يشمل السودان والمحيط والمحيط الهندي ، والثاني : الصحراء والبحر الاحمر والجزيرة العربية والخليج

---

47) من الممكن ان تكون القصيدة التي أشار اليها هنا الاستاذ ليفي بروفنصال هي التي بالصحيفة رقم 419 من كتاب **الترجمانة** (نشر وزارة الانباء سنة 1967) والتي مطلعها :

الشمس من مشرق تسعى لمغربنا
والبدر يتبعها بالغرب يكتمل (المعرب)

48) طبع جزء من هذه الخريطة في كتاب **الترجمانة** الذي قامت بنشره وزارة الانباء (ص 30 ، ط : 1967)

الفارسي والهند والصين ، والثالث : المغرب وافريقية وطرابلس ومصر والشام وفارس وتركيا والصين ، والرابع الاندلس والبحر المتوسط والشام والعراق وتركيا ، والخامس : بلاد الروم وخليج الادرياتك (ادرياس) ، واليونان والمضاييق التركية (أو خليج القسطنطينية) والجزيرة وبحر الخزر وبلاد الترك والفوت والسادس ، جزء من انجلترا والقارة الاوربية الى البحر الاسود وتركيا الاسيوية ، والسابع : أرلندا وباقي انجلترا والدانمرك واسكلافونيا .

لاشك أن اشتمال كتاب الزياني على هذه الخريطة أثار استغراب القراء المغاربة لانهم لم يألفوا رؤية أمثال تلك الرسوم ، المنظم تخطيطها ، ومن المحقق أن الكثيرين منهم لم يفهموها (49) لان علم الخرائط الذي اضطلع بوضعه الرحالة المسلمون الاقدمون مثل الإدريسي وابن سعيد وأبي الحسن علي المراكشي ، وحثوا على الاهتمام به ، كان في عهد الزياني علما مهجورا بل مدفونا في ثنايا الاهمال. والدليل على ذلك أن نسخ **الترجمانة** القليل التي لا زالت محفوظة الى الآن في المغرب لا تشتمل على الخريطة المذكورة والسبب ، حسب ظننا ، هو أن النساخ لم يستطيعوا أن ينقلوها بدقة وأمانة وليس من المستحيل أن تكون الخريطة المرسومة في نسخة الزياني الاصلية هي النموذج الوحيد المحفوظ حاليا بالمغرب ، وهذا مما يزيدها قيمة ويستوجب الاعتناء بها (50).

★ ★

اذا كنا نجد في **الترجمانة** عدة نصوص ، منها الطويلة ومنها القصيرة نقلها الزياني من كتب عربية قصد الاستفادة من فحواها ، والاستشهاد

---

49) من النادر ان نصادف ، حتى في وقتنا هذا ، ادباء مغاربة لهم دراية كافية ودقيقة بالعلوم الجغرافية ، واننا لنجد في بعض المكتبات الخاصة كتبا عربية عصرية عديدة في الرياضيات والفيزيا وحتى في الطب من الكتب المتداولة في المدارس المعربة ولكن قلما نعثر فيها على كتب في الجغرافية والخرائط (المؤلف) .

50) لم يتسن لنا أن نتحقق هل المؤلف صادف الصواب في ملاحظته هذه ، وقد ورد في شأن تلك الخريطة في **تاريخ الادب الجغرافي العربي** (ج 2 ص 771) ما يلي : « ان الزياني أراد ، احياء تقليد قديم قد عفى عليه الزمن بالمغرب وهذه المحاولة تبدو لنا وكانها مثقلة بالوهن بعيدة عن الاتقان (المعرب)

بمضمونها فاننا نرى أنه لم يذكر في كتبه الاخرى مراجع كثيرة . فهو ، مثلا لم يشر ، في القسم المنشور من كتابه **الترجمان** الى أكثر من مصدرين وهما : **محاضرات اليوسي** (51) **وتاريخ اليحمدي** (52) .

فمن أين كان اذن يستقي الزياني مواد مؤلفاته ؟ انه أثبت مصادر كتابه **الترجمان** في أوله ، وقد خصصنا لها لائحة ذيلنا بها كتابنا هذا (53) ورتبناها كما رتبها الزياني نفسه . أي حسب الاماكن التي أطلع فيها عليها اذ منها مصادر وجدها بالمغرب ، وأخرى تسنى له الحصول عليها بتلمسان أو بالجزائر أو بتونس ، وأخرى قرأها بالقسطنطينية ، والمصادر التي تأتي له مطالعتها بالمغرب تتعلق بتاريخ العصور الوسطى وبأخبار ملوك الدولة السعدية ، بيد أن تلك التي وجدها بالجزائر وتونس وتركيا تخص التاريخ العام إلا ثلاثة منها كان موضوعها انساب البربر ، ومؤلفوها سابق ابن سليمان المطماطي ، وهاني بن يصدور (54) الكومي وكهلان بن لؤى الاوربي (55) وقد أمده بها خطيب مسجد العباد قرب تلمسان ، فكانت من أهم المراجع له عندكلامه على أصل القبائل البربرية المستقرة بالمغرب الاقصى .

هذا وأما المصادر التي استخدمها الزياني أثناء تحريره للفصول الخاصة بالدولة العلوية ، في كتابه **الترجمان** و **البستان** فانها قليلة جدا ،

---

51) انظر **الترجمان** (طبعة هوداس _ ص 9) .

52) ذكره الزياني عند ما تكلم عن فرق الجيش الجديدة التي نظمها المولى اسماعيل (ص 16 من طبعة هوداس) ، وهو ابو العباس احمد اليحمدي ، وزير المولى اسماعيل ، وقد عرف به ابو الحسن على ابن احمد المصباحي الزروالي في كتابه **سنا المهتدي الى مفاخر الوزير ابي العباس اليحمدي** وهذا الوزير لم يؤلف تاريخا وانما اهتم بالازمة الخاصة بعبيد البخاري (عن **الجيش العرمرم** _ ج 2 ص 146) _ (المؤلف) .

53) الملحق رقم 1 .

54) في **تاريخ ابن خلدون** (ج 6 _ ص 177 _ طبعة دار الكتاب اللبناني) ورد في التعليق الذي باسفل الصفحة : (مسرور) و (مصدور) و (يصدور) _ (المعرب)

55) كتب عن هؤلاء النسابة الثلاثة الاستاذ روني باسي في *Archives Marocaines vol. I fas. II p, 11.*

ونحن لا نستغرب ذلك لانه سبق لنا أن أشرنا أن مؤرخنا كان أول من اهتم بتدوين أخبار تلك الدولة بعدما لاحظ أنه « ،، لم يضع فيها أحد من أهل الوقت تاليفا ولا اعتنى بجمع فضائل ملوكها مشروفا ولا شريفا (56) .

فاذا كان الزياني استقى من فصول **نزهة الحادي** الاخيرة بعض المعلومات المتعلقة بالملوك العلويين الاولين فان وظيفته في البلاط العلوي والمهام السياسية التي انيطت به داخل المغرب وخارجه في عهد ملوك قدروا خبرته حق قدرها ، كل ذلك أتاح له الاستفادة من ذوي الاخطار والاطلاع عن كثب على أحوال الدولة وتتبع أطوارها كما يسر له الرجوع الى الوثائق الرسمية المحفوظة في القصور المخزنية بفاس ومكناس مثل الرسائل والظهائر وأزمة الحسابات حسبما اعترف به هو نفسه في كتابه **الترجمان** (57) ، ولهذا كله فاننا نعتبر تاريخ الدولة العلوية الذي سطرته يد الزياني من المراجع العظيمة القيمة الجديرة بالتنويه وقد أعرب هوداس عن تقديره لها حيث قال : « ففيما يخص تاريخ الشرفاء لا يجوز لنا أن نعتبر الزياني ناقلا جماعا لا غير » (58) .

بقي علينا أن نعرف هل الزياني استطاع أن يتحاشى التحيز والغلو في تدوينه لاخبار السلاطين الذين كان يعيش في ظلهم .

يمكننا بادىء ذي بدء أن نؤاخذه على تركيزه تاريخ الدولة العلوية ، خصوصا منذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، على الاحداث التي كان هو من المشاركين فيها او من القابضين على بعض أزمة تطوراتها . نعم فاننا كثيرا ما نجده يستعمل صيغة « المتكلم » في **البستان** وفي القسم الاخير من **الترجمان** كان يحاول بذلك أن يتباهى بما كان لمواقفه من شأن وأن يفتخر بما كان يحظى به من قدر وجاه . وعلى

56) انظر التعليق رقم 40 .

57 طبعة هوداس ص 29 من النص العربي .

58) هوداس : مقدمة **الترجمان** ص 4 .

كل فان صراحته ، وهو يترجم لنفسه ، في التنديد بالمولى اليزيد وفي وصفه الصادق لما كان عليه من سوء الحال اثر المعاملة القاسية التي عامله بها ذلك السلطان ، ما يدعونا إلى التغاضي عن عجبه وتباهيه .

والجدير بالذكر أن الزياني لم يعن بالتاريخ ابتغاء عطاء أو رجاء تقرب من ذي سلطان ، فانه لم يمل لتدوين الاخبار الا بعد اطلاعه ، وهو في ريعان الشباب على كناش من مخلفات جده النسابة علي ، كما ذكر لنا ذلك في مستهل كتابه **الترجمانة** ولم يفكر في تسجيل الاحداث المعاصرة ولا في تخصيص كتب لوصف أحوال الدولة العلوية الا بعد أن انتهى من تحرير كتابه في التاريخ العام .

انه لم يتردد في تقديم كتبه الثلاثة المهمة الى السلطان المولى سليمان ولكن لم يكن عمله ذلك مشوبا شائبة من التملق أو التزيد ، فان كتابه الاول **الترجمان** ، يبين بوضوح أنه لم يكن من المؤرخين المرتزقة ، ويفيد الواقع أنه لم يكن ينتظر أن تبلغه أعماله التاريخية مرتبة أعلى من المرتبة الممتازة التي كان وصل اليها بفضل نجاحه في المجال السياسي .

ومن جهة أخرى فان مؤلفاته التاريخية الخاصة بالدولة العلوية ، كتلك التي تهم الدولة السعدية، تملأ النفوس اطمئنانا وارتياحا لانها تمتاز بالضبط والدقة ، سواء في عرض الاحداث أو في وصف الاماكن اذ نراه يشفع المعلومات التاريخية بذكر الارقام أو التواريخ أو بتحديد الاماكن ، ولا يغفل عن التعريف بأسماء القبائل التي شاركت في « حركة » أو واقعة ، فان كتابيه ، **الترجمان** و **البستان** ، مشحونان بالملاحظات الصائبة المتعلقة بالامكنة والمواقع .

فالزياني لم يهتم بالتاريخ السياسي فحسب ، بل كان يتوخى الدقة في وصف الظروف الملابسة للمعارك والثورات ويتحرى الصواب في وصف المنشآت الحضارية والاصلاحات الاجتماعية حاذيا في ذلك حذو سابقيه ، ابن القاضي

والافراني: فاننا نراه يطلع قراءه على ما أدخل على بعض القطع النقدية المغربية من تغييرات ، ولا سيما « الموزونـــة » و « المثقـــال » ، في عهد المولى الرشيد وعهد المولى اسماعيل (59) ، كما نراه ينتحي الضبط في تحديد التواريـــخ التي أقيمت فيها بعض المؤسسات العمومية ، وبالاضافة الى ذلك فان المعلومات التي زودنا بها في شأن البنايات الواسعة التي تضمها القصور المخزنية فـي العاصمة المكناسية ، حيث أقام مدة طويلة ، خير شاهد على تحريه الاستقصاء والتدقيق (60) .

وأخيرا فان كتبه التاريخية الثلاثة مظنة من أفيد المظان لمن يريد أن يضع تاريخا طبوغرافيا لمدينة فاس اذ يجد فيها تفاصيل غاية في الدقة عن البنايات والاصلاحات التي تتعلق بالمساجد والمدارس والقناطر والقصبات (61) .

ولكن الميزة الاكثر أصالة في مؤرخنا هي ، بدون شك علمه بشؤون أوربا ، وذلك يبدو بكامـل الوضوح في النسخـــة المخطوطـــة التي بين أيدينا مـن **الترجمـــان** وفي **البستـــان** اننا نلاحظ أنه يصف بشيء من الاطنــــاب العلاقات المغربية التركية ولكن كثيرا ما يسطر قلمه نبذا مفيدة عن السفـــارات الاجنبية التي وردت الى المغرب وعن البعثات الرسمية المغربية الموجهة لاوربـا مثبتا بذلك أنه على علم بتاريخ أهم دول أوربا المعاصر وعلى اطلاع بالمواقــــع الجغرافية التي تهيمن عليها تلك الدول، ونحن لا نستغرب ذلك لاننا نعرف أنه

---

59) **الترجمـــان المعرب** ص 11 (ط هوداس)) المؤلف) .

60) انظر ما أورده الزياني في **الترجمـــان** (كراسة 11 من مخطوط سلا) عن البديع وعن القصور التي بناها المولى اسماعيل بمكناس ومن ذلك قوله : « ولقد شاهدت ضخامـة بنائه بعد خرابه ونقل خشبه ورخامه في دولة أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله بـن اسماعيل ووددت لو كان الفشتالي حيا وشاهد ما بناه السلطان الاعظم مولاي اسماعيل في قلعة مكناسة من الدور والقصور التي تزيد على عشرين اصغرها يشاكل القصر البديـــع ، وأوسطها أعظم منه وأكبرها لا يظهر البديع في زواياه ... » (المؤلف) .

61) انظر مثلا ما ذكره الزياني عن البنايات التي أقامها المولى الرشيد بفـــاس **الترجمـــان** ط ، هوداس ص 9 — 12) (المؤلف) .

ركب البحر ، وهو يافع ، وسافر عبر شواطيء فرنسا واسبانيا الجنوبية وتسنى له أن يعرف كثيرا من المواقع وأن يتعلم قسطا وافرا من الكلمات والعبارات الفرنجية، ربما تكون ضعيفة الصلة باللغة الفرنسية أو الاسبانية، ولكنها متداولة في المراسي المغربية التي كان يتوارد عليها أفواج من البحرية المختلفة أجناسهم ولهجاتهم .

ومهما يكن فاننا لا نملك كتمان تعجبنا عند ما نجد، من بين المعلومات التي أوردها في القسم الخاص بالسعديين ، من الترجمان ، وصفا طويلا بعض الشيء، للحالة السياسية التي كانت عليها أوربا في أواخر فترة الحروب الدينية وتعرض الزياني لذكرها عند ما تكلم عن الثائر مولاي الناصر (62) وعن الاعانة التي وعد بها أحمد المنصور ملكة انجلترا قبيل انكسار الاسطول الاسباني العظيم (63) .

ان هذه الاخبار ذات قيمة لا يستهان بها لان المؤرخين الغربيين كانوا لا يعرفون عن العلاقات السياسية المغربية الانجليزية ، في العهد السعدي ، إلا ما أفادتهم به الوثائق المحفوظة بدور المستندات الفرنسية والانجليزية والتي نشرت منذ عهد قريب ، (64) وبوجه خاص تلك الرسائل العديدة التي وجهها أحمد الذهبي للملكة اليزابيت والتي تبين أن تلك الملكة حاولت أن تبرم حلفا مع السلطان السعدي ليساندها ضد فيليب الثاني، ملك اسبانيا وليوفر للتجار الانجليز امتيازات خاصة في السوق المغربية .

---

62) الامير الناصر بن عبد الله الغالب ، انظر ما ورد في هذا الشأن في **مناهل الصفا** ط تطوان 1964 م ص 94 وما بعدها) (المعرب) ذ

63) **الاسطول الظافر** (*L'Invincible Armada*) كان وجهه فيليب الثاني ، ملك اسبانيا، سنة 1588 م ، ضد انجلترا قصد أخذ الثأر من قتلة الملكة *Marie Stuart* والقضاء على اليزابات الاولى ، وغرق أكثر مراكب الاسطول وسط زوبعة بحرية ،، (المعرب) .

64) **المراجع غير المنشورة** لدوكاستر ، الجزء الاول من السلسلة الخاصة بانجلترا (المقدمة) (المؤلف) .

إن لم يكن الزياني هو الكاتب الوحيد الذي كان يعرف تفاصيل تلك العلاقات فهو على الاقل المؤرخ الوحيد الذي أشار اليها في مؤلفاته ، من غير أن يغفل ، بهذه المناسبة ، عن ابراز الدور الذي لعبه اذ ذاك العاهل المغربي، أحمد المنصور الذي كاتب ملكة انجلترا ليخبرهـا أنه عازم على مساندتهـا بقطع جميـع العلاقات مع ملك اسبانيا ميمدها بما تحتاج اليه من نحاس وملح البـارود ومعادن الخ (65) .

من المحقق أن الزياني وجد هذه القائمـة الدقيقة من المواد المسمـوح بتصديرها ، ضمن رسائل رسمية تيسر له الاطلاع عليها ، ولكن من يا تـرى زوده بالمعلومات الخاصة بالاحداث التي وقعت بأوربا في أواخر القرن السادس عشر ؟ فاننا قرأنا في النسخة التي بين أيدينا من الترجمـان فصلا حافـلا يتعلق بهذا الشأن ولم يمنعنا من ترجمته الا طوله ، وهو يشتمل على أخبـار تشير الى ما بذله فيليب الثاني ، ملك اسبانيا ، بعد وفاة الكردنال هنـري خليفة دون سيستيان على عرش البرتغال ، من محاولات لضم تلك البلاد الى مملكته . كما تشير الى العراقيل التي وضعتها في طريقه الدولة الانجليزيـة ومنها العمل على فل قوة أساطيلـه البحريـة والى الحالة الاقتصاديـة السيئـة التـي كانـت عليهـا فرنسـا فـي تلـك الفتـرة وهكذا تكلم عن نشوء الصراع بين الكتلتين المسيحيتيـن ، الكاثوليكيـة واللوتيرية ، وعن مقتل هنري الثالث ، وجلوس هنري الرابع على العـرش بفرنسـا .

لا ريب أن مثل هذه المعلومات المطابقة للواقع التاريخي لا يمكن العثـور عليها في المؤلفات المغربية الاخرى اللهم أن يكون قد أشار اليها بعض السفـراء المغاربة من الذين وجهوا الى اسبانيا ، وعلى كل حـال فان الزياني قـد ادرك أن المغرب كان في كثير من فتراته التاريخية يهتم بما يحدث من قضايا ومن

65) اشار المؤلف الى مرجع هذه المعلومات ولكني لم اعثر عليها في نسخة الترجمان التي بقسم المخطوطات بالرباط (المغرب) .

أزمات في البلدان الاجنبية كما فهم كمؤرخ أنه ليس من الضروري أن يصحب ذكر أسماء تلك البلدان، في كتبه، بالنعوت المحقرة الجاري بها العمل في المكاتيب المغربية، وهكذا نراه، في هذه الحالة أيضا يعدل عما كان معتادا عند الادباء من أبناء وطنه، ويتسم بسمات لها صدى طيب في نفوسنا.

انه لمن الممكن أن تكون معرفة الزياني بالشؤون الاوربية، وان كانت معرفة سطحية، سببا من الاسباب التي أفسدت سمعته في الاوساط الثقافية وجعلت الناس يحطون من قيمة مؤلفاته الا أن تلك السمعة السيئة لم تنتشر الا بعد موته لان الموظفين الذين يعملون بجانبه يوم كان وزيرا وكانوا من غير شك يحسدونه، لم يكونوا يجرؤون على التنقيص من مؤلفاته أو الغض من قيمة أعماله وذلك نظرا لعلو مكانته عند السلطان ولقوة نفوذه في البلاط. فانه لم يكن يتردد في التصريح بما يخطر له من آراء وملاحظات مكتفيا، في هذا الصدد، باجتناب ما يعكر على مخدومه صفو العيش، ومن حسن حظه كان مخدومه السلطان مولاي سليمان المعروف بذكائه وحلمه.

فان التقاريظ المختومة بها النسخ المخطوطة من **الترجمانة** تبين أن الزياني كان حتى في السنين الاخيرة من حياته، مهيب الجانب مراعي الحرمة، سيما ان كل أصحاب تلك التقاريظ يعدون من رجالات العلم والادب (66) وكان محمد أكنسوس أحدهم، وهو اذ ذاك من الحديثي العهد بالعمل في البلاط السلطاني، فانه كال الزياني الثناء بالمكيال الاوفى الا أنه لم يمت مؤرخنا حتى قلب له ظهر المجن، فلم يستح من انتحال صفحات عديدة من كتبه وضمنها إلى « جيشه » من غير اشارة الى من كان رب نعمته، بل لم يتورع عن تجهيله وحتى عن تكفيره.

---

66) وهم السادة: سليمان الحوات، حمدون بن الحاج، محمد بن عامر المعوني التادلي، ومحمد بن هنو اليازغي، وأبو بكر بن ادريس المنجرة الحسني، وأحمد زروق بن محمد بن صابر الجعفري وعبد الودود الاندلسي الشفشاوني وأحمد بن ابي نافع، والعربي بن محمد الدمناتي، وأبو الفضل عبد الواحد بن أحمد التاودي ابن سودة واخوه العباس، وادريس بن عبد الله الودغيري الادريسي، والعربي بن الهاشمي الزرهوني، ومحمد بن الصادق العلمي بن ميسون، ومحمد بن احمد بناني، ومحمد بن منصور الشفشاوني، وسعيد السوسي، ومحمد بن العربي قصارة الانصاري، احمد بن عبد السلام بناني والطالب ابن سودة، ومحمد بن أحمد اكنسوس السوسي (المؤلف)
= نصرت اكثر هذه التقاريظ في **الترجمانة** (ط الرباط سنة 1967)

أجل لا زال الزياني ، الى يومنا هذا ، يجرح بمثل هذه الوصمة لانه كـان حاد اللسان لا يتأخر عن « الولــوغ في الاعراض البريئـــة » وعـن التنديـد بالصالحين والفضلاء .

الظاهر أن مبعث حقد المؤرخ أكنسوس ، الـذي كـــان من « أساطيـــن » الطريقة التجانية ، على مترجمنا هو أن هذا الاخير ترفع عن الانتســاب الـــى تلك الطريقة والانتماء الى زاوية من « الزوايا » (67) .

وإنه لمن حسن الحظ أن الاوربيين ما كادوا يطلعون على ذلك الجزء الضئيل من آثاره المنقول الى الفرنسية حتى قدروه ورأوا فيه المؤرخ الذي لم يبلغ بعـد مبلغه أحد ممن أرخوا للدولة العلوية . فان المؤرخين المغاربة الذين تلوه في هذا المضمار ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يقدموا التوثيق اللازم والدقيــق الذي كان يحرص عليه الزياني في مؤلفاته، فان كل ما كتبه عن الاسرة العلوية ليس فيه كبير عناء الا بعد العصر الذي توقف فيه الزياني عن الكتابة . أمـــا كتاباتهم عن الفترة التي عالجها الوزير المؤرخ فليست الا « انتحـــالات » أو اقتباسات من مؤلفاتـــه ، جعلـت فـي قـوالـب مزوقـة مثقلـة بالمحسنات البديعـــة .

★ ★

محمـد أكنسـوس

يعتبر محمد أكنسوس ، بالنسبة لسابقه أبي القاسم الزياني ، مؤرخـــا باهت اللون . خطير الرأي : فهذا كاتب مغربي متفتح لمتطلبات عصـره ، وذاك مثال العالم الجامد المتزمت .

لقد اضطلع كلاهما ، في البلاط المخزنـي ، بمهـــام ذات شـــأن ، الا أن أكنسوس لم ينفك ، طيلة حياته ، حـــذرا في أقواله وأفعاله ، متخذلقا فـــي كتاباته ، وخصوصا التاريخية منهـــا ، مـع أنه لم يكتب التاريخ الا ليمـدح ويتزلـــف .

---

67) وردت ترجمة الفقيه محمد اكنسوس في كتاب القاضي الحاج احمد سكيـــرج **كشف الحجـــاب** ومما قاله فيه « هو احد القائمين على ساق الجد في الذب عن حماها . (الطريقة) – ورد تهورات كل شنيع –) (ص 328 ط 1962 م) (المعرب)

ان أكثر من ترجموا له عدوه شاعرا بارعا ، ودعوه : « أديب الغرب والسوس » ولكن لم يجمعوا على أنه من المؤرخين المهرة .

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس ، ينتمي الى احدى القبائل السوسية العريقة ، قبيلة « ايدا وكنسوس » حيث ولد ، سنة 1211 هـ (1796 ـ 1797 م) .

نعم عرف أكنسوس باسم قبيلته الا أننا نجد أحيانا ، من يعرب ذلك الاسم فيقول ، الجنسوس أو الجنسوسي .

خصص له القاضي أحمد سكيرج الفاسي ترجمة تنم عما يكنه له من عطف وتقدير (1) حلاه غيبيا بالنسب القرشي الهاشمي الجعفري (2) المنتمي إليه شرفاء زاوية تمكروت ، ومنها أمه ، وهي كريمة الشيخ ابن ناصر .

اننا لا نعرف الا النزر القليل عن طفولة هذا المؤرخ ولكن ليس من المستبعد أن يكون شب في حجر قبيلته لاننا نعرف أنه غادرها سنة 1229 هـ، (1814 م) وتوجه الى فاس طلبا للعلم ، فأخذ عن مشاهير علمائها وافاضل شيوخها كالعلامة الفقيه محمد بن عامر التادلي الذي كان مستشارا للسلطان سيدي محمد بن عبد الله وشيخا للسلطان المولى سليمان ، وكالشيخ حمدون بن الحاج ، والشيخ محمد بن أبي بكر اليازغي والشيخ أبي العباس أحمد بن التاودي ابن سودة ، والشريف أبي محمد عبد السلام الآزمي، والعلامة أبي عبد الله محمد بن عمرو الزروالي ، والفقيه المنطقي أبي عبد الله محمد ابن منصور الشفشاوني .

---

1) في كتابه **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الاصحاب** (ص 318 ـ 378) (المؤلف) (و ص 328 ط 1962 ـ المعرب)

وترجم له كذلك ابن الموقت في **السعادة الابدية** ومحمد السائح في **المنتخبات العبقرية** ، وأفادنا بتفاصيل عن حياته لم تنشر للسيد العباس بن ابراهيم المراكشي (المؤلف)

2) يشك المؤلف في صحة هذا النسب ولم أر من الضروري أن أترجم ترجمة حرفية ما ذكره في هذا الموضوع، سيما بعد ان قرأت في الكتيب الذي خصصه الاستاذ عبد الله كنون لهذا المؤلف ما يلي : «ربما زيد في نسبه الجعفري استنادا الى ما ذكره في تاريخه من أنه وجد آباءه ينتسبون الى سيدنا جعفر ، وأنه وان لم يقف على تحقيق ذلك فانو يتشبث به فرارا من الدخول ى حديث : « تبرء من نسب وان دق كفر » (المعرب)

كانت القرويين ، منذ عدة أجيال ، منبت أفواج من رجال الادارة المغربية، تلك الادارة التي ما فتئت، الى عهد قريب ، متمثلة في الوظائف المخزنية لا غير ومنها الوزارة التي أصبحت ، منذ أمد بعيد ، تستند لاصحاب القلم لا لاصحاب السيف ، والكتابة بالبنائق الديوانية التي كانت في غالب الاحيان ، تضم من المحررين أكثر مما تدعو اليه الحاجة .

اجتذبت الوظائف المخزنية الطالب أكنسوس ، كما اجتذبت ، من قبل ، الزياني وغيره من طلبة القرويين ، فعين كاتبا ولم يلبث أن بلغ منصب وزير.

كان المغرب ، عهدئذ ، يعيش فترة اضطراب وفتن ، وكان السلطان المولى سليمان يجابه مشاكل معقدة عديدة من جراء خروج أهل فاس عليه وميلهم للمولى سعيد ، نجل المولى يزيد ، ومن جراء ما تفاقم من عصيان وتمرد ببعض المناطق المغربية الاخرى .

أرسل السلطان الوزير أكنسوس ، خلال تلك الفترة العصيبة ، في مهام سياسية تكلم هو عنها بشيء من التفصيل في كتابه ، وهكذا أخبرنا أن السلطان أوفده الى تطوان ثم الى القصر الكبير ثم الى سلا الخ ،، وأنه كان يحظى بالحفاوة والتكريم حيثما حل وارتحل .

توفي السلطان مولاي سليمان في 13 ربيع الاول سنة 1238 هـ (28 نوفمبر 1822 م) ففقد أكنسوس بموته حاميه كما فقد منصب الوزارة اذ أن السلطان الجديد ، مولاي عبد الرحمان أبعده واستوزر مكانه رفيقه في الطلب ، محمد بن إدريس الذي سبق أن رأينا كيف التحق بالبلاط أيام وزارة أبي القاسم الزياني .

لما ولي المولى عبد الرحمان كان أكنسوس مقيما بمراكش الا أنه سرعان ما نهض للالتحاق بالموكب الملكي فوافاه بالقصر الكبير ، هش له السلطان وقربه ، وسأله عن سيرة سلفه السلطان مولاي سليمان ، ولكن تحركت ضده الضغائن وعاكسته وشايات وسعايات تكلم عنها باسهاب في جيشه ، فصرف عن المهام المخزنية الرسمية ، ومع ذلك ، بقي يتردد على البلاط من آن لآخر لينشد ما كان يدبجه من قصائد في مختلف المناسبات .

فانه ذكر في **الجيـــش** ان الوزير ابن ادريس استنابه سنـــة 1265 هـ (1849 م) في نظم قصيدة في مدح الرسول (صلعم) كان السلطان عزم على إرسالها الى المدينة المنورة مع ولديه المولى سليمان والمولى رشيد (3) .

ولما تربع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان على عرش أسلافه نظـم أكنسوس قصيدة في رثاء السلطان الراحل وأخرى لتهنئة العاهـل الجديـــد ، وكلف ابنه عبد الله بالذهـاب إلى مكناس لانشادهـــا بين يديه ، وذكر فـي **الجيـش** أن تلك التهنئة حظيت باستحسان سيدي محمد بن عبد الرحمـــان فأجزل له العطاء وتفضل عليه بحلل سنية (4) .

قضى أكنسوس السنوات الاخيرة من حياته بمدينة مولاي الحسن وتوفي عن عمر يناهز الثالثة والثمانيـن ، يـوم الثـلاثاء 29 محـــرم 1294 هـ (14 فبراير ١٨٧٧ م) ودفن في اليـوم التـــالي ، خـارج باب الـربـ ، قـــرب ضريح الامام أبي القاسم السهيلي ، وحضر جنازته الجم الغفير من النـاس ، ولا زال قبره الى يومنا هذا مقصودا للدعاء والتبرك .

أسمى أكنسوس كتابه في التاريخ **الجيش العرمرم الخماسي في دولـــة أولاد مولانا علي السجلماسي** (5) وهذا الكتاب لميعرف خارج المغرب إلا فـــي السنين الاخيرة مع أن المختصين في تاريخ افريقيا الشمالية ، من أهل الغرب، كانوا لاحظوا أن المؤرخ الناصري أورد منه ، في **الاستقصـــا** عدة نصـــــوص تتعلق بالدولة العلوية .

طبع **الجيـــش** بفاس سنة 1336 هـ (1918 م) في جزئين الا أن النسخ التي تم اخراجها بالمطبعة الحجرية قليلة جدا ، وعنوانه يشير إلى الطريقـــة التي سلكها اكنسوس فـي كتابة التاريخ .

---

3) أنظر القصيدة في الكتيب الذي خصصه الاستاذ عبد الله كنون لاكنسوس في مجموعـــة ذكريـــات مشاهيـــر رجال المغرب ص 31 ، (المعرب)

4) **الجيـــش** ج 2 ص 64 .

5) الف اكنسوس بالاضافة الى **الجيـش** كتابين في مسائل اسلامية أولهما **الجواب المسكت** وثانيهما **الرد علي رسالة البكاي** (المؤلف)

فهو يتمثل التاريخ الاسلامي في شكل جيش مركب ، ككل جيش عربي منظم ، من خمسة أقسام متميزة بعضها عن بعض، مقدمة ، وجناحان وقلب وساقة ، « فالمقدمة في الاوليات ، وفي حقيقة الامامة العظمى وحكمها شرعا ، والفرق بينها وبين الخلافة وبين الملك ، والجناح الايمن في دول المشرق ، يشتمل على ذكر السيرة النبوية والخلفاء الراشدين ، والامويين ، والعباسيين ، والفاطميين والاتراك العثمانيين ، والجناح الايسر في دول المغرب : الادارسة ، وأمويي الاندلس ، المرابطين والموحدين والحفصيين والمرينيين والسعديين ، ولكن بايجاز كالسابق ، و « القلب » في الدولة العلوية الشريفة ، وهي المقصودة بالذات من هذا « الخميس » والساقة في سياسة الملك واختصاصاته وأعوانه من وزراء وكتاب وغيرهم من كبار الموظفين .

الظاهر أن أكنسوس رتب كتابه هذا الترتيب الغريب ليبرر ذكره للتاريخ الاسلامي العام ولمسائل سياسية إلى جنب موضوعه الاساسي ، أي الدولة العلوية التي خصص لها أكبر قسط من مباحثه ، فذكر ملوكها ، ملكا ملكا وما وقع في عهدهم من حوادث ، رامزا في أقسام **الجيش** الخاصة والقلب والجناحين بألوية ورايات تحت كل لواء منها . وهو يقصد باللواء الدولة ، وبالراية الملك ، جاعلا لكل من تلك الرايات لونا يلائم حالة من نسب اليه وطريقة معاملته لرعاياه .

« فاللون الابيض يوصف به الصلاح والكمال، والسواد يوصف به الثابت في سيادته وعزته ، والحمرة يوصف بها القوي الشهم مع خوف الافتتان بها ، والصفرة يوصف بها الفرح القصيب (كذا) مع اللهو المفرط ، والخضرة يوصف بها المعتدل الذي غلب عليه الخير والصلاح ، والزرقة عكس الاخضر ، والامتزاج بحسب مزاجه ، والغبرة يوصف بها مجهول الحال (6) .

---

6) ص 19 / 20 من الجزء الاول (المعرب)

لماذا يا ترى اختار أكنسوس هذه التعابير الرمزية التي لا تخلو من التصنع السمج ؟ ان كان الزياني ، استعمل – ولكن في كتابه البستان لا غير، كلا من الفصول المتعلقة بأخبار أمير أو سلطان ، بفذلكة جد موجزة لابراز ما امتاز به من محاسن أو مساوىء ، فأكنسوس لم يتخذ ذلك الترتيب الغريب لتبرير استطرادات أدبية ، وإنما ليجعل منه اطارا ييسر له ابداء مهارته في تجلية « النسبة بين مختلف الوان الالوية والرايات وحالات أهل ذلك اللون ولونه » (7) وهكذا نراه عنون الفصل الخاص بالمولى سليمان ، « الراية الخضراء العالية ذات الاذيال البيض » والخاص بسلفه المولى اليزيد : « الراية الزرقاء الكسيفة لمنظر الكويهة المخبر » .

ومن حسن الحظ فان أكنسوس لم يتوسع في لقارنات بين الاحوال الالوان ، ولو فعل لكان أسلوب جيشه عسير الهضم .

تناول أكنسوس تاريخ الدولة العلوية من أوائل نشأتها الى سنة 1282هـ 1865 م) أي عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (8) . وكان له من العمر . وقتئذ ، أكثر من سبعين عاما . وقد صرح في مطلع كتابه ، أنه أول عالم يخصص للعلويين تاريخا جديرا بمنزلتهم الرفيعة وأنه تطوع لذلك بعد أن تأكد من قصور أو عجز من سبقه في هذا المضمار ، ملاحظا أن ما كتبه الافراني عنهم في القسم الاخير من نزهة الحادي وعن المولى اسماعيل في كتيب آخر « لا يشفي غليلا » وما كتبه القادري في الازهار الندية «لا يغني فتيلا» ، ولم يفته بهذه المناسبة أن يتعرض لذكر الزياني بسخرية اذ وصمه بالجهل وبأنه « كخرقاء وجدت صوفا » وزاعما أنه لم يزد، في بستانه على سلخ ما كتبه « ابن الحاج » في نفس الموضوع وهكذا نراه يتناسى ما كان بيديه للزياني من ولاء وتكريم يوم كان وزيرا بيديه الحل والعقد .

---

7) الجيش ط ج 1 ص 20 .
8) فرغ من تأليف الجيش في 15 شعبان 1283 هـ (23 دجنبر 1866) (المؤلف) .

ان تقييم كتاب **الجيـــش** يقتضي ترتيبه الى قسميـن ، أولهما يبـــدأ من نشأة الاسرة العلوية حتى حكم مولاي سليمـــان وثانيهما يتصل بحكـــم المولى عبد الرحمان وابنه سيدي محمد .

في القسم الاول اكتفى أكنسوس بانتحال ما ورد حول هـــذا الموضـــوع في كتابي سابقيه الافراني والزياني : فانه حشر وأدمج في **جيشـــه** الفصـــل الاخير من **نزهـــة الحـــادي** وقسطا وافرا من **البستـــان**ولم يذكر الا نادرا المصدر الذي أخذ عنه ، ولذا يجوز لنا أن نفرض انه لو ضاع **البستـــان** لتيسر لنا ان نتعزى عن فقده لان الجزء الاكبر منه مثبت في **الجيـــش** .

وعلى العكس من هذا فان القسم الثاني من **الجيـــش** يشتمل على تاريخ فترة شهد أكنسوس أحداثها كممثل أو كمشاهد ، فهو اذن ذو قيمة تاريخيـــة لا يستهان بها .

وضع أكنسوس هذا القسم على شكل « حوليات » وقد سلك فيه ، بنجاح لا ينكر ، طريقة استاذه الزياني مخصصا مقام الصدارة للاحداث السياسيـــة والمواقف السلطانية والحملات التأديبية ، الخ ،، و « الهامشيات » لتسجيـــل أخبار تتعلق بشخصيات بارزة قيد وفياتهم (9) وبتواريخ انشاء مؤسســـات عمومية ، الشيء الذي يؤكد المامه بشؤون المغرب وبخطط حواضره .

ولكن يبدو أن أكنسوس يظل شاعرا معتزا بسعة باعه في ميدان القوافـي اذ الانطباع الذي تتركه في النفس مطالعة القسم الثاني من **الجيـــش** هـــو أن المؤلف قد استعمل سرده التاريخي كوسيلة لايراد انتاجه الشعري وتسجيل القصائد المتعددة التي قدمها للسلاطين والامراء والوزراء الكبار والتي تبرز ملكته الراسخة في الفنـــون الادبيـــة ، وتؤيد اعتبـــاره من طبقـــة حمدون بن الحاج ، وابن الونان .

---

9) وهكذا نراه بمناسبة ذكره للوباء الذي كاد يكون من ضحاياه السلطان سيدي محمد بـــن عبد الرحمان ، يقدم لنا معلومات طريقة عن أسرة ادراق منيت عدة اطباء عرفوا بنجابتهـــم ومعالجتهم للملوك (المؤلف) .

وتتجلى هذه الخاصية في ما أثبته في **جيشـــه** من عظيم التقديـــر لعبقرية الكاتب اللبناني فارس الشدياق المسيحي المنبت الذي اختار الإسـلام دينا ، عندما اطلع على قصيدتين وجههما ذلك الاديب للبلاط المغربي ، مـــدح في أولاهما السلطان مولاي عبد الرحمان ، وفي الثانية الوزير محمد بن ادريس (10) ، فانه تكلم عنه بنوع من الاسهاب في القسم الثاني من تاريخـه اذ رأى أن « ذلك من عجائب ما يروى » (11) .

ختم أكنسوس القسم الثاني من **الجيـــش** « ساقة » بان تناول فيهـــا الكلام عن شؤون قد تبدو ، لاول وهلة ، خارجة عن الموضوع ، لانها تتعلق بما ينبغي أن يتحلى به كل أمير من خصال حميدة. وقد استشهد ، في هذا الصدد، بمجموعة مهمة من الاقوال اقتبسها من مؤلفات سابقيه من المؤرخين وأصحاب الموسوعات ، الا أن تلك « الساقة » مليئة بملاحظات جد مفيدة لدارسي تطورات أنظمة الحكم بالمغرب في عهد الدولة العلويـــة : فان أكنســـوس لخص فيهـا متطلبات الوظائف المخزنية من وزارة وحجابة وكتابة ، وسجل معلومات عـــن شخصيات شغلوا الصدارة في البلاط العلوي، مثل الوزير أبي العباس اليحمدي والوزير أفندي العربي قدوس ، والوزير محمد بن ادريس ، والوزير الطيب بـن اليمنى الا أنه حشر حول تلك المعلومات إستطرادات طويلة لا نرى لايرادها من داع كتلك « المنظومات » التي قيلت في « معنى الكتابة وآلاتها » وفي « المكتوب فيه » وفي « المكتوب به » وفي « الكاتب وفي المكتوب اليه » الخ (12) .

---

10) ذكر الاستاذ ليفي بروفنصال ان فارس الشدياق مالطي الاصل ، والحقيقة أنه لبناني المسقط وعاش مدة في جزيرة مالطة اعتنق الاسلام في تونس سنة 1857 م (انظر **دائرة المعارف الاسلامية** ، النص الفرنسي ج 2 ص 819) (المعرب) .

11) اليكم ما ورد في **الجيـــش** (ج 2 ص 31) في شان هذا الاديب :
« وبعد هذا وردت قصيدتان بديعتان بخط عربي رفيع في غاية ما يكون من الفصاحـــة والسلاسة من نفائس الاشعار ، احدى القصيدتين في مولانا أمير المؤمنين المؤيد ، والاخرى في مدح وزيره الفقيه العلامة ابي عبد الله محمد بن ادريس ، وهما من انشاء نصراني بمالطة يقال له فارس الشدياق ، فكان ذلك من عجائب ما يروى ،، وشأن الشدياق المذكور ودأبه وعادتـــه استجداء ملوك المسلمين باشعار ، ومدائحه العجيبة فادرك بذلك أموالا طائلة ، وله مكانـــة عند كل دولة ،،» (المعرب)

12) ج 2 ص 159 وما بعدها (المعرب) .

لما أخرج كتاب **الجيش العرمرم** للقراء لم يحظ من لدن رجال الادب بماكان ينتظره له مؤلفه من التقدير ، بل أدى الى عرضه على علماء فاس ليبدوا رأيهم فيه ، وذلك لان أكنسوس تجرأ فيه ، تملقا للاسرة الحاكمة على الغض من شأن السلاطين الادارسة ، وهم مؤسسو دولة الاشراف الاولى بالمغرب ، وأبدى فيه نوعا من الحقد على فاس عاصمة الشمال المغربي ، لحزازات شخصية بقي أثرها في نفسه منذ أن حبس فيها وكاد يلقى بها حتفه في عهد مولاي سليمان فضلا عن أنه وقع ، بمناسبة عرضه لقائمة مراجعه التاريخية ، في أوهام ، وارتكب أخطاء لا يتغاضى عن مثلها علماء وطنه ، أولئك العلماء المشهورون بالبراعة في التعرض بالنقد « للجزئيات » ، ألم يسم كتاب الافراني في ترجمة المولى اسماعيل ، ولم يطلع عليه ، **الظل الظليل** وعنوانه الحقيقي **الظل الوريف** ؟ (13) ألم يذكر ، من بين مراجعه التاريخية مؤلف أحمد الجراوي المراكشي **صفوة الادب** زاعما أنه يشتمل على أخبار الموحدين، وهو في الواقع ، ديوان شعر على شكل **حماسة ابي تمام البحتري**؟ (14) وأخيرا ألم يجعل **القرطاس** اسما لمؤلف **الانيس المطرب** وذلك عند ما استشهد بمعلومات مقتبسة من هذا الكتاب في الصفحة 39 من **جيشه** أورد فيها بالحرف : «**قال القرطاس** في **كتابه والقرطاس لقب** لمؤلف الكتاب المعلوم ، نبهنا عليه **لانه** يظن أنه اسم ووصف للكتاب » !؟ (15) .

---

13) طبع هذا الكتاب سنة 1382 هـ (1962 م) بالرباط (المطبعة الملكية) بتحقيق الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ، وعنوانه الكامل : **روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف** .

وورد ذكر هذا الكتاب في **دليل مؤرخ المغرب** (ج 1 ص 152 ، رقم 364 ـ بالعنوان التالي : **روضة التعريف** ،، او **الظل الوريف في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف** (المعرب).

14) اشير الى هذا الكتاب في **دليل مؤرخ المغرب** (ج 2 ص 422 رقم 1940) و «انه الف للسلطان ابي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن الموحدي » (المعرب) .

15) كيف يا ترى وقع أكنسوس في هذا الخطأ وقد سبق له (ص 4 ج 1 من **الجيش**) ان ذكر **القرطاس** من جملة التواريخ التي اهتم أصحابها بدولة معينة حيث قال : « ،،، وأما فيما يخص قوما أو جيلا باعيانهم أو دولة معينة دون غيرها فكثير كابن الرقيق في دول افريقية ، وابن حيان المؤرخ في الدولة الاموية بالاندلس ،،، وكتاب **القرطاس** في دولة الادراسة ،،، » ؟؟ (مترجم)

أجل فلم يكد هذا الكتاب يصل الى القراء حتى صار « عرضه لسهـــــام المنتقدين » الى حد أن طبعه بفاس في السنوات الاخيرة أثار ضده من جديـــد في بعض الاوساط الثقافية المغربية ، ألوانا من السخط والتعريض تفوق ما كان يوجه اليه من قذف وشتم بالعاصمة الادريسية في الفترة الاخيـرة من حياته ، نظرا لاستخفافه بتاريخ تلك الحاضرة ، ولما كان يتسم به من عجرفة وتبجح سخيـــف .

ولا شك أنه لو لم يشتغل بالتاريخ لبقي متمتعا بين مواطنيه بالسمعـــة الطيبة التي اكسبتها أياه براعته في ميدان الشعر والقوافي .

وفيما يخصنا ، نحن المستشرقين ، فانه ينبغي لنا أن لا نبالغ في تقدير ما للجيـــش من قيمة تاريخية . فان كان من الضروري لدارس تاريـــــخ المغرب ، وبالخصوص تاريخ القرن التاسع عشر الميلادي ، انيرجع اليه ، فان عليه أن يفعل ذلك بكثير من الحذر والتثبت لان انتحاله ، بدون استحيـــاء للكثير مما تضمنته كتب الافراني والزياني ، كاف لجعلنا غير مطمئنين اليه .

فان كتابه لا يخلو من امارات التملق للامراء العلويين ويؤكد ذلك مـــا تعمده فيه من التحريف والتأويل الزائف (16) ، وبالاضافة الى ذلك لم يشـــر الا اشارات خفيفة لاحداث تاريخية مهمة مثل الحرب التي نشبت سنة 1860 بين المغرب واسبانيا .

ولكن من الواجب علينا ، بعد ابداء هذه الملاحظات ذات الشأن ، أن نعترف أن للجيش ميزة لا يستهان بها وهي كونه أول مصدر مكتوب لتاريخ ملكيـن من ملوك الدولة العلوية ، وهما مولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد (×)

---

16) واليكم نموذجا من ذلك ، فان الافراني ذكر في نزهـــة الحـــادي (ص 113) « .... ان السلطان احمد المنصور لما اكمل قصره البديع ودعا الناس لوليمة اكماله ، وكان يطوف فـــي الناس بغير حجاب ، فرأى رجلا صالحا من المجانيب ، فجاءه وباسطه ، فقال له : « كيـــف رأيت دارنا يا سيدي فلان ؟ فقال له : « اذا تهدمت صارت كدية من التراب ! » فاضاف اكنسوس الى هذا الخبر (ج 1 ص 43 من كتابه) ما يلي : « فقال له الذهبي ، ومن يهدمهـــا ؟ فقال : سلطان عظيم من شرفاء تافيلالت ،،، فكان مصداق ذلك على يد مولاي اسماعيل ، فانه هـــدم قصر البديع ،، (المؤلف)

(×) ذكر المؤلف في تعليق ص 212 ان القاضي العباس بن ابراهيم اخبره سنة تحريـــره لكتابه هذا انه مشتغل بتاليف تراجم لاعلام مدينة مراكش وانه سيترجم فيه لابي عبد اللـــه محمد بن احمد اكنسوس ، واخبره ايضا ان كتاب الجيـــش تعرض لعدة ردود منها كتـــاب الطابع المنحوس فى الرد على اكنسوس للعالم على بن طاهر المدني مسقطا الفاسي مسكنـــا ، وكتاب الفتح القدوس فى الرد على الجنسوس لاحمد البكاى ، وكتاب الحسام المشرقي لقطـــع لسان الشاب الجعفري الناطق بالحرافات الجعسوس ، سيء الظن الجنسوس . للعالم الحـــاج العربي المشرفي .

محمد الضعيف (17)

تقدم أن أشرنا ، في فصل سابق ، أن مؤلف محمد الضعيف يعد من لدن الادباء المغاربة مظنا لاعنف الانتقادات التي وجهت لاهل الحل والعقد من رجال الدولة العلوية .

وصاحب هذا المؤف هو أبو عبد الله محمد بن المرابط عبد السلام بن أحمد بن محمد الضعيف الرباطي ، المولود برباط الفتح في العقد الاخير من شهر ذي الحجة 1165 هـ (بين 29 اكتوبر و 8 نوفمبر 1732 م) . وهناك جلس في حلقات الفقيه الذائع الصيت محمد بن ابي القاسم بن محمد بن عبد الجليل الرباطي دفين أبي الجعد ، والحافظ الشيخ أحمد بن عبد الله الغربي المدفون الى الرباط حيث اشتغل بخطة العدالة .

بالرباط قرب ضريح مولاي ابراهيم ، ثم قصد فاسا للاخذ عن شيوخها ورجع

بدأ اسم الضعيف يشتهر كناظم لقصائد في الملحون ، لازال الى الآن يتغنى ببعضها في الرباط وسلا ، ومن جملتها قصيدتان أحدهما في وصف الربيع والاخرى في الشطرنج (18) .

لا ندري ما الذي دفع به الى كتابة تاريخ بلاده بل على الاصح ، تاريخ الدولة العلوية منذ نشأتها الى عهد المولى سليمان .

---

17) ورد في تعليق للمؤلف ما يلي : « في منتصف سنة 1921 اخبر أحد قادة مدينة من المدن المغربية ، انه ظهر ، بفاس ، مؤلف تاريخي وردت فيه تفاصيل عن اسرته فاهتم بالحصول عليه ليأخذ نسخة منه ، وهذه النسخة هي التي تسنى لنا الاطلاع عليها ، بل الاطلاع على كراسة منها تشتمل على اخبار مولاي اليزيد ... » هذا وقد أفادنا السيد محمد بن علي الدكالي بالمعلومات المتعلقة بترجمة الضعيف .

(×) ذكر في **فهرس المخطوطات العربية** المحفوظة في الخزانة العامة (ج 2 ص 135 ط 1958) **تاريخ الضعيف** ، اذ توجد هناك ثلاث نسخ منه ، وبنفس هذا المرجع معلومات عن حالة النسخ وعن المؤلف ومن اهتم بترجمته (المعرب)

18) ذكره الاستاذ عباس بن عبد الله الجراري في كتاب **القصيدة** من بين الزجالين الذين عرفوا بالرباط الا أنه قال : « وقفنا من شعره على قصيدة في مدح الرسول عليه السلام (ص 684 / ط الرباط) (المعرب)

لم يضع لكتابه عنوانا خاصا وقد استهله باخبار تتعلق بتقلص ظـــل الدولة السعدية والزاوية الدلائية ثم ذكر الاحداث التي واكبت ظهور الدولـــة العلوية واصفا في شكل حوليات وصفا جد موجز ما وقع في عهد كل سلطـــان وخاتما الكلام عنه بذكر الصفات التي امتاز بها أيام حكمه .

لقد ركز بطبيعة الحال ، اهتمامه على ما جرى في مسقط رأســه ، ربـــاط الفتح وفي جارتها ، مدينة سلا ، وفي الحاضرة الادريسية .

ومما لا شك فيه أن كتابه ، ان تسنى الاطلاع عليه قد يكون جد مفيد لـمن يريد أن يعرف معرفة مرضية الحالة التي كانت عليها مدينة الرباط في الفتــرة الاولى من العهد العلوي وكذا التحويلات التي توالت فيها منذئذ الى أن أصبحت العاصمة الادارية للمملكة المغربية .

هذا وقد أكد لنا أن كتـــاب الضعيـف يشتمل أيضـــا على « وفيات » لطائفة من أعيان الرباط الذين قضوا نحبهم في ثنايا المدة المؤرخة أحداثهـا ، ومن بينهم والد المؤلف نفسه المتوفى بالرباط في الثاني والعشرين من جمـادى الثانية 1182 هـ (3 نونبر 1768 م) .

لن تاريـــخ الضعيـــف لا يزيد ، حسب اقوال كثير من الادباء المغاربـة على كونه نسخة موسعة شيئا ما من كتاب وضعه رباطي أندلسي الاصل ، وهو الحاج محمد المسناوي مورينو الذي كان موقتا بالمسجد الاعظم في الرباط ومات بها سنة 1207 هـ (1792 / 1793 م) وانفرد مؤرخنا باكمالــه ومواصلـة تسجيل الاخبار الى سنة 1233 هـ (1817 / 1818 م) وعمره آنذاك ثمانـــ وستون سنة . ولا يعرف هل عاش بعد ذلك مدة طويلة .

من المحتمل أن يكون تاريـخ الضعيـف من المراجع النافعة الا أنه مـــن الضروري أن ينظر بكثير من الحيطة الى بعض الاخبار التي بين دفتيه ، وهي اما موضوعة ، واما يتعذر الان التثبت من صحتها .

ومهما يكن فان هذا الكتاب ليس مظنة أخبار تاريخية وكفى ، بل يحتوي بالاضافة إلى ذلك على قصائد في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) قيل لنا انها لاحد أترابه من أبناء مسقط رأسه ، وهو محمد الامين بلمينو .

وختاما فان القسم الذي أطلعنا عليه من هذا الكتاب يبين بوضوح أن صاحبه لم يكن يتحاشى فيه استعمال الكلام « الزنقوي » وأنه لم يأت فيه بمعلومات يمكن أن تعد طريقة بالنسبة لمحتوى مؤلفات معاصريه أو بوجه خاص مؤلفات الزياني .



الدر المنضد

لمؤلف مجهول

نختم هذه القائمة من الكتب القليلة التي اهتم أصحابها بتاريخ الدولة العلوية الى عهد مولاي الحسن ، بذكر مؤلف ، من سوء الحظ غير تام وعنوانه **الدر المنضد الفاخر فيما لابناء علي الشريف من المحاسن والمفاخر** (19) .

فهو ، كما قلنا ، تاريخ مجهول المؤلف ، يحتوي على أخبار الدولة العلوية منذ نشأتها ، وتدوعد صاحبه ، في المقدمة التي استهله بها ، بأنه سيستوفي فيه وصف أطوارها الى زمانه هو ، وان يحليه بتراجم الاعلام من رجال السياسة أو العلم والصلاح الذين اشتهروا في تلك الاحقاب .

ان القسم الموجود لدينا الآن من **الدر المنضد** يثبت فعلا أنه كتاب تاريخ وتراجم ، اذ هو في شكل حوليات أجمل فيه ما وقع ، عاما فعاما ، من أحداث سياسية ومن وفيات أعيان أشفع اسماءهم بتحليات تعرف ما كان لكل منهم من مزايا وفضائل .

---

19)اطلعنا على قسم مخطوط منه (ستون ورقة) - الشيخ محمد بن علي الدكالي السلاوي (المؤلف)

(×) ذكر في **دليل مؤرخ المغرب** (ج 1 ص 148) منسوبا لابي عبد الله محمد بن عبد القادر الكلالي الشهيربالكردودي المولود سنة 1216 هـ (1801 م) والمتوفى سنة 1268 هـ (1851 م)، « ،،، ويقع الموجود منه في نحو الخمسة عشر كراسة ، يوجد بالخزانة العامة تحت عدد 1554 » (المعرب)

وهكذا تكلم عن نسب العلويين ثم عن مؤسس الدولة مولاي محمد الشريف وترجم للرجالات الذين ماتوا في عهده ، وانتقل الى ذكر العهود التالية وما تم فيها من أعمال وما سجل من وفيات حتى بلغ ترجمة المولى اسماعيل .

لم يزد ، فيما ذكره من تراجم ، على ما ورد في **نشر المثاني** سواء من حيث الترتيب أو من حيث المضمون ، والمحقق أنه هو الذي نقل عن القادري صاحب **النشر** ، لانه مؤخر عنه كما سنبينه فيما يلي :

فان المراجع المذكورة في **الدر المنضد** تتيح لنا ان نقدر أن مؤلف هذا الكتاب كان يعيش في النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي ، فان آخر من ذكرهم من أصحاب تلك المراجع هو مؤرخنا أبو القاسم الزياني ، حيث لم يذكر من بينهم أكنسوس ولو مرة واحدة فاننا نستخلص أن **الدر المنضد** ألف فيما بين 1833 و 1866 م (×) .

ان مقابلة التواريخ تتيح لنا أن نرجح أن مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله محمد بن عبد القادر ابن أحمد الكلالي المعروف بالكردودي الادريسي النسب المتوفى بفاس في الحادي عشر من شهر رمضان 1268 هـ (29 يونيه 1852 م)

ومهما يكن من أمر فاننا لا نجد في كتاب **الدر المنضد** الا معلومات مماثلة، في غالب الاحوال ، لتلك التي في **نزهة الحادي** و **نشر المثاني**، ولذا لا نرى أي داع لاطالة الكلام عنه (20) .

---

20) ألف هذا الكاتب بالاضافة الى تاريخ الدولة العلوية **فهرست** ، وشرح **قصيدة** في فائدة القاموس وكذا **مقدمة ألفية ابن مالك** ، وعن شيوخه ابي الفتح محمد التهامي حمادي الحمادي المكناسي المتوفى بالرباط في الحادي عشر صفر 1241 هـ ،،، وذكر صاحب **سلوة الانفاس** انه لما توفي دفن خارج باب الفتوح قرب ضريح يوسف الفاسي »

(المؤلف)

أصحـــاب التراجـــم

كتب المناقب وتراجم الاسر الشريفة ورجال العلم

بينا في مستهل هذه الدراسة الاسباب التي أدت بالكتاب ، منذ القـــرن السادس عشر الميلادي ، الى الاهتمام بالسير والتراجم اهتماما لم يسبق لــه، من قبل ، مثيل .

ان الاعتناء بهذا اللون من الآداب بدأ يتجلى منذ أن تربع سلاطين الدولــة العلوية الاولون على العرش المغربي ، وذلك في حين آخذ فيه الاقبال على تآليف الكتب المخصصة للتاريخ الصرف يتضاءل ويخمد .

أجل ، فاننا قلما تجد أسرة شريفة أو طائفة صوفية ، وقلما نسمع بشيخ اشتهر بالصلاح أو بالعلم ، لم تسجل أخبارهم في كتاب من كتب التراجـــم العامة أو الخاصة .

ان هذه الانطلاقة الجديدة في مجال التراجم والسير كان لها عدة أسبـــاب قد تبدو متباينة ولكنها ، في حقيقة الامر مترابطة ومتكاملة ، منها الحركـــات المضادة للغارات المسيحية التوسعية ، وظهور قادة متسمين بالتقوى والصلاح تصدوا للجهاد ومقارعة المعتدين من الكفار ، وكذا ما تجلى ، في الميدانيـــن الفكري والروحي ، من نشاط وحيوية، نتيجة تأثــر أعيان علماء ، وأعلام صلحاء أتقياء ، وزعماء من الاسر الشريفة الاصل الكريمة المنبث .

وتلك المجموعات من كتب التراجم هي التي نود أن نتكلم عنها هنا ، لانها، والحق يقال لا تستوجب كلها اهتماما ذا بال ، إذ أن بعضها اندثر أثرهـــا فورا بعد موت أصحابها ، ولم نتمكن من الحصول عليها بعد كثير من البحـث والتقصي ، في حين أن أغلب المؤلفات التي لم تحترمها يد الاهمال والضيـــاع كانت من المراجع الاساسية لمن اعتنوا بتدوين التراجم في فترتنا التاريخيـــة هـــذه .

والجدير بالذكر ، في هذا الصدد ، أن كتاب **سلوة الانفاس** ، وهو مـــن المخازن الحديثة العلد في مجال التراجم ، أشار الى عدد كبير من المـــراجع ذات الشأن في الموضوع ، ولذا يمكننا أن نعتبر تجريدها كافيا لوضع قائمة تكــاد تكون شاملة لكل ما يفيد الباحث والدارس في هذا المضمار .

ان هذه « القائمة » قد اعتمد عليها منذ سنوات السيد روني باسي ، وهي التي سنبني عليها أبحاثنا في التراجم المغربية .

ان المراجع المذكورة في مؤلف الشيخ الكتاني قد تبدو قابلة للتصنيف ، اذ منها ما خصص لاخبار صلحاء أفذاذ ، وما اشتمل على مناقب طوائف معينـــــة من الصالحين أو بيوت خاصة من الشرفاء ، ومنها كذلك كتب اعتنى أصحابها بتراجم علماء ذاع صيتهم وسارت بذكرهم الركبان ، أو تراجم رجالات ولكـن اختلفت مجالات أعمالهم وتباينت أسباب شهرتهم .

قد يتبادر الى الذهن أنه من المعقول أن نصنف هذه المراجع حســـــب مواضعها لتدرس كل مجموعة على حدة، ولكن هذا التصنيف ليس بالامر اليسير اذ مـــن شـــأنه ان يـــؤدي الى التكـــرار وان يعـــذر تقييـــم ما جـادت بـي قريحـة كـل من الكتاب ، سيمـا واننـا نادرا ما نعثـــر على مؤلف اعتنى صاحبه بموضوع محدد ، أو اتخذ اطارا قار المعالم لتدويـــن اخبار فئة خاصة ، أو للتعريف بأسرة معينة ،، فان أكثر المؤلفين وصفـــوا في كتاب واحد مظاهر متنوعة تتعلق بخصائص أشخاص أو بانساب أسر ، أو بمزايا عالم ، أو بمناقب ولي ، فهم في نفس الوقت مؤرخون ومترجمـــون ونسابون الخ ،،

وبالاضافة الى ذلك فان بالمغرب أسرا عريقة كالفاسيين والقادريين ، اهتم رجالاتها في فترات متتالية ، ومنذ عدة عصور ، بتحرير التراجم والفهـارس ، ومن شأن دراسة عمل كل واحد من أولئك المؤلفين على حدة ، أن يحـــول دون التقييم السليم والضبط القويم .

لهذا كله آثرنا أن نتبع ، في دراستنا لمختلف كتب التراجم الترتيـــب الزمني، معتبرين، فيما يخص كل مؤلف، تاريخ حياته ، ومترجمين له بايجاز وذاكرين بشيء من التفصيل ، خصائص أصحاب التآليف ذات القيمة .

أ- نظرة عابـــرة على أصحاب التراجـــم المؤلفة قبـــل القـــرن الســـادس عشـــر الميلادي

ان أشهر أصحاب التآليف المخصصة للتراجم عاشوا في القرن السـادس عشر والاحقاب التي تلته ، ولم يتمثل الشكل الحقيقي لهذا النوع من الكتـــب الا بظهور **دوحـــة النـــاشـــر** لابن عسكر، وبظهور معاجم الاعلام التي اعتكف على تدوينها ابن القاضي ، فالافراني ، فالقادري الخ ،،

الا ان هؤلاء لم يكونوا هم المبتدعين في هذا المضمار ، لان كتب التراجـم عرفت بالمغرب ، وبالمشرق منذ القرون الوسطى ، ومنها نماذج فرضت نفسهـــا واستوجبت الإعتراف بحيوية المعتنين بها .

فلنلق نظـرة عاجلة على بعـــض ما خلـق لنا أولئك السباقـــون مـــن مؤلفـــات .

ان أقدمها حسب الظاهر ، هو كتاب **التشوف الى رجال التصوف** فهـــو يحتوي على تراجم أولياء من الصوفية ينتمون الى العالم الاسلامي بصفـــة عامة والى المغرب الاقصى بصفة خاصة ، وقد ألفه عالم من اقليم تادلة ، اسمـه أبو الحجاج يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي المعروف بابـن الزيـــات .

كان هذا العالم معاصرا للولي المراكشي أبي العباس السبتي ، وقـــد ولى خطة القضاء بناحية رجراجة حيث توفي ، سنة 627 أو 628 هـ (1129 ـ 1130 م)حسب ما أخبرنا به أحمد بابا عن الحضرمي .

ومن المحتمل أن يكون عالمنا هذا شفع كتاب **التشـــوف** بكتاب آخـــر ضمنه تراجم طائفة من صلحـــاء المغرب خظـــوا ، في عصـــره ، بالتقديـــر والاحترام (1)

---

1) طبع كتاب **التشوف** سنة 1958 م ، وقد اضطلع بتحقيقه وضبط محتواه الاستـــاذ أدولف فور الذي كان اذ ذاك أستاذا بالمعهد المغربي للدراسات العليـــا بالرباط (المغرب)

اهتم ، بعد ذلك بسنوات ، بموضوع التصوف عالم آخر من قبيلة ابن الزيات نفسها ، وهو أبو زيد عبد الرحمان بن اسماعيل التادلي ، العمري ، الزمراني ، الصومعي فألف ، حسبما ورد في **سلوة الأنفاس** ، (ج 3 ص 357) ، كتاب **التشوف في معرفة أهل التصوف** (2) .

وراج اثر ذلك كتيب خصصه أحمد بن ابراهيم بن أسي محمد صالح لذكر مناقب جد أبيه وأسماه : **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات ابي محمد صالح** (3) . ونحن ، ان كنا لا نعرف شيئا عن المؤلف (4) ، فاننا نعرف أن الولي أبا محمد صالح كان من تلاميذة أبي مدين دفين العباد ، القرية المشرفة على تلمسان (5) ، وأنه توفي في 25 ذي الحجة 631 هـ (20 شتنبر 1234) ودفن برباط مدينة آسفي .

في القرن الثامن الهجري ألف أبو محمد عبد الحق بن اسماعيل بن احمد بن محمد بن الخضر يوسف البادسي الخزرجي الغرناطي كتابا في صلحاء الريف عنوانه **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف** ولدينا الآن نسخة خطية منه سجل في آخرها ان البادسي قرأه ، بجامع القرويين ، على الشيخ عبد المهيمن بن محمد الخضرمي (6) في شهر ربيع الاول سنة

---

2) لم يذكر الاستاذ ادولف فور ، في مقدمة **التشوف** هذا الكتاب ضمن القائمة التي اثبت فيها عناوين المؤلفات التي دونت في موضوع **التصوف** الا أنه أثبت فيها اسم تادلي آخر وهو أبو العباس أحمد ابن ابي القاسم بن محمد الصومعي التادلي صاحب كتاب **المعزي في مناقب الشيخ ابي يعزى**

ورد في **دليل المؤرخ** (ج1 ص257) مايلي :

تشوف الراغبين الى السادات الكرام المتصوفين لابي زيد عبد الرحمان بن اسماعيل بن ابراهيم الصومعي التادلي من رجال القرن التاسع ،،، » (المعرب) .

3) ذكر في **دليل المؤرخ** تحت رقم 887 (ج 1 ص 225) مع التصريح بأنه طبع على الحروف بمصر أخيرا (؟) (المعرب).

4) ترجم له في **تاريخ آسفي وما اليه** (القسم الثاني ص 4)ومما ورد في الترجمة « هو الشيخ الفقيه الدراكة ،،، ولد بثغر الاسكندرية وبها نشأ ، جال في البلاد الشرقية ،،، له كتاب **المنهاج الواضح** في مجلد ممتع ،، » (المعرب) .

5) انظر في هذا الشأن مقالي المنشور في مجلة **الاصالة** (ع 26 سنة 1975) وعنوانه « ابو مدين الغوث دفين تلمسان) (المعرب) .

6) ورد في **روضة النسرين** ان عبد المهين الحضرمي كان كاتبا بديوان السلطان المريني ، أبي الحسن ، وانه توفي بتونس سنة 749 هـ 1349 م (المؤلف) .

722 (20 مارس / 18 ابريل 1322 م) وهذه الاشارة تيسر لنا ضبط تاريخ تأليف **المقصد** (7)

يشتمل **المقصد** على نحو الاربعين ترجمة تتعلق بصلحاء مدفونين بالريف ، ذلك الجزء الشمالي من المغرب ، الذي يمتد ، حسب قول المؤلف ، من سبتة الى تلمسان ، وأكثر أولئك المترجم لهم في **المقصد** لم تذكر أسماؤهم بعد ، ويبدو أنهم اليوم دخلوا في طي النسيان وأصبحوا لا يذكرون حتى في القبائل التي ينتسبون اليها ، اللهم الا أبا اسحاق ابراهيم البطال الكبداني والظاهر ان سبب هذا النسيان هو أنهم لم يكونوا يتقنون اللغة العربية وان شهرتهم لم تتجاوز المنطقة التي عاشوا فيها .

هذا وانا لا نتوفر على معلومات كافية عن أبي عبد الله محمد الحضرمي الذي ألف ، في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، كتابين ، أحدهما في صلحاء المغرب اسماه **السلسل العذب والمنهل الاحلى** (8) وثانيهما في اعلام مدينة سبتة وعنوانه : **الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد** (9) .

---

7) نشر الاستاذ جورج كولان كتاب **المقصد** الى اللغة الفرنسية، سنة 1926 م ونشره مع مقدمة مفصلة وتعاليق مستوعبة في مجلة **المستندات المغربية**

واهتم الاستاذ ج ، أحمد عبد السلام البوعياشي بتحليل هذا الكتاب ، الذي ما زال مخطوطا وذلك ضمن الجزء الاول من مؤلفه **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال** ط ، طنجة سنة 1975 ــ ص 143 وما بعدها) ، وقي توفق في تقييم هذا المرجع النفيس وتوضيح ما يشتمل عليه من فوائد اجتماعية وثقافية الخ ، تثبت تفاهة الآراء التي كانت للاستاذ ليفي بروفنصال ، (سنة 1921 ،) في قيمة مضمون **المقصد** ومؤلفه (المعرب) .

8) ذكر في **سلوة الانفاس** (ج 3 ص 358) وعنوانه الكامل : **السلسل العذب** والمنهل الاحلى المرفوع للخلافة العزيزية الذي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى في **سلك من تحلى سلكهم في الاربعين من الجبيل** ، **جبل فاس ومكناسة وسلا** ،ونملك نسخة خطية منقولة من نسخة أخرى كانت بخزانة صاحب **سلوة الانفاس** ، (المؤلف).

(×) وذكر في **دليل المؤرخ** ، تحت رقم 171 ، باسم **السلسبيل** لابي عبد الله محمد بن أبي بكر عبد المهين الحضرمي ،،، قدمه لسلطان وقته أبي محمد عبد العزيز بن أبي الحسن المريني المتوفى سنة 774 هـ (1372 م) ،، يقع في نحو الثلاثة كراريس توجد منه نسخة ،،، بخزانة القرويين تحت عدد 713 ضمن مجموع ، ،) (المعرب).

9) **سلوة الانفاس** ج 2 ص 298 ، في ترجمة محمد الدريج الاندلسي (المؤلف).

فالسلسل (!) كتيب قدمه ، كما يدل على ذلك عنوانه الكامل ، للسلطان المريني عبد العزيز بن أبي الحسن الذي ولي الملك سنة 767 هـ (1366 م) وتوفي بتلمسان سنة 774 هـ (1371 م) : ذكر الحضرمي في هذا الكتيب مناقب أربعين صالحا تحلى سلكهم في الاربعين من جيل فاس ومكناسة وسلا » وقد رتبهم على ثلاث طبقات مخصصا أولاها لاشهرهم بالفضل والصلاح وعلى رأسهم ولي مدينة سلا ، ابن عاشر ، الذي حظي المؤلف بمجالسته في زاويته وذلك في فاتح رجب عام 763 هـ (16 أبريل 1362 م) .

وظهر في القرن الثامن الهجري ، كتاب **اثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الاخوين أبي زيد وأبي عبد الله الهزميرين**، لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن تحيلات الهزميري المراكشي (10) .

تكلم المؤلف عن مناقب مؤسسي الزاوية الهزميرية الاغماتية ، الشيخين أبي زيد وأبي عبد الله ابني الشيخ عبد الكريم الهزميري .

لننا نجهل عنه كل شيء ، وكتابه ككتاب البادسي لا يشتمل على فوائد تاريخية ذات شأن ، اذ قسمه الى أبواب عشرين خصص أكثرها لاوصاف الاولياء وكراماتهم وما نقل ، عن الثقات المشارقة ، من أقوالهم وأفعالهم .

نختم هذه العجالة عن كتب التراجم المؤلفة بالمغرب قبل القرن السادس عشر الميلادي ، بالاشارة الى مؤلف خصص لتدوين أخبار مدينة فاس وعنوانه **جني زهرة الآس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس.**

اننا لم نقف على هذا المؤلف ، الذي دون بعد كتاب **القرطاس** ، ويحتوي حسب ما قيل لنا على معلومات جد قيمة تتعلق بتاريخ العاصمة الادريسية العمراني الى نهاية دولة بني مرين . وعلى تراجم لطائفة من الصلحاء والاولياء ومؤلفه ابو الحسن علي الجزنائي (11) .

---

10) ذكره صاحب **دليل المؤرخ** تحت رقم 666 ، وقال : « لخصه في **الاعلام** في ترجمة أبي عبد الله محمد المذكور ». (ج 3 ص 162 الى 192 من الطبعة الاولى) (المعرب).

11) نشر كتاب **زهرة الآس** في الجزائر سنة 1923 مع ترجمة فرنسية لافريد بيل ، ثم اعيد طبعه بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1387 / 1967 بتحقيق *الاستاذ عبد الوهاب بن منصور* .

ب — أصحاب التراجم في القرن العاشر الهجـــري (1495 — 1592 م)

ابـن غـــــازي (12)

في مستهل القرن السادس عشر الميلادي، قيض لمدينة مكناس، أو مكناسة الزيتون ، كما كانت تسمى اذ ذاك ، أحد أبنائها الافذاذ للقيام بتدوين اخبارها والتعريف باوصافها ، وهو فقيه المغرب وعالمه ، الذائع الصيت ، أبو عبد اللــه محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي مولـداً ، الفاسي اقبارا . ولد بمكناس سنة 841 هـ (1437 م) في عشيرة تنتسب لبني عثمان أحد بطون قبيلة كتامة الهبطية وكانت استقرت بمكنـــــاس منذ عـــدة أجيـــال .

تعلم بمسقط رأسه ثم قصد مدينة فاس لاكمال معارفه ، فأخذ عن طائفـة من الاعلام ذكرهم في فهرسته : **التعلل برسوم الاسناد بعد انتقال أهل المنـزل والنـاد** ، وأشهرهم أبو الفرج محمد بن محمد الاموي الفاسي المعروف بالطنجي وأبو عبد الله محمد بن بن قاسم القوري اللخمي الفاسي ، وأبو عبد الله محمـد بن الحسين الاورابي المعروف بالصغير . وكان ممن اجازه الفقيه التلمسانـــي ابن مرزوق الكفيف المتوفى بتلمسان سنة 901 هـ (1495 — 1496 م)

لم يلبث ابن غازي أن أصبح ، أعلم أهل عصره ، ومبرزا في كافة المعـارف الاســـلاميـــة .

لما عاد الى بلده اسندت إليه الخطابة وتصدر للتدريس الا انه حدث شنآن بينه وبين والي مديدنة مكناس ، أبي عبد الله محمد الحلو الوطاسي ، فرحـل إلى فاس ، عام 891 هـ(1486 م) واستوطنها ،فرشح لخطبة فاس الجديـــد ثم للخطابة والامامة والتدريس بجامع القرويين وتفرد برئاسة الهيئة العلميـة حتى لقب بشيخ الجماعة .

---

12) ترجم لابن غـــازي :

ابن عسكر ، **دوحـة الناشـر** ، 36 — 37 ، المنجور **فهرس** ، 20 — 21 ، ابن القاضي **جـــذوة الاقتبــاس** ، 203 ، أحمد بابا ، **نيل الابتهاج** ، 359 ابن عيشون الشراط ، **الـــروض العاطـــر الانفـــاس** ، 106 ، الكتاني ، **سلوة الانفـــاس** ، 2 : 73—77 ، محمد الصائـــح **المنتخبـات العبقرية** ، 22 ، كزيري ، **(بيبليوغرافيا)** ص 17 ، رقم 30 و ص 23 رقـــم 57 ، بنشنب ، **روايـــات البخـاري** ، 111 رقم رقم 11 ، **الاجـــازة** ، ق ، 52.

انظر أيضا ترجمة منقولة عن الونشريسي في ص 29 من طبعة فـــاس (1326) لكتـــاب **الروض الهتـــون** .

وكان يتردد على دروسه . بجامع القرويين وبمنزله بحي البليدة ، جم غفير من أكابر الطلبة ومشاهير العلماء، منهم عبد الواحد من أحمد الونشريسي، وأبو العباس أحمد بن محمد من موسى الصنهاجي الدقون وأبو الحسن علي بن موسى بن هارون المطغري ، ومحمد شقرون بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني ، وأبو القاسم بن علي بن محمد ابن خجو الحساني ، وأحمد بابا ، الخ .

شارك ابن غازي في عدة غارات ضد النصارى وحضر مواقف كثيرة . قال ابن عسكر ، انه خرج في آخر عمره لقصر كتامة قصد الالتحاق بجيش السلطان أبي عبد الله محمد الوطاسي الذي كان يحاول إسترجاع ثغر أصيلا من يد الكفار . فمرض ورجع لفاس فلقي في عقبة المساجين ، بحوز فاس ، الشيخ الولي أبا محمد الغزواني مسلسلا مقيدا ، وكان السلطان الوطاسي إعتقله في تلك السفرة . فسأله ابن غازي الدعاء ، وانصرف متألما مما نزل بذلك الولي ، ورأى في ذلك نذيرا بقرب أجله ، وفعلا فانه توفي في نفس اليوم بفاس ، عشية التاسع من جمادى الاولى 919 هـ (13 يليور 1513 م) ودفن بمقبرة باب الحمراء في حومة الكغادين ، واحتفل بجنازته احتفالا عظيما حضره السلطان ووجوه دولته وجماعة من العلماء والفقهاء والاعيان .

يعد **الروض الهتون** من الكتب التي ألفها ابن غازي في العقد الاخير من حياته ، وهو كتاب صغير الحجم الا أنه مشحون بالاشارات التاريخية واللمحات الجغرافية والاتنوغرافية. فانه وصف فيه « مسقط رأسه ومحل أنسه موجزا الحديث عن أطواره التاريخية منذ أن كان الرومان مسيطرين على سهول تلك الناحية وهضابها ، ومبينا بوضوح كيف تقلصت أكثر الحارات والقرى التي كانت منتشرة في جنوب جبل زرهون لتحل محلها مدينة مكناسة التي أنشأها الموحدون .

جزأ المؤلف **الروض** إلى ثلاثة أقسام : الاول لوصف الآثار والغراسات والانهار والثاني لذكر الاحداث التاريخية، والثالث للتعريف بالرجال .

في القسم الاول يتجلى ما كان لابن غازي من معرفة واسعة بالمعالـــــم والمواقع وان كنا لا نستطيع أن نؤكد ذلك نظرا للحلة الجديدة التي أبرز فيهـــا المولى اسماعيل مدينة مكناس عندما وسع رقعتهـــا وبنى مرافقها ليجعلهـــا عاصمـــة لملكـــه .

وفي القسم الثاني أوجز تاريخ مكناس الى عهد بني وطاس ، بيد أنـــــه في القسم الاخير أفادنا بمعلومات لا بأس بها عمن اشتهر بمكناس في العصـر الوسيط ، من العلماء فذكر لنا مثلا أبا عبد الله محمد ابن احمد بن أبي عفيـــف الذي مات غريقا قرب اسواحل التونسية ، ووالد جده محمد ابن جابر الغسانـــي صاحب الارجوزة **نزهـة النـاظـــر** التي استقى منها نتفا من أخبار مكناس .

وختم ابن غازي كتابه ، بالحديث عن بعض البيوتات المكناسية ، ومنهـا أسرة الزغابشة التي ينتمي إليها أبو الخطاب سهل بن القاسم بن عبد اللـــــه بن حماد بن محمد زغبوش ، وهو صاحب تقييد كان ضمنه بعض أخبار مكناس واستفاد منه ابن غازي ، فنقل منه نصوصا ، وهذا الذي جعل بعض العلماء مـن الغرب يعتبرون **الـــروض** نسخة طبق الاصل من التقييد المذكور محتجين بمـا يمتاز به أسلوب **الـــروض** من بساطة ، خلافا لما اتسمت به ، في هذا الشأن ، كتب ابن غازي الاخرى ، ولكن من اللازم أن نتحفظ في اطلاق هذا الحكم : فان الموضوع المطروق في الـــروض يستوجب الوضوح والسلاسة في الانشـــــاء، وهذه السمة المميزة لاسلوب هذا النوع من التآليف لا تسمح لنا بتحديد عمـــل كل من ابن غازي وابن زغبوش .

ومهما يكن من أمر فان **الـــروض** يضم قدرا لا يستهان به من الفوائـــــد التي لم نتعود العثور عليها في المؤلفـــات المغربيـــة التي طرقت فيها نفـــس المواضيع .

هذا وان الابيات الشعرية القليلة المستشهد بها في **الـــروض** ، تضفـــي عليه لونا من الطرافة يستحسنه حتى القراء الغربيون، فانهم مثلا لا يستنكفون

من تحبيذ مضمون البيت المذكور في القصيدة المنسوبة للسان الدين بن الخطيب والذي شبه فيه جبل زرهون ، ببربري اختفى في غابة من التين والزيتـــون وذلك حيث قال :

جبل تصاحكت البروق في جــوه   وجرت عــذاب مياهـه بعيــون

فكأنمـا هـو بربــري   نـافــذ في لوحــه ، والتيــن والزيتــون

وأيا كان المؤلف الحقيقي **للـروض الهتـون** فاننا نرى من العــدل استنكار الحكم التاسي الذي سجله الاستاذ هوداس في شأن هذا الكتــاب وذلك بمناسبة نقله قسطا منه إلى اللغة الفرنسية .

ان فهرست ابن غازي الذي أسماه **بالتعلـل** والذي أتمه يوم الجمعــة 18 رجب 896 هـ (28 مايو 1491 م) يشتمل أيضا عى تراجم لتسيوفه ووصف ما كان لهم من قدر في ميداني التدريس والتاليف ، فهو خلاصة للاجازات التــي حظي بها ، وقد ختمها بثبت للكتب التي دونها (13) .

ان دراسة محتوى هذا **الفهرســت** ، وكذا **فهرســة** الشيخ المنجور أمر حتمي لمن يريد في المستقبل أن يشرع في وضــع قامــوس مشاهير المغــرب الاقصــــي (×) .

---

13) واليكم اسماء تلك الكتب ، مرتبة حسب تاريخ تدوينها (وقد حققت اسماءها عــن الاتحاف ج 4 ص 9)

1) **انشــادالشريـد من ضوال القصيد** (تكلم فيه عن الشاطبية)
2) **منية الحســاب**
3) شرحها المسمى **بغيــة الطــلاب** 4) **امتاع ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد ابــي اسحـاق** (حاشية **الفيــة** ابن مالك) 5) **الجامع المستوفى بجداول الحوفي** ، 6) **تحرير المقالــة في نظائــر الرسالة** ، 7) **تفصيـل عقد الدرر** ـ 8) **امداد بحر القصيد ببحري أهـل التوليــد** (ذيل للخزرجية) ـ 9) **ايناس الاقعاد والتحريد** (عن الاتحاف) وفي التعليق : ايناس الاقصـاد **والتحرير .**
والتحرير ـ 10) **المسائل الحسان المرفوع الى حبر فاس والجزائر وتلمسان** ، 11) **نظم فواصــل المقال** ـ 12) شرحه ، 13) **التعلل** ـ 14) **الروض الهتــون** ، 15) شفاء **الغليل في حمل مقفــل خليــل** ، 16) **تكميل التقييد وتحليــل التعقيد** على **المدونــة** وللمؤلف كتب أخرى ورد ذكرها في المراجع المترجم له فيها وهى : 17) **حل مشكـــل كلام ابن عرفة في مختصره** ، 18) **نظم مشكلات الرسالة** 19) **حاشية على البخارى** ، 20) **المطلب الكلي في محادثة الامام القلى** ، 21) **نظم مراحل الحجاز** ـ 22) **شرحه** ـ 23) **ارشاد الحبيب الى مقاصد حديث الحربيب** ـ 24) **اسعاف السئال في تحرير المقاتــل** ـ 25) **الدلائل** ـ 26) كليات (في مسائل تتعلق بالفقه المالكـــي) ـ 27) **أرجــوزة** (في قراءة القراءة)

(×) لقد استفدت كثيرا من ترجمة هذا الفصل من كتاب **الانحــاف** ومن كتاب **الروض الهتون** الذي حققه واشرف على طبعه ، بالمطبعة الملكية، سنة 1964 م مؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بن منصــور .

دفر433 قـد

ابــن عسكــر (14)

يعتبر كتاب **دوحـــة الناشــر** (15) (×) من الكتب الواجب وضعها فــي طليعة قائمة المؤلفات المخصصة لمناقب الاولياء والصالحين .

ان مؤلف ، أبا عبد الله محمد بن علي بن عمر بن حسيــن بن مصبـــاح، المشهور بابن عسكر ، لم يتحر فيه ذلك النوع من الاستيعاب الذي اتسمت بــه أكثر مؤلفات من اقتفوا أثره في هذا المجال ، الا أنه كان أول من شفع وصـــف مناقب الاولياء الذين ذكرهم في كتابه ، بمعلومات تتعلق بسلوكهم في الحيــاة الدنيـــا .

ينتمي ابن عسكر الى أسرة ادريسية ، اذ كان أحد أجداده ، عسكر بــن خالد بن عمر بن ادريس ، من حفدة مؤسس حاضرة فاس ، وكانت أمه ، عائشة بنت أحمد ، من نفس السلالة الشريفة ، وكانت ، بالاضافة الى ذلك ، من أهــل الخير والصلاح (16) .

اننا لا نعرف عن حياة ابن عسكر الا ما ذكره عن نفسه في **الدوحـــة** انــه ولد سنة 936 هـ ، (1529 / 1530 م) بشفشاون، وهي ذلك الحصن الحصين، الرابض وسط جبال شمال المغرب الشامخة والذي اشتهر أبطاله بغاراتهم على معاقل الكفار الساحلية .

من المحقق ان ابن عسكر شب وقلبه مفعم بأشد الكراهية لعبدة الصليب ، نظرا لكونه ربي في رباط كانت تتوارد عليه من جميع أطراف البلاد الافواج تلو الافواج من المجاهدين ، ولان أباه ذاق آلام الاسر ، اذ وقع في أيــدي الاعـــداء وسيق الى طنجة حيث قضى مدة في غياهب « مطمورة » مظلمة (17) .

---

14) ترجـم لابن عسكــر : رطـــاـــ
الافراني ، **نزهـة الحــادي** ، 76 ، الناصري ، **الاستقصــا** ، 3 : 38 بروكلمـــان ، **الادب العربـــي** ، 2 : 455 هامش 1 ، باصي ، **(بيبليوغرافيا)** ص 32 رقم 85 ، كوديــرا ، **(ليبروص ،،،)** 372 ـ 373 ، ط ، وير ، **شيــوخ المغرب** . 295 ـ 296 ومواضع متفرقـــة أخرى ، هيوارت ، الادب العربي ، 384 .

15) طبعت **الدوحــة** بفاس سنة 1309 ، وحورها ثم نقلها الى اللغـــة الانجليزية ، ونقلها الى اللغة الفرنسية الاستاذ دكرول سنة 1913
(المؤلف) (×)وقد طبع سنة 1396 / 1976 بتحقيق الاستاذ محمد حجي (المعرب) .

16) ابن عسكر **الدوحـــة** ص 19 ـ 29 ومحمد المهدي الفاسي **ممتع الاسمـــاع** ، ص 91 ـ 92 ـ (المؤلف)

17) **الدوحـــة** ص 20

تعلم في مسقط رأسه ثم تجول في ناحية « جبالة » متنقلا من قبيلة الى أخرى ، وهكذا زار عدة مرات ، بجبل بني حسان من بلاد غمارة ، الزاهد أبا القاسم ابن خجو (18) وصحب ، ببني زروال الشيخ عبد الوارث اليصلوتي (19) وبتغزوت الشيخ أبا القاسم الحساني (20) وبتطوان ، عام 964 هـ ، القاضي محمد الكراسي (21) .

كان يقطع الاوعار والاوهاد ممتطيا نعليه ، يعاشر كل من يتعرف عليه خلال رحلته وكثيرا ما كان يبيت في المساجد القروية .

في سنة 967 (22) قضى مدة قصيرة بفاس ، ولم يلق عصا التسيار الا سنة 967 هـ (1559 — 1560 م) عندما عينه السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله قاضيا ومفتيا بمدينة قصر كتامة (القصر الكبير) وناحيتها الساحلية (23) .

هناك التحقت به والدته وكانت غادرت شفشاون اثر نزاع إحتدم بينها وبين قائدها ، محمد بن راشد .

وبعد وفاتها في الثاني عشر من ذي القعدة 969 هـ (14 يوليوز 1562 م) (24) رحل ابن عسكر قاصدا جنوب المغرب ،فشق ناحية تامسنا ،وزار البريجة (الجديدة) ثم مراكش حيث مكث ستة أشهر كارعا من حوض علم التصوف ، ثم توجه نحو فاس وهناك استفاد ، بجامع القرويين ، من دروس العالم أبي عبد الله محمد بن عمر المختاري .

---

18) الدوحة ص 13
19) الدوحة ص 5
20) الدوحة ص 17
21)الدوحة
ص 17) وقد ترجم له الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور ارجوزته عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل مع حواش جد مفيدة (المطبعة الملكية 1383 (1963 م) (المعرب)
22) الدوحة (ص 47)
23) الدوحة (ص 22)
24) ذكر في ممتع الاسماع ص 91 أنها ،، دفنت خارج باب سبتة ،، وقبرها هناك مشهور والناس يستشفون بترابه (المعرب) .

وفي سنة 975 هـ (1567 — 1568 م) ولاه السلطان القضاء بشفشاون وترغة وقبيلة غمارة مع الاقامة بمسقط رأسه . استقر مدة بمركز وظيفته ثم ذهب الى زحجوكة بقبيلة رهونة الا أنه لم يلبث أن لقي بعض المضايقات فاضطر الى توديع شفشاون متوجها نحو العاصمة الادريسية ولما وصلها حط الرحل بحي الطالعة .

اثر موت السلطان مولاي عبد الله رشحه خلفه . محمد « المسلوخ » للاشراف على القضاة ولكن لما انلزم « المسلوخ » أمام عبد الملك المعتصم بالله ابن محمد الشيخ لم يرد أن يخذله ، بل رافقه الى الجزيرة الاسبانية وعاد وأياه في اذيال الجيوش البرتغالية التي عبرت البحر للاستيلاء على الاراضي المغربية ، فلقي حتفه في معركة وادي المخازن ووجد بين جيف النصارى طريحا على شماله ومستدبرا للقبلة ، فلمز بالكفر الا أن ولد شيخه أبي محمد عبد الله اهبطي اعتذر عنه بأبيات منها :

وان يكن أتى لخفب ظاهر
فقلبه عن الشكوك طاهر
وهو بشيخه الزكي معتصم
وحبله من حبله لم ينفصم
رأيته في النوم ذا بشارة
وهيئة حسنة وشارة (25)

يستخلص من هذا العرض السريع ان ابن عسكر عاش عيشة غريبة الاطوار . أما كتابه **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** فانه متوسط الحجم الا أنه يتسم بسمة قوية من الاصالة .

يتضح من عنوانه ان ابن عسكر خصصه لتسجيل مناقب من كان بمغرب القرن العاشر الهجري من مشايخ .

---

25) عن كتاب **الاعلام** للقاضي عباس بن ابراهيم المراكشي (ج 4 ص 175 — الطبعة الاولى) (المغرب) .

ان الاعلام الذين ترجم لهم لم يكونوا كلهم علماء ولكنكانوا كلهم من أهل الصلاح والبركة ومن التابعين لطريقة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي ، صاحب الشيخ القطب أبي الحسن الشاذلي : ويعد ابن عسكر ، في هذا الصدد المؤرخ الاول للحركة الجزولية بالمغرب .

ليس من أغراضنا هنا ان ندرس تطورات المدرسة الجزولية ولا ما تفرع عنها من طوائف صوفية منذ أن زرع بذورها الامام أبو الحسن الشاذلي تلميذ القطب الشهير ، مولاي عبد السلام بن مشيش .

نعم فان تاريخ الطوائف الصوفية المغربية ما زال محاطا بكثير من الغموض ، ودراسته ما زالت متوقفة على تقصي النصوص وعلى فحص مستوعب للوثائق المحفوظة في مختلف المستودعات .

فالكتاب الذين تكلموا عن تلك الطوائف اهتموا قبل كل شيء بوصف ما كان لاكابر رجالها ، وبالخصوص الجزوليين منهم والقادريين من نفوذ وما أبدوه من مساندة لهذه الاسرة الحاكمة أو لتلك .

فهم اذن فعلوا ذلك بصفتهم مؤرخين . ونحن لن نخرج بهم ، في دراستنا هذه ، عن ميدان التاريخ السياسي ، ولذا لن نتعرض لتقييم مؤلفاتهم بصفتها مصادر لتأريخ التصوف المغربي الذي هو في واقع الامر منبثق عن التصوف الشرقي .

خصص ابن عسكر كتاب **الدوحة** لذكر مناقب مشائخ ينتسبون للطريقة الجزولية الا أنه أسبغ عليها حلة أصيلة أكسبتها كثيرا من الحيوية .

انه ، باقتصاره على تراجم مشائخ القرن العاشر الهجري ، جعل لمؤلفه اطارا زمنيا واضح المعالم ، ويبدو أنه رتب كذلك تلك التراجم حسب المناطق الجغرافية بادئا بمن نشؤوا أو دفنوا بالشمال المغربي بل بناحية « جبالة » حيث ولد القطبان مولاي عبد السلام بن مشيش وأبو الحسن الشاذلي ، وحيث قضى هو نفسه قسطا من حياته .

انفا لا نجد في **الدوحة** الا نزرا قليلا من المعلومات التاريخية ذات الطابع السياسي الصرف ، يمكن أن نعتبرها فلتات قلم ، والظاهر أن ابن عسكر لم يذكر بعض التفاصيل عن نشاط الملوك السعديين الاولين الذين عاصرهم (26) الا ليشير الى مساوئهم، ويسجل « الرشقات اللسانية » التي كان يوجهها اليهم المجاذيب من حين لآخر ، وهذه الظاهرة تثبت لنا أنه ، لما شرع في تأليف كتابه لم تكن سلطة السعديين قد استتبت بعد ، وان ضآلة نفوذهم يومئذ هي التي أتاحت له ان يرخي العنان لقلمه لابداء معايبهم وبالخصوص معايب أبي عبد الله محمد الشيخ ، آخذا عليه « اضطهاده للزوايا » (27) .

ان الاشارات التاريخية التي يمكن استخلاصها من كتاب ابن عسكر ليس لها الا قيمة نسبية ، لانها لا تتسم بالدقة من حيث ظروفها الزمانية والمكانية . فهو مثلا عاش بتطوان مدة ومع ذلك نلاحظ انه لم يحدد اسم مسجد كان لقي قربه أحد المشايخ، بل اكتفى بان قال « مسجد بشرق المدينة (28)» كما نلاحظ أنه لم يكن يرى بأسا في عدم ضبط تواريخ الوفيات وقد اعترف هو نفسه عرضا وفي الفقرات الاخيرة من كتابه، بقلة أهمية ذلك الضبط حيث قال : « وقولي في ترجمة كل واحد انه توفي في العشرة الفلانية فلم أقل في السنة ولا في الشهر لعدم التحقيق بتعيين اليوم والشهر والسنة ولعدم الاعتناء وفقد المعتنين » (29) الا أنه لم يشاركه في هذا الرأي احد من المؤلفين الذين جاؤوا من بعده .

---

26) انه مثلا تكلم في **الدوحة** (ص 69) عن السفارة التي وجهها السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله ، سنة 980 هـ لسلطان تركيا ، وفي ص 77 ، بمناسبة ترجمته لمفتي مراكش ، تكلم ، بايجاز عن اغتيال السلطان محمد الشيخ ، قرب جبل درن في طريق تارودانت (المؤلف) .

27) **الدوحة** ص 64

28) **الدوحة** ص 35

29) **الدوحة** ص 91.

قال ابن عسكر في فقرة من الدوحة انه ألف كتابه في أواسط العقد التاسع من القرن العاشر ، أي حوالي سنة 985 هـ وكان اذ ذاك بفاس ، ونحن نعرف أنه لقي حتفه في السنة التالية وهو في صفوف أعداء بلاده .

ماذا كان موقف العلماء بالنسبة للدوحة ؟ يبدو أن سو خاتمة صاحبه لم يحل دون تقدير ذلك العمل الفكري ، وهو ، في الجملة ، جدير بالتقدير لخلوه من شوائب الادعاء وحب الظهور .

انه يحتوي على تراجم رجال سرعان ما أسدلت عليهم حجب النسيان ، غير أنه من البين أن ابن عسكر تكلم عن محاسنهم بصدق وبنية خالصة ووصف كرلماتهم وصف من عاينها واستفاد من بركاتها وآمن بفعاليتها وهذا الإيمان الذي لا يمازجه أي رياء هو الذي يجعلنا نتساءل لماذا لم تحفظه من همزات الشيطان المريد الذي أغواه وساقه نحو نهاية مؤلمة ؟!) (×) .

(×) ان مثل هذه السخرية الرخيصة لا تليق باستاذ يدعي النزاهة ولا سيما في حق رجل اعتبره هو من ذوي النية الخالصة (المعرب)

كتب التراجم المؤلفة

في القرن الحادي عشر الهجري (1592 ــ 1689 م)

★ ★

عبد الواحد السجلماسي (1)

هو الشريف الحسني العلوي النسب، الفلالي المنشأ ، عبد الواحد بن أحمد ابن محمد السجلماسي .

كان من جهابذة أهل الحديث في عصره ، وولى الكتابة في ديوان الوزير السعدي ، أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ ، الا أنه ما عتم أن اعتزل الكتابة للتدريس في جامع الشرفاء بمراكش وللخطابة والافتاء

أخذ العلم بفاس عن الشيخ الصالح أبي نعيم رضوان الجنوي الفاسي ، وعن المنجور ، أجازه مرراسلة عدة علماء شرقيين ، منهم العالم القاهري الجليل ابراهيم العلقمي والفقيه المالكي المصري محمد بن محمد محب الدين الفيشي . وأجاز هو المؤرخ ابن القاضي .

حضر المجالس الادبية التي كانت تقام بمحضر السلطان أحمد المنصور ، وشارك لديه ، في مساجلات ومناظرات فحظي بالتقدير والتكريم .

ذكر أشياخه في فهرس سماه **الالمام ببعض من لقيته من علماء الاسلام** وتوفي بمراكش يوم الخميس 25 رجب 1003 هـ (5 ابريل 1595) فدفن قرب ضريح القاضي عياض (2) .

---

1) ترجم له ابن القاضي في **جذوة الاقتباس** (ص 270) ومحمد العربي الفاسي في **مرآة المحاسن** (ص 186) والافراني في **صفوة ما انتشر** (ص 41 ــ 42) ، والقادري في **نشر المثاني** (ج 1 ص 14) وفي **التقاط الدرر** (كراسة 2) وابن الموقت في **السعادة الابدية** (ج 1 ص 75) ، وابن شنب في **الاجازة** فقرة 313) (المؤلف) .

2) له ايضا حاشية على شرح المرادي على الفية ابن مالك ، و شرح على مقصورة المكودي ، وعدة قصائد في مدح ابي العباس احمد المنصور (المؤلف) .

الصومعـــي التادلـــي (3)

تكلم صاحب **التشوف** بشيء من الاسهاب عن الولي الصالح أبي يعـزي المتوفى سنة 572 هـ (1177 م)،والمدفون بتاغية ،في منتصف الطريق التي بين الرباط وقصبة تادلا : وقد ارتفع صيت ذلك الولي الى حد أن الكاتب ليـــون الافريقي ردد في كتابه **وصــف افريقيـــا** أصداءه ، مستفيدا من الترجمـــة التي خصصها له ابن الزيات (4) .

تناول كاتب آخر ، تادلي النسب أيضا ، الكلام عن مناقب دفين تاغيـة، فخصص له كتابا كاملا توجد نسخة خطية منه بالمكتبة العامة (رقـــم 387) وعنوانه **الكتـــاب المعزي في مناقب أبي يعزى** .

وصاحب هذا الكتاب هو أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن محمد بـــن سالم بن عبد العزيز الشعيبي الهواري الصومعي التادلي المولود حوالي سنـــة 920 هـ (1514 م) .

كان متبحرا في العلوم الإسلامية ، وله قدم راسخة في «طريق القوم علمـا وعملا» . أسس ببلدته ، الصومعة ، «زاوية» انقطع فيها لانواع الطاعات .

لما انتظم الامر للسلطان أحمد المنصور انتدبه للتدريس في جامع الكتبيين بمراكش ، فترك بعض بنيه بالزاوية وتفرغ للوعظ والاقراء ، وقد استجازه عدد من العلماء ، منهم أبو العباس أحمد المقري صاحب **نفح الطيب** (5) .

ألف أكثر من ستين كتابا ورد أسماء بعضها في **نشـــر المثانـــي** (ج 1 ص 86 و 87) ، وكان مولعا باقتناء المؤلفات وجمعها في خزانته التي كان يضـرب المثل بكثرة محتوياتها .

---

3) ترجم له اليوسي في **المحاضرات** (ص 104) والقادري في نشر **المثاني** (ج 1 ص 84 وفي **التقاط الدرر** (كراسة4) وبناصر في **الابحاث البيبلوغرافية** ص 20 رقم 48 (المؤلف)

4) انظر كتاب ماسينيون **المغرب في السنوات الاولى من القرن الســـادس عشر** (ص97) (المؤلف).

5) ذكره في كتابه ، **روضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من اعـلام الحضرتيـن مراكش وفاس** (المطبعة الملكية سنة 1964 م) (المعرب) .

توفي بمسقط رأسه في الايام الاولى من ربيع الاول 1013 هـ (آخر يلليوز 1604) .

*انتهى من تأليف كتابه **المعزى** في 9 شوال عام 1000 (19 يوليوز 1592 م)* وقد ضمنه سبعة فصول متفاوتة في الطول، تكلم فيها عن نسب أبي يعزى وعن حياته ومناقبه وأتباعه ، وقد استفاد من هذا الكتاب مترجمون جاؤوا بعده مثل الافراني والكتاني (6) .



الفاسيـــون الاولـــون

ضرب ابن عسكر صفحا عن ذكر شيخ من أشهر شيوخ الطريقة الجزولية، وهو أبو المحاسن الفاسي (7) ويبدو أن ذلك الاغفال المتعمد ناتج عما يكون قد وقع بين الرجلين من وحشـــة .



أبـو المحـاسـن يـوسـف الفـاسـي

أجل فان أبا المحاسن يوسف بن محمد بن يوسف الفهري الاندلسي القصري الفاسي كان من أشهر الائمة في العلمين ، الظاهر والباطن ، وليس أدل على ذلك من وفرة الكتاب الذين اعتنوا بالكلام عما امتاز به من مواهب وخصائص.

وهو أحد جدود أسرة من أعرق أسر حاضرة فاس وأمضاها نفوذا ، أمدت المغرب ، منذ القرن السادس عشر الميلادي بعدد عظيم من العلماء والقضاة ورجال السياســة .

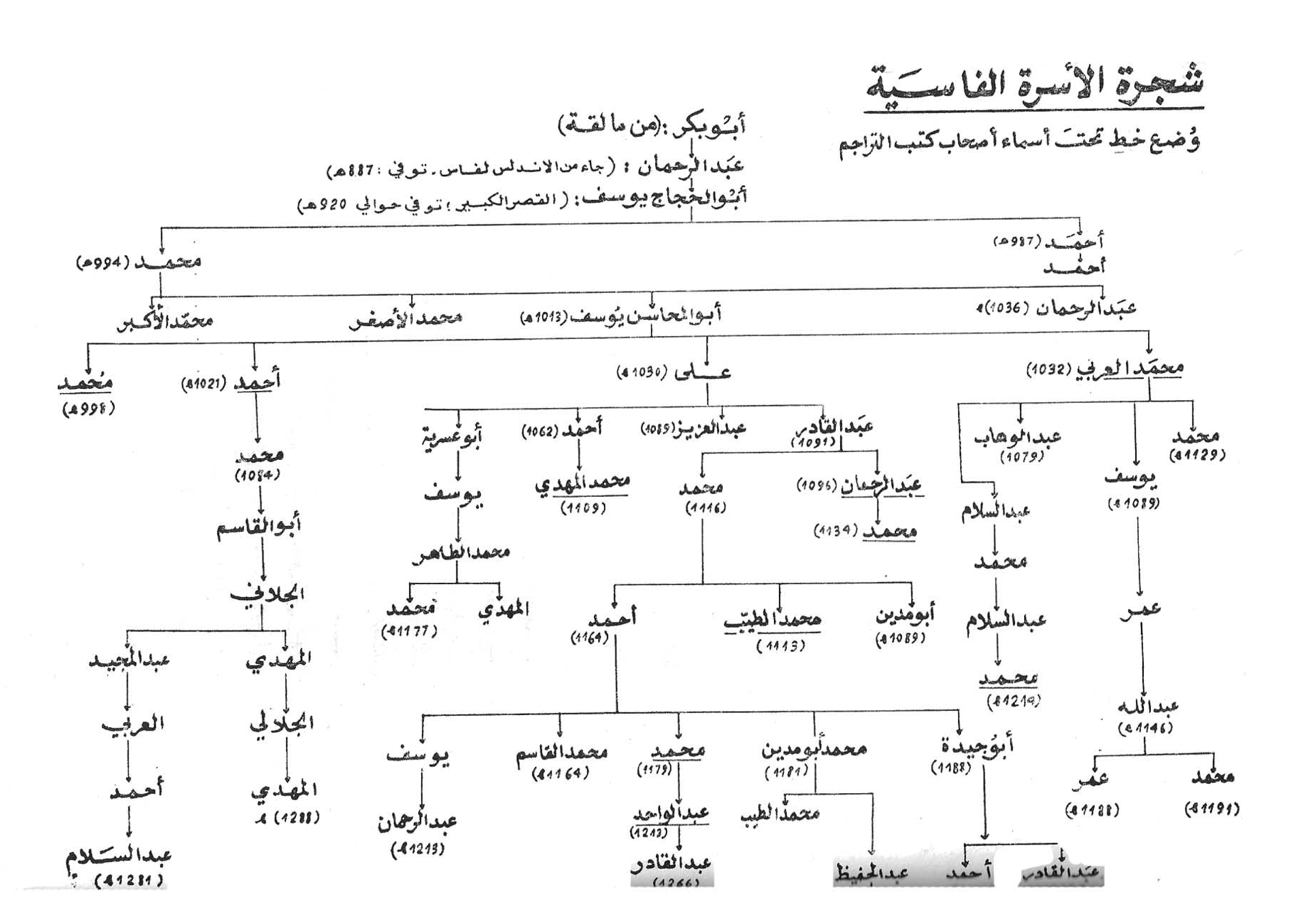
أبو المحاسن أندلسي الاصل ، ينتمي الى أسرة بني الجد الفهرية .

هاجر آل الفاسي ، حوالي سنة 880 (1485 م) من مدينـــة مالقـــة موطنهم بالاندلس ، والتحقوا بفاس .

---

6) الصفـــوة ص 228 و السلـــوة ج 3 ص 259 (المؤلف).

7) لاحظ ذلك كرول عندما ترجم دوحة الناشـــر الى الفرنسية (المؤلف).



شجرة الأسرة الفاسية
وُضع خط تحت أسماء أصحاب كتب التراجم
أبو بكر :(من مالقة)
عبد الرحمان : (جاء من الاندلس لفاس . توفي : 887هـ)
أبو الحجاج يوسف : (القصر الكبير ؛ توفي حوالي 920هـ)
أحمد (987هـ)
أحمد
محمد (994هـ)
عبد الرحمان (1036هـ)
أبو المحاسن يوسف (1013هـ)
محمد الأصغر
محمد الأكبر
محمد العربي (1032)
علي (1030هـ)
أحمد (1021هـ)
محمد
(998هـ)
محمد
(1129هـ)
يوسف
(1089هـ)
عبد الوهاب
(1079)
عبد القادر
(1091)
عبد العزيز (1089)
أحمد (1062)
أبو عسرية
عبد الرحمان (1096)
محمد
(1116)
محمد المهدي
(1109)
يوسف
محمد
(1084)
أبو القاسم
عبد السلام
محمد (1134)
محمد الطاهر
الجلالي
عمر
محمد
عبد السلام
أبو مدين
(1089هـ)
محمد الطيب
(1113)
أحمد
(1164)
المهدي
محمد
(1177)
المهدي
عبد المجيد
محمد
(1219هـ)
عبد الله
(1146هـ)
الجلالي
العربي
أبو جيدة
(1188)
محمد أبو مدين
(1181)
محمد
(1179)
محمد القاسم
(1164هـ)
يوسف
محمد
(1191هـ)
عمر
(1188هـ)
المهدي
(1288) هـ
أحمد
محمد الطيب
عبد الواحد
(1213)
عبد الرحمان
(1213هـ)
عبد السلام
(1281هـ)
عبد القادر
أحمد
عبد الحفيظ
عبد القادر
(1266)

في تلك السنة أردى الطاعون بأخوين لابي الحجاج يوسف ، جد أبي المحاسن فغادر العاصمة الادريسية واستوطن القصر الكبير ليشتغل بالتجارة، وهناك أصبح معروفا بالفاسي .

كانت مدينة القصر عهدئذ مركزا هاما للتبادل التجاري نظرا لكونها من ثغور المغرب الاسلامي ولقربها من البلدان الساحلية التي كانت بيد النصارى.

ولد أبو المحاسن بالقصر سنة 938 هـ (1540 ـ 1541 م) ولما بلغ سن الطلب أخذ يتردد على فاس للجلوس في حلقات العلم ، وفي سنة 988 هـ (1580 م) استوطن فاسا بصفة نهائية ، وأسس بحي القلقيين ، قرب «رأس الجنان» زاوية تعرف الآن بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي ، ويخبرنا صاحب **نزهة الحادي** (ص 75 من6 ط هوداس أنه شارك في معركة وادي المخان في صفوف المسلمين 986 (1518) .

توفي في 18 ربيع الاول 1013 هـ (14 غشت 1604 م) ودفن في المقبرة التي خارج باب الفتوح .

★ ★

احمد الفاسي

كان لابي‌يوسف ، يوم وفاته ، ثلاثة أبناء ، كان اثنان منهما خير خلف لخير سلف ، أولهما أبو العباس أحمد المولود بالقصر الكبير في السادس من ذي الحجة 971 هـ (15 يوليوز 1564 م) حفظ القرآن الكريم في الختمة الاولى ، ثم حفظ عن ظهر القلب صحيحي البخاري ومسلم ، فلقب بالحافظ ، رحل الى فاس ، صحبة عمه ، فأخذ عن علماء أجلاء كالمحقق أبي عبد الله محمد بن يوسف الزياتي ، والشيخ الامام أبي زكرياء يحيى السراج ، وقاضي الجماعة ، الشيخ الامام أبي العباس أحمد المنجور، وقاضي الجماعة أبي مالك عبد الواحد الحميدي ، والشيخ العلامة ابن القاسم بن سودة المري ولازم أخيرا الشيخ أبا عبد الله ابن قاسم القصار الذي أجازه في « جميع ما يصح له وعنه روايته » .

وأخذ عن والده التصوف ، فأشرقت عليه أنوار اليقين » وعن أبي بكر **الدلائي** بزاويته ، وكان ، طول حياته ، حسن السمت ، مستقيم السلوك لا يخاف في الحق لومة لائم ، بحيث إنه لما فاوض السلطان ، الشيخ ابن **المنصور** ، علماء فاس في قضية ثغر العرائش حين أراد تسليمه للاسبان وكان هو من جملتهم ، آثر الرحيل عن مدينة فاس ، فارا بنفسه من الفتنة وتوجه ، مع أسرته ، نحو مدينة القصر الكبير ، فالتجأ إلى جبل أبي زيري ، بقبيلة مصمودة ، ووافاه الاجل المحتوم بذلك المهجر في 21 ربيع الثاني 1021 هـ (21 يريه 1612 م) فدفن هناك

ألف الشيخ أحمد الفاسي عدة كتب ، ذكرها أخوه الشيخ أبو عبد الله محمد العربي في **فهرسة** خصصها له ، ومن تلك الكتب ، **شرح الشريشية** في السلوك ، و **شرح العمدة** لعبد الغني المقدسي في الإحكام ، و**حاشية على صغرى السنوسي** ، و **الدرر الحسان في الكلام على ليلة النصف من شعبان** ، وشرع في **حاشية شرح مسلم** ، الا اننا لا نرى، من بين تلك المؤلفات **المنح الشافية في الاسانيد اليوسفية** (8) وتوجد النسخة الاصلية منه في خزانة أحد الخواص بفاس ، وذلك التأليف عبارة عن ترجمة والده أبي المحاسن ، وضمنها سلسلة شيوخه في التصوف ، وقد استفاد منه صاحب **سلوة الانفاس** ناسبا أياه الى أحمد الفاسي (ج 3 ص 360 ، سطرا 2) .

8) ذكر هذا الكتاب صاحب **دليل المؤرخ** (رقم 1229) تحت عنوان : **المنح الصافية بالاسانيد اليوسفية** مبينا أنه يقع في نحو ثلاثة كراريس وتوجد نسخة منه بالخزانة الفاسية (المغرب)

أبو حامد محمد العربي الفاسي

والابن الآخر المشهور من أبناء أبي المحاسن يوسف ، هو أبو عبد الله أبو حامد محمد العربي ، .

ولد بفاس في 6 شوال 988 هـ (14 نومبر 1580) ، وقد تفرغ هو كذلك لطلب العلم ، وكان من جملة شيوخه ، والده وأخوه أحمد السالف الذكر ، وعمه العارف الفاسي ، والشيخ القصار ، والشيخ أبو الطيب الزياتي ، والشيخ أحمد الزياتي ، والقاضي الحميدي ، والعالم يحي السراج ، والشيخ أبو الحسن علي بن عمران ، والشيخ أبو عبد الله المري (من الميريا) .

وكان فقيها متضلعا في الشريعة والعلوم العربية أخذ عنه عدد وافر من الطلبة منهم أبناؤه الاربعة وابن أخيه عبد القادر الفاسي .

خرج من فاس مقتديا بأخيه ، وتجول في جميع أنحاء المغرب ثم استقر بتطوان فلم ينشب أن فاجأه حمامه في 14 ربيع الثاني 1052 هـ (12 يليوز 1642 م) وبعد سنتين من وفاته ، نقل جثمانه الى فاس ودفن بجانب ضريح أبيه في مقبرة باب الفتوح .

ألف مراصد المعتمد في مقاصد المعتمد وتلقيح الاذهان بتنقيح البرهان والطالع المشرق من أفق المنطق ، و أرجوزة في النحو على غرار الآجرومية ، و عقد الدرر في نظم نخبات الفكر و شرحه وقصيدة في الذكاة وشرح الشقراطية ، و التاليف في أحكام اللفيف ، وانظام في فنون علمية .

ومن المؤلفات التي مات دون اتمامها مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن وهو يشتمل على أقسام ثلاثة ، الاول خاص بالشيخ ، والثاني بأبويه وبأجداده وأحفاده ، والثالث بأصحابه . وهكذا نرى أبا عبد الله محمد العربي الفاسي ينقل الينا بكيفية مفصلة الاحداث التي واكبت حياة ابيه ، ثم يتعرض لاخبار كل من تربطه وشيجة بالشيخ أبي المحاسن . ولهذا كله تعد المرآة من أفيد المظان للتراجم . فانها تطلعنا على ما كان يجري حول مؤسس

الزاوية الجزولية الجديدة من نشاطات في المجالات العلمية والروحية ، وما كان يقوم به العلماء المنتسبون اليها من رحلات وأسفار للجلوس بين أيدي العلماء المعتبرين ، وأعلام التصوف المشهورين .

فالمرآة تعكس بعض الظلال السياسية من انعهد السعدي ، ولاسيما ما وقع ، بعد موت أحمد المنصور من اصطدامات بين خلفائه وبين الطوائف الدينية ذات النفوذ ، ولذا كان ذلك المؤلف من أهم المصادر لصاحب **نزهة الحادي** وللقادري في **حولياته** اذ يوجد بها ، بالاضافة الى النص الكامل لحزب الشاذلي ، المعروف بالحزب الكبير ، وللدعوات المشيشية ، معلومات عن وضعية المحاربين في مساجد فاس ، وأخبار مفصلة شيئا ما عن معركة وادي المخازن ، وعن الفتن التي انفجرت بفاس في بداية القرن السابع عشر الميلادي، وكذا تاريخ مجمل لمدينة القصر الكبير .

ومن جهة أخرى فان **المرآة** تشتمل على **فهرسة** المؤلف محمد العربي الفاسي ، فهي اذن مظنة لاخبار وافرة عن عدة مشايخ من الاسرة الفاسية وبوجه خاص ، عن الشيخ أبي المحاسن ومركزه العلمي والاجتماعي .

لذلك فان الكثير ممن ترجموا للمؤلف ذكروا أن محتوى كتاب **المرآة** المتداول الآن ليس الا جزءا ضئيلا من المؤلف الذي كان عزم على تدوينه .

وكيفما كان الامر فان كلا من **المرآة** ومن الكتاب الضائع الذي ألفه ، حسبما أشرنا اليه قبل ، أبو العباس أحمد الفاسي ، يعد خاتمة الكتب ، وهي جد طويلة ، التي ألفها أفراد من العائلة الفاسية ، وحتى أدباء لا ينتسبون اليها ، وتخص مؤسس الزاوية الشاذلية بفاس .

والمرآة تعتبر أكثر تلك الكتب فائدة ، على الاقل بالنسبة الينا .

ابـن القاضـي بصفتـه مترجمـا

سبق لنا أن تكلمنا عن **المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصـور** وبينا قيمته التاريخية الضئيلة بالنسبة لنشأة الدولة السعدية ، الا أننا نعتبـر كتابيه **درة الحجـال** و **جـذوة الاقتبـاس** المخصصين للتراجم ، أعظم فائـدة وأغزر نفعا (9).

فكتاب **درة الحجـال في أسمـاء الرجـال** يحتوي على تراجم لمشاهيـر من المغرب ومن الشرق ، كأن ابن القاضي أراد أن يجعل منه تكملة **لوفيـات الاعيـان** ، وقد استفاد لهذا الغرض من المعلومات التي حصل عليها أثنـاء زيارته لمصر والجزيرة العربية .

بدأ تحرير هذا الكتاب في شهر رجب سنة 999 هـ (25 ابريل 24 ماي 1591 م) ولم يفرغ منه الا بعد عدة سنوات .

انه مرجع لا يستغنى عنه حتى في عهدنا الحالي واننا لنأمل أن يعتنـى بطبعه ولو بالمطبعة الحجرية (10) الا أن أهميته ، فيما يخص تاريخ المغرب السياسي منه والادبي ، لا تعادل أهمية كتاب ابن القاضي الآخر الخـاص بمشاهير المغرب .

أجل فان **جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس** ، حسـب المفهوم من عنوانه ، مخصص لتراجم أعلام العاصمة الإدريسية .

كتبه ابن القاضي بمراكش ، قاعدة الدولة السعدية التي طالما تغنـى بمحاسنها من غير أن ينسى أن مدينة فاس ، مسقط رأسه ، لم تبرح مركـزا عظيما للعلوم الاسلامية بالمغرب ، والظاهر أنه عزم ، وهو بعيد عنها علـى تدوين **الجذوة** للاشادة بفضائلها ، والتنويه بمفاخرها .

---

9) لابن القاضي ثلاثة كتب أخرى صغيرة في التراجم هي : **لقط الفرائد من لفاظه حقق الفوائد** ، (تتمة لوفيات ابن قنفذ القسنطيني) و **منظومـة** أضافة لمنظومة ابن الخطيب رقم الحلل وفهرسة عنوانها **رائد الصـلاح** (المؤلف).

10) طبع بفاس سنة 1309 هـ (المؤلف). وطبع بالرباط بتحقيق الاستاذ علوش سنـة 1936 ثم بتونس سنة 1971 في ثلاثة أجزاء (المعرب) .

لم يفته وهو من رجال البلاط السعدي الاذكياء ، أن يجدد ، في مستهل **الجذوة** اقراره بفضل أحمد المنصور واعترافه بجميله اذ على يديه كان خلاصه من القراصنة الذين كانوا أسروه في عرض البحر ، الا أنه ، لحسن الحظ، لم يكن ، في ذلك المجال ، من المسهبين .

أوضح ابن القاضي ما عزم على تسجيله **بالجذوة** فقال : انتقيت أن أذكر أولا المدينة ومحاسنها وما اختصت به ، ثم بعد ذلك أذكر على ترتيب حروف المعجم ملوكها وعلماءها وأعلامها وما لهم من نظم وتأليف ومن أخذ عنهم ، سواء كانوا من الغرباء القادمين عليها أو من أهلها (11) .

الجذوة تضم فعلا ما « انتقى أن يذكره » وتنقسم الى قسمين : التمهيد « وقد فصل فيه القول في بناء مدينة فاس وذكر خططها » وقسم التراجم . والتمهيد جد مهم أعاد فيه للاذهان ما ورد من أوصاف فاس في **روض القرطاس** وفي **جنا الآس** ، وبين ما دخل على معالمها من تغييرات منذ تأسيسها الى عصره معتنيا لا بتوضيح معاني أسماء الاماكن فحسب ، بل حتى بذكر الخطباء الذين توالوا على منبر جامع القرويين الى سنة 1003 هـ (1594 — 1595 م) وهي السنة التي ألف فيها كتابه .

وصف الحالة التي كان عليها في أيامه ، جامع القرويين وجامع الاندلس وصفا شاملا ، وإننا لنأسف غاية الاسف لكونه لم يعتن نفس الاعتناء بوصف مرافق تلك المدارس الجميلة التي شيدها المرينيون بفاس والتي كانت ، من دون شك ، في عهده ، ما زالت مصونة الرباع .

ويمكن أن يقسم معجم التراجم الى قسمين : قسم تاريخي خاص بتراجم الملوك ، والثاني أدبي خاص بتراجم رجال الفكر .

---

11) منقول من مقدمة **الجذوة** (ط دار المنصور بالرباط سنة 1973) (المعرب) .

فالتراجم الملوكية مطولة شيئا ما الا أنها لا تكاد تفيدنا بأكثر مما نجده في شرح **درة السلوك** أي الصفات الخلقية وتاريخ الوفيات ، ولوائح الوزراء وبعض الكتاب والقضاة . وأما تراجم العلماء فانها مدققة ومركزة تعكس صورة صادقة للحركة الفكرية في أزهر فترات تاريخ الدولتين ، المرينية والسعدية .

وأسلوب **الجذوة** أسلوب خال من التعقيد والغموض ومن المصطلحات الصوفية ، بحيث يبدو أن مؤلفه كان يرغب عن التوغل فيما كان شائعا في عصره من المجادلات حول التصوف والعلوم الباطنية .



أحمد بابا (12)

اهتم أحمد بابا بتراجم الرجال ، سائرا في ذلك سيرة ابن القاضي الا أنه اقتصر ، بصفته فقيها ، على التعريف بالفقهاء الذين تلالات نجومهم في آفاق العلوم الاسلامية .

أحمد بابا سوداني الاصل ، معتز بالانتساب لبلاده لا يبغي بها بديلا ، الا أن المغاربة يعدونه من علماء المغرب الاقصى نظرا لمتانة الوشائج التي تربطه بهذه البلاد .

---

12) ترجم لاحمد بابا :

هو نفسه في **نيل الابتهاج** ، 79 ـ 80 ، **كفاية المحتاج** . الافراني **نزهة الحادي**، 97 ـ 98 ، **صفوة من انتشر** ، 52 ـ 55 . القادري ، **نشر المثاني** ، 1 : 151 ، **التقاط الدرر** ،11 و 12 و . المحبي ، **خلاصة الاثر** 1 : 170 . السعدي ، **تاريخ السودان** ، 35 ، 218 ، 244 . الناصري ، **الاستقصا** ، 3 : 63 . بروكلمان ، **الادب العربي** ، 2 : 466 ـ 467 . بنشنب ، **الاجازة** ، ف . 94 ، **دائرة المعارف الاسلامية** ، 1 : 196 .ومصادر أجنبية اخر .

هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التكروري المسوفي ، الصنهاجي العرق ، ولد بقرية أروان بضواحي مدينة تنبكتو في 21 ذي الحجة عام 963 هـ (26 اكتوبر 1556) . كانت عشيرة الاقيت تسكن بالعاصمة السودانية وتتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة . ومما يؤكد لنا أن أجداد أحمد بابا توارثوا بها خطتي الامامة والقضاء طيلة القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين (13) .

أقبل على طلب العلم ، منذ المرحلة الاولى من حياته ، فأخذ عن أبيه ، وعن جده وعن الفقيه السوداني الشهير محمد بن محمد التنبكتي المعروف ببغيع (14) ، فلم يلبث أن أصبح من صدور الفقهاء المالكية . وكان مولعا باقتناء الكتب بحيث كانت مكتبته الخاصة تضم أكثر من ألف وثلاثمائة مؤلف .

لاشك أن أحمد بابا لم يكن ليدخل المغرب لو لم تضطره الظروف السياسية التي اكتنفت فتح أبي العباس أحمد المنصور السعدي للسودان . وبالفعل فانه أرغم وعشيرته على الخروج من تنبكتو ، منبت عزهم وجاههم ، اذ ألقي عليهم القبض في مستهل سنة 1002 هـ وحملوا الى مراكش على ظهور الجمال مصفدين في الاغلال . واثناء هذه الرحلة سقط أحمد بابا عن ظهر الجمل فاندقت ساقه .

وصلوا الى العاصمة السعدية في أول رمضان من السنة المذكورة (24 مايو 1594 م) ، فاستقروا هناك في حكم الثقاف الى أن انصرم أمد المحنة ، فسرحوا في الحادي والعشرين من رمضان سنة 1004 هـ (19 مايو 1596 م) .

ولما مثل الفقيه السوداني ، اثر تسريحه من السجن ، بين يدي المنصور وجده يكلم الناس من وراء حجاب ، وبينه وبينهم كلة مسدولة على طريقة خلفاء بني العباس ، فامتنع أحمد بابا من مخاطبته وقال له : « ان كانت لك حاجة في الكلام فانزل الينا وارفع عنا الحجاب » فنزل المنصور ورفعت الاستار واذ ذاك استنكر أحمد بابا أشد الاستنكار ما فعل به وبعشيرته (15).

---

13) ترجم لجماعة منهم في **نيل الابتهاج** .

14) ترجم له في **الفكر الاسلامي** ج 4 ص 105 (المعرب).

15) انظر **نزهة الحادي** (طبعة هوداس) و **الاستقصا**

تصدر أحمد بابا ، مدة اقامته الاجبارية بمراكش ، للتدريس بجامع الشرفاء حيث أخذ يحدث ويشرح الفقه المالكي ، ورغم لكنة لسانه فان الطلبة كانوا يتزاحمون حوله ومنهم علماء مشهورون مثل قاضي مراكش أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني (16) وهو كبير ينيف على الستين ، وأبي الحسن علي بن عمران السلاسي (17) وأبي عبد الله محمد الرجراجي المعروف بالبوعبدلي قاضي مراكش ، والمؤرخ ابن القاضي ، وكان يقوم بالافتاء الا أنه لم يقبل أن تسند اليه رسميا خطة الافتاء لئلا يظن أنه قبل الاقامة بمراكش عن طواعية ورضى .

اشتهر في جميع الاوساط الثقافية المغربية. وقال هو عن نفسه : « اشتهر اسمي في البلاد من سوس الاقصى الى بجاية والجزائر وغيرهما » .

بقي أحمد بابا بمراكش حتى وفاة المنصور ، وخلفه زيدان هو الذي آذن له ولكافة السودانيين المثقفين في العودة الى وطنهم . وكانت وفاة أحمد بابا بمسقط راسه ، بتنبكتو في 6 شعبان 1036 هـ (22 ابريل 1627 م) .

ترك ما يزيد على الاربعين مؤلفا ، أكثرها في الفقه المالكي ، وبعضها في العبادات وفي النحو ، كما ترك كتابين في التراجم ، **نيل الابتهاج** و **كفاية المحتاج** و **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** كان في حقيقة الامر تكملة لكتاب ابراهيم ابن فرحون **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** وقد ترجم فيه لطائفة مهمة من فقهاء المالكية المغاربة والسودانيين : ولخصه فيما بعد في **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** .

فرغ أحمد بابا من كتاب **الابتهاج** بمراكش في 7 جمادى الاولى 1005 هـ (27 دجنبر 1596 م) ولاشك أنه كان يحرر فصوله وهو في حالة الثقاف . ومهما يكن فانه سجل فيه فضائل فقهاء مغاربة ، ومنهم من كانوا معاصرين

---

16) كان قاضيا بفاس ، اغتيل سنة 1032 هـ (1623 م) ترجم له ميارة في **الدر الثمين** والافراني في **نزهة الحادي** والقادري في **النشر** (المؤلف)

17) كان قاضيا بفاس ، مات مسموما سنة 1018 هـ (1609 م) (المؤلف) .

له . ومما يدل على نبله وصفاء سريرته أنه اعتمد على مراجع لا شبهة في مغربيتها **كفهرسة ابن غازي** ، ومؤلفه **الروض الهتون** و **فهرسي** المنجور وعبد الواحد السجلماسي ، ويجوز لنا أن نقول انه **تعمد اخروج عن الاطار** الذي جعله لكتابه والدال عليه عنوانه ، فذكر علماء مالكيين لم يكونوا من المختصين في الفقه ، ولكن اشتهروا بتضلعهم في فنون أخرى . **هذا وانما نجد** في معجمه حتى تراجم بعض أكابر صلحاء المغرب اقتبسها **من مؤلفات** سابقيه مثل **ابن الزيات** .

ولهذا كله فان **النيل يعتبر** من أهم المصادر المغربية المتعلقة **بالتراجم،** لانه يكمل كتب التراجم التي وضعها سابقوه وخصوصا معاصره **ابن القاضي** ولذا نرى أن أحمد بابا جدير بأن يسجل اسمه ضمن المؤرخين غير المباشرين لمغرب أواخر القرن السادس عشر الميلادي .

★ ★ ★

المرابي (18)

أبو العباس أحمد بن موسى المرابي الاندلسي ، المتوفى سنة 1034 هـ (14 اكتوبر 1624 — 2 اكتوبر 1625) قام بتأليف في سيرة الصالح الورع رضوان الجنوي أسماه : **تحفة الاخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان** وتكلم فيه عن مناقب شيخه أبي نعيم رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي (19) .

توفي أبو نعيم سنة 991 هـ (1583 م) . كان من فطاحل علماء آخر القرن العاشر الهجري ، مشهودا له بالصلاح والاستقامة ، وأصله من جنوة ، قدم منها والده وكان نصرانيا فاسلم وتزوج باسلامية من يهود المغرب أسلمت كذلك وحسن إسلامها .

كان المرابي من مريديه الى أن مات ، ثم من مريدي أبي المحاسن يوسف الفاسي .وبالاضافة الى **التحفة** فانه نظم عدة قصائد دينية المشرب .

---

18) ترجم له الافراني في **الصفوة** (ص 125) والقادري في **النشر** (ج 1 ص 149) وفي **التقاط الدرر** (ص 11) والكتاني في **السلوة** (ج2 ص 261 (المؤلف) .

19) وردت ترجمته في **الجذوة** (ص 153) و **ممتع الاسماع** (ص 86) ، وفي **الروض العاطر الانفاس** لابن عيشون الشراط ، وفي **الصفوة** (ص 6) و **النشر** (ج 2 ص 225) الـخ (المؤلف).

وفي **الاعلام** (ج 3 ص 227) ط الرباط ترجمة مستفيضة له (المعرب)

أحمد وعلي السوسي (20)

أبو العباس أحمد وعلي ومحمد (أي ابن علي بن محمد) السوسي البوسعيدي الهشتوكي الصنهاجي ، كان عالما وصالحا . ولد بسوس حوالي سنة 990 هـ (1582 م) ، تعلم بمسقط رأسه ثم رحل الى مراكش حيث أخذ عن أحمد بابا الذي صافحه وأجازه ، وعن القاضي أبي القاسم ابن أبي النعيم الغساني ، ثم قصد حاضرة فاس ونزل بالمدرسة المصباحية حيث بقي الى أن وافته منيته .

أخذ بالحاضرة الادريسية عن أبي محمد عبد الواحد ابن عاشر مؤلف **المرشد المعين** ، وعن أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي . اشتهر ، مدى حياته ، بالصلاح والتقشف مقتصرا على الضروري في الاكل والشرب . ولا يتبلغ الا من قرصة كان يعجنها بيديه ويجعلها في النار ولم يكن له ثوب واحد كان يغسله بيديه .

ولما مات (في 15 ذي القعدة 1046 هـ (10 ابريل 1637م) دفن بالكغادين في قبر كان هو حفره لنفسه .

ورغم زهده وتحاميه من أن تنسب له خصوصية فانه ألف تآليف شهيرة منها **بذل الناصحة في فضل المصافحة** التي ذكر فيه أشياخه وأورد فيه مقتطفات في الورع والوعظ والايقاظ والتذكير باحوال الآخرة وقد أورد صاحب **النشر** ، في ثنايا كلامه عن هذا الرجل الصالح ، بعض تلك المقتطفات وهي تتعلق بمختلف صمات العلماء الحميدة . (ج 1 ص 171).

---

20) ترجمته في **الروض العاطر الانفاس** (ص 105) و **الصفوة** (ص 68) و **النشر** (ج 1 ص 171) و **التقاط الدرر** (ص 15) و **السلوة** (ج 2 ص 85) (المؤلف).

وترجمه ابن ابراهيم في **الاعلام** (ج 2 ص 111 الطبعة الاولى) والحجوي في **الفكر السامي** ج 4 ص 110 (المعرب) .

الجـــلالـــي (21)

أورد القادري نصا تاريخيا طويلا نسبه لفقيه معاصر له وهو ابراهيم بن عبد الرحمان بن عيسى الجلالي .

ولد في قبيلة بني ورياغل ، بعدوة وادي ورغة اليمنى ، ولما يفع قصد فاسا ، وهناك اشتهر ، حوالي 994 هـ (1586 م) وتوفـــي سنـــة 1047 هـ (1637 ـ 1638 م) .

لم يعرف من مؤلفاته الا عنوانان اثنان ، وهما يتسمان بلون من التكلف اذ أسمى أحدهما **تنبيـــه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهـاربـ من الهذيان لدعي الفتوى آء جليــان** (22) و **المسألــة الامليسيـــة فـــي الانكحــة المنعقدة على عادة البلاد الغريسية** وانه لمن المؤسف اننا لم نتمكن من العثـــور على الكتابين المذكورين سيما وأن صاحب **نشـــر المثانـــي** استقى منهمـــا معلومات دقيقـــة .

★ ★

التمـــارتـــي (23)

ترجم الافراني في **الصفـــــوة** لعالم سوسي ، خلف **ديـوان شعــــر و فهرســـــة** اسماهـا **الفوائـد الجمة باسناد علوم الامة** . وذلك العالم هـــو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد التمارتي المغافري الروداني مولدا ومدفنـــا ، والمتوفى حوالي 1070 هـ (1659 ـ 1660 م) .

---

21) ترجم له في **السلوة** (ص 123) و **النشـــر** (ج 1 ص 173) و **التقـــاط الدرر** (ص 15) (المؤلف) .

22) ورد ذكره في **دليل المؤرخ** (ج 1 ص 199) تحت رقم 770 ، وقال مؤلف **الدليـــل** « يوجد بخزانة الكتاني بفاس التي نقلت الى الخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم 571 (المعرب)

23) ترجم له في **الصفـــوة** (ص 155) (المؤلف) .

وذكره المرحوم المختار السوسي في **ســـوس العالمــة** (ص 181) وترجم له الاستاذ محمد ابن عبد الله الروداني محقق كتاب **ايليغ قديمـــا وحديثـــا** ص 2 في التعليق 7، وذكر انه وقـع العثور على ديوان شعره بالمكتبة الملكية (المعرب).

أخذ العلم عن أبيه وعن يحي الوقاد التلمساني ، وولي القضاء والافتاء بمسقط رأسه .

يستفاد من النصوص المنقولة في **نزهة الحادي** أن مؤلف التنمارتي كان يشتمل على « فوائد جمة » تتعلق بتاريخ أزهر عهود الدولة السعدية ، وبتاريخ تارودانت عاصمة سوس .

يعد هذا الكتاب في حكم المفقود ولا يوجد له أثر حتى في تارودانت (24)، والغريب أن القادري أهمل ترجمته مع أنه كان من شيوخ المرغيش الآتية ترجمته .



محمد ميارة (25)

من المصادر التي اعتمد عليها الكتاني عند تأليفه **للسلوة** كتاب للشيخ محمد ميارة عنوانه **الدر الثمين** وهو كتاب في الفقه لا في التراجم ، الا أن المطلع عليه لا يلبث أن يجد فيه قدرا وافرا من الاشارات المتعلقة بالحركة الفكرية السائدة في عصر مؤلفه ، وكثيرا من المعلومات ذات الطابع التاريخي الصرف . وهذا هو الذي جعلنا نذكر هذا الكاتب بجانب أصحاب كتب التراجم المغاربة .

ولد أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة بفاس في الخامس عشر من شهر رمضان 999 هـ (7 يوليوز 1591) وبها أخذ عن شيوخ اشتهروا بالمعرفة والاستقامة والصلاح كابن عاشر ، والعارف الفاسي ، وابن القاضي ، والمقري وأبي الحسن علي بن القاسم البطيوي ، وابن أبي النعيم الغساني ، ومحمد بن عبد الوهاب الدكالي ، ومحمد البوعناني الادريسي .

---

24) اخبر الضابط الفرنسي جستينار انه عثر على هذا الكتاب كما ذكر من جملة مراجع كتاب ايليغ وانه معروف ، وقال صاحب **دليل المؤرخ** (رقم 1412) : « تقع في مجلد وسط رتبها على أربعة أبواب ، كتاب مشهور مفعم بالتراجم بقلم حسن ، توجد عند الاخ المختار السوسي » .

25) ترجم له في **الصفوة** (ص 140) و **النشر** (ج 1 ص 135) و **السلوة** (ج 1 ص 165)

كان أبو عبد الله ميارة من أكابر العلماء وأساطين الفقهاء ، كرس حياته للتدريس والتأليف ، وكتبه متداولة ، عليها إقبال عظيم في حلقات العلم ، وأشهرها شرحه الكبير **للمرشد المعين على الضروري من علوم الدين** المسمى **بالدرر الثمين والمورد المعين** وقد فرغ من تأليفه سنة 1044 هـ ثم صنف ملخصا له بعد ذلك بأربعة أعوام .

توفي بفاس في 3 جمادى الثانية 1072 هـ (24 يناير 1662 م) ودفن بدار قرب الدرب الطويل (26) .



المرغيثي (27)

ولد أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيثي السوسي بسوس سنة 1007 هـ (1598 ـ 1599م) وعاش بمراكش . كان من المتبحرين في العلوم الاسلامية ومن المشتغلين بعلمي الحساب والفلك .

تعلم بفاس وبمراكش حيث أخذ عن ابن عاشر ، ومحمد العربي الفاسي، وأبي محمد عبد الله السجلماسي ، ومحمد الجنان الاندلسي ، وأبي القاسم الفشتالي الغول ، وعيسى السجلماسي ومحمد التاملي ، وأحمد السالمي .

استوطن العاصمة السعدية وولي بها الامامة . وفي سنة 1088 هـ (1672 م) قضى مدة طويلة بالزاوية الدلائية وهناك ناول اليوسي اجازة أثبت نصها الكامل في **نشر المثاني** .

---

26) مؤلفات ميارمة الاخرى هي : **زبدة الاوطان في اختصار الخطاب** و **شرح تحفة ابن عاصم** و شرح **لامية الزرقاق** المسمى تحفة الاصحاب **والرفقة ببعض مسائل الصفقة** وذيل لمنهج الزقاق عنوانه **تكميل المنهج الى اصول المذهب المبرج** وشرح له ، وحاشية على البخاري اسمه **معين القاري لصحيح البخاري** و **نصيحة المغترين في الرد على ذوي التفرقة بين المسلمين** (المؤلف) .

27) ترجمه في **الصفوة** (ص 177) و **النشر** (ج 2 ص 37) و **التقاط الدرر** (33) و**خلاصة الاثر** للمحبي (ج 3 ص 472) و **السعادة الابدية** لابن الموقت (ج 1 ص 136) (المؤلف) وترجم له الاستاذ محمد حجي في : **الزاوية الدلائية** (المعرب)

توفي في الثمانين من عمره بمراكش في السادس عشر من ربيع الثاني عام 1089 هـ (7 يونيه 1678 م) ودفن بجانب قبر شيخه السجلماسي .

اشتهر المرغيثي في المغرب بمنظومته في التوقيت المسماة **المقنع في علم أبي مقرع** التي ما زالت ، متداولة لدى الموقتين بجميع مساجد الحواضر المغربية .

له مؤلفات أخرى كثيرة أهمها **فهرست الفوائد المزرية بالموائد** وهي كشكل علم وأدب ، تشتمل على تراجم وعلى فوائد طريفة تتعلق بخصائص مجتمعه وببعض أوصاف إعيان البلاط السعدي وبعض الادوية وعلم الجداول. وكلها معلومات ما فتئت تعتبر ، في الاوساط الثقافية جديرة بالاهتمام .

★ ★

العياشي الرحالة (28)

ألفت رحلة العياشي في القرن السابع عشر الميلادي وقد ترجم ، منذ مدة، قسم منها الى اللغة الفرنسية (29) وطبعت في جزئين بفاس ، على المطبعة الحجرية سنة 1316 هـ .

سبق أن أشرنا إلى أن تلك الرحلة ليست الا قائمة لمجموعة من مشاهير الاعلام ، اذ أن القسم الجغرافي منها لا يتعدى بيان المسالك والمنازل ، وهو في حقيقة الامر دقيق الضبط ، جدير بالدراسة حتى في أيامنا هذه ، وان كان مؤلفنا لم يقصد من رسمه الا إطلاع القراء على مدى الاعتناء بالعلوم الاسلامية في الاقطار التي مر بها .

---

28) ترجم اليوسي في **المحاضرات** ، والافراني في **الصفوة** والقادري في **النشر والالتقاط** والحضيكي في **المناقب** ، وفي **دائرة المعارف الاسلامية** من الطبعة الفرنسية (المعرب)

29) قام بذلك العمل Berbrugger -- Motylinsky المراجع المذكورة في **دائرة المعارف الاسلامية** (المعرب)

ليس من الصعب الالمام بأطوار حياة العياشي لانه هو نفسه أفادنا بتفاصيل عنها في مختلف مؤلفاته .

هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي . ولد ، في آخر شعبان 1037 هـ (4 ماي 1628 م) ، بقبيلة آيت عياش المستقرة قرب تافيلالت وقرأ هناك على أبيه الذي كان يشرف يومئذ على فرع للزاوية الناصرية ، ثم قصد رباط وادي ردعة فأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد ابن ناصر ، الطريقة الصوفية ، وانتقل الى فاس حيث تلقى العلم عن خطيب جامع الاندلس حمدون الابار ، وعن الشيخ محمد ميارة، والعالم عبد الرحمان بن القاضي ، وبصفة خاصة عن الشيخ الذائع الصيت عبد القادر الفاسي الذي اجازه في منتصف شعبان 1063 هـ (يليوز 1653 م) (30) .

قضى عدة سنوات من عمره في المشرق متنقلا من مصر الى آخر ، وهكذا جاور الحرمين ، وزار القدس والقاهرة فلقى العلماء وأخذ عنهم وألقى دروسا ومن الائمة الذين جالسهم واستفاد منهم في المشرق، الشيخ علي الاجهوري (تـ : 1066 هـ) والشيخ أبو مهدي الثعالبي (تـ : 1080 هـ) والشيخ أبي اسحاق الشهرزوري الشعراني (توفي بالمدينة 1101 هـ) .

للعياشي تآليف مختلفة منها **منظومة في بيوع ابن جماعة و شرحه** ، و **تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية** ، وتوليف في « **لـو** » **الشرطية**، وكتاب **الحكم بالعدل والانصاف لرفع الخلاف فيما بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف**، و **اقتفاء الاثر بعد ذهاب أهل الاثر** ، و **تحفة الاخلاء باسانيد الاجلاء** .

توفي شهيد الطاعون في 10 ذي القعدة عام 1090 (13 دجنبر 1679) .

انا لن نطيل الكلام عن رحلة العياشي **ماء الموائد** لانها تشتمل على معلومات تهم بلادا اسلامية أخرى بالاضافة إلى المغرب . فهي موسوعة في علم الشريعة وفي التصوف . ولذا رأينا من الضروري ألا نغفل هذا المؤلف المغربي ذا السمعة الطيبة والشهرة المحدودة عند بني وطنه .

---

30) أورد قسما من الاجازة صاحب النشر (ج 2 ص 49 — 53 وهي الاجازة التي نقلها الى اللغة الفرنسية الاستاذ ابن شنب ، وعرف بالشيوخ المذكورين فيها ، (المؤلف) .

عبد القادر الفاسي وابنه عبد الرحمان

لم يكد أعلام البيت الفاسي الاولون يموتون حتى تلالات نجوم علماء من حفدتهم ، سرعان ما طبقت شهرتهم الحاضرة الادريسية وطار صيتهم إلى جميع انحاء المغرب .

فعبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ، حفيد أبي المحاسن ، اشتهر بفاس كرئيس نشيط للزاوية الجزولية وكامام وقته وحجة عصره في العلوم الاسلامية ، ويعد ابنه عبد الرحمان ، بالنسبة لسكان فاس ، من أكابر الامجاد الذين أنجبتهم حاضرتهم .

لم يكن الشيخ عبد القادر من المؤلفين لكتب التراجم ، ولكن شهرته بالمعرفة والدراية هي التي حدت بالكتاب أن يعتنوا بترجمته ، ومع هذا فانه لم يؤلف كثيرا وانما ترك آثارا جد قليلة ، منها أجوبة مسائله وفهرسة سجل فيها اسناده في رواية الحديث وفي علم التصوف ، قيد فيها بعض المعلومات عن أشياخه وهي في حقيقة الامر ، وثيقة فصل فيها ماكان أوجزه في الاجازة التي أجاز بها أبا سالم العياشي، والتي حللها وشرحها الاستاذ ابن شنب في مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع عشر .

ولد عبد القادر الفاسي في القصر الكبير ، في 2 رمضان 1007 هـ (1599 م) ، وبه قرأ على والده ثم رحل الى فاس طلبا للعلم سنة 1025 هـ (1616 م) فاستقر في المدرسة المصباحية وأخذ العلم ، بتوجيه أخي جده العارف الفاسي ، عن عمه محمد العربي الفاسي الذي أجازه في كل ما يجوز له روايته باللفظ والخط، وعن القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني، وأبي مالك عبد الواحد ابن عاشر ، وكان أيضا من جملة شيوخه أبو الحسن علي بن زهير السجلماسي وأحمد المقري ، ومحمد الجنان .

ولما امتلا وطابه قفل راجعا الى مسقط رأسه الا أن لصوصا سطوا عليـــه وأخذوا أمتعته فعزم على الاستقرار بفاس لنشر الطريقة الشاذلية ، وتصـدر للتدريس والإرشاد ، متمسكا بالسنة ، ورعا ، زاهدا ، راسخ القدم في العبادة ونوافل الخيــــر .

توفي في 8 رمضان 1091 هـ (2 اكتوبر 1680 م) ودفن بخولته في حي القلقليين ، ولا زال قبره ، الى اليوم ، مزارة من أعظم المزارات .

وأما ولده أبو زيد عبد الرحمان فانه لم يعش بعده إلا خمس سنوات ، اذ توفي في 16 جمادى الاولى عام 1096 هـ (20 ابريل 1685 م) ، وكان مولده بفاس في 17 جمادى الثانية عام 1040 (21 يناير 1631 م) .

هو مفخرة البيت الفاسي ، كانت له مشاركة في علوم شتى تدعمها حافظة نادرة حتى ان أباه كان يلقبه « بسيوطي عصره » ، ورغم أنه لم يعمر طويلا فان المترجمين له يكادون يجمعون على أنه خلف أكثر من مائة وسبعين مؤلفا أو تقييدا في مختلف العلوم من طب وفلك وتاريخ وفقه مالكي ، وله **نظـــم في العمــل الفاسي** متداول الى يومنا هذا في حلقات التدريـــس ، وقد ذكر فيـــه المسائل التي جرى العمل بها في الاحكام الشرعية مراعاة للاعراف والظروف .

خصص الشيخ عبد الرحمان الفاسي قسما مهما من مؤلفاته للتراجم ، من جملتها **فهرستـــه** واربعة كتب عرف فيها بعلماء من أهل بيته وهي : **ابتهـــاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن والشيخ المجذوب** ، وأنيسة المساكن في أبناء **أبي المحاسن** ، **وتحفة الاكابر في مناقب الشيخ عبد القـــادر** « يعني أبـــاه » و **البستـــان الزاهـــر فـــي أخبـــار الشيـــخ عبـــد القـادر** « يعنـــي كذلك أباه) . ومن مؤلفاته أيضا **ابتهـاج البصائـــر فيمن قرأ على الشيـــخ عبد القادر** و **أزهـار البستان في مناقب الشيخ عبد الرحمان** (أي المجذوب) وكتيب بدون عنوان في مناقب سيدي محمد بن عبد الله بن معن الاندلسي (المترجم له في **ممتع الاسمـــاع** .

ونرى من الضروري أن نشير الى مؤلف من مؤلفات الشيخ عبد الرحمان الفاسي يدل على براعته في نظم الاراجيز التعليمية وهو : « كتاب الاقنوم في مبادىء العلوم ، الذي يمثل شبه دائرة المعارف المغربية » في القرن السابع عشر الميلادي ، اذ ضمنه التعريف بمبادىء نحو المائة وخمسين «علما» واستوفى حدودها في مائتين وواحد وثمانين مقطوعة من بحر الرجز .

يشتمل **الاقنوم** على معطيات طريفة في الانساب المغربية ، وعن مجمل القبائل المنبثة في الايالة الشريفة .

والفصل الخاص بالتاريخ ، وهو التاسع والخمسون ، يحتوي على سبعة وتسعين بيتا ، عرف بالتاريخ في بيت واحد قال :

« علم ملوك المسلمين والدول ومن تولى بالتوالي وانعزل »

ثم أتى بعده بتواريخ ضمنها في « جمل » و « عبارات » للدلالة على وفيات أعلام من عهد الخلفاء الراشدين الى عهد الدولة السعدية ، وليست ، بالنسبة لنا ، ذات فائدة كبيرة .

ألف الشيخ عبد الرحمان الفصل الخاص بالتاريخ قبل فصول الكتاب الاخرى ، وكان اتخذ له عنوانا خاصا وهو : **زهر الشماريخ في علم التاريخ** ، وكثيرا ما نجد الافراني يذكر في **النزهة** شرحا **للزهر** ، وقد نقل منه في نفس الكتاب نصوصا قليلة الا أن قيمتها تثير تأسفنا على فقدان ذلك الشرح ، وعلى جهلنا لاسم مؤلفه . ومن الممكن ان يكون المؤلف والشارح هو عبد الرحمان الفاسي ، ولكن لا نجزم بذلك (31) .

---

31) ذكر صاحب **دليل المؤرخ** ، زهرة الشماريخ (رقم 1821) المطبوعة بفاس حوالي 1340 هـ (1922 م) وورد تحت رقم (1822) ما يرجح أن الشارح هو الناظم أي الشيخ عبد الرحمان الفاسي (المعرب).

اليـــوســـي (32)

عاصر الشيخ عبد الرحمان الفاسي ، عالم ، يضاهيه شهرة ، وهو أبو علي الحسن اليوسي الذي حظي في المغرب بشعبية واسعة حتى ان ضريحه أصبح مزارة من المزارات المقصودة للترحم والتبرك .

كان مولعا بالادب ، متجرا في النثر والشعر ، الا أنه لم يلبث أن صار مشهودا له بالصدارة في الفقه ، وبالنشاط المثمر في المجالات الروحية.

ولد عام 1040 هـ (1630 ـ 1631 م) بقبيلة آيات يوسي المنبثة بطونها في جنوب فاس ، بضواحي صفرو ومنابع نهر ملوية .

لما طر شاربه أخذ يتردد على الزوايا والربـط المغربيـة المشهورة طلبا للمعرفة ، وهكذا قضى سنوات من عمره في سجلماسة وفي احواز درعة وفي مراكش قبل أن يلتحق بالزاوية الدلائية التي كانت اذ ذاك من أشهر مراكز الحياة الدينية والفكرية ، وبقي بها الى أن أمر السلطان مولاي الرشيد بتخريبها سنة 1079 هـ (1668 م) .

أخذ اليوسي عن عدد وافر من العلماء الاجلاء ، نجد أسماءهم وتحليلاتهم **بفهرستـه** ، وكان منهم الشيخ أبو بكر بن الحسن التطارفي ، والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي بن الطاهر السجلماسي الحسني (ت : 1089 هـ) والشيخ عبد العزيز بن بد الرحمان الفيلالي (ت : 1096 هـ) والشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد التجموعتي (ت : 1088 هـ) والشيخ ابو مهدي عيسى السجتاني (1062 هـ) والقاضي أبو عبد الله محمد المزوار المراكشي

---

32) توجد معلومات عنه في كتابه **المحاضرات** وفي **فهرسته** ، وترجم له في **الصفوة** و **النشر** و **السلوة الخ** .. (المؤلف)

وعرف به، الاستاذ محمد حجي في كتابه **الزاوية الدلائية** ، كما اعتنى بدراسة مؤلفاته والتعريف بالحركة الادبية في عصره المراقب المدني قديما والاستاذ حاليا بباريس جاك بارك وذلك في كتاب باللغة الفرنسية عنوانه **اليوسي** (المعرب) .

(ت : 1065 هـ) والشيخ ابو محمد عبد الله محمد ابراهيم الهشتوكي ، وأخيرا الشيخ الصالح محمد الناصر ، وشيخ الزاوية الدلائية محمد المرابط بن محمد الدلائي ، وقد أجازه بطلب منه ، الشيخ عبد القادر الفاسي، وأجازه كذلك المرغيتي .

كان أبو علي عالما مشاركا واسع الاطلاع غزير المعرفة ، يحفظ عن ظهر القلب دواوين الشعراء أبي تمام والبحتري وأبي العلاء المعري الخ ،،،

جاء الى فاس في منتهى شهر محرم 1079 هـ (يليوز 1668 م) صحبة الدلائيين الدين نقلوا اليها بعد تخريب زاويتهم ، فتصدر للتدريس بجامع القرويين .

والظاهر أن اليوسي الذي لم يتلق معارفه بالعاصمة الادريسية لم يحظ بالتقدير من لدن علمائها ، وهذا هو الذي حمله على مغادرتها قائلا :

ما أنصفت فاس ولا أعلامها
علمي ولا عرفوا جلالة منصبي
لو أنصفوا لصبوا الى كما صبا
راعي سنين الى الغمام الصيب

قصد مراكش وهناك ألقى دروسا بمسجد الشرفاء ، ثم خرج حاجا ، وعاد الى فاس في شهر شوال 1095 هـ (11 ستنبر / 9 اكتوبر 1684 م) فمكث بها مدة معربا عن آرائه بكامل الصراحة ، وتتمثل تلك الصراحة بصورة واضحة في الرسالة الطويلة التي وجهها للسلطان المولى اسماعيل عندما أقدم على تجريد القبائل البربرية من السلاح (33) .

---

33) نشرها الناصري في الاستقصا

حج حجة ثانية سنة 1101 هـ وبعد عودته الى وطنه وافاه أجله في 15 من ذي الحجة 1102 هـ (10 شتنبر 1691 م) فدفن بأرض أسلافه ، في تمزوت قرب صفرو ولا زال قبره الى عهدنا هذا مقصد الزوار.

ان مؤلفات (34) اليوسي تقل عددا عن مؤلفات معاصره الشيخ عبد الرحمان الفاسي الا انها لا تقل عنها أهمية ، فديوانه ، وبصفة خاصة داليته في مدح محمد بن ناصر يثبت براعته في قرض الشعر ، وكتاب **القانون** (المطبوع بفاس عام 1310) ، المفعم بآرائه في مختلف العلوم الاسلامية، وضع من دون شك لمضاهاة **الاقنوم** ذلك الارجوزة العظيمة الشأن التي نظمها عبد الرحمان الفاسي للتعريف بمبادىء العلوم .

ولكن كتاب **المحاضرات** هو أفيد كتب أبي علي اليوسي ، فانه لم يسلك في تاليفه الطريقة المتبعة في تحرير الفهارس ، ولكن سجل فيه تقاييد وذكريات وملاحظات ،،، من غير أن يراعي في ذلك أدنى ترتيب موضوعي أو زمني ، فاننا لا نجد فيه الا معلومات يسيرة عن تسلسل أسانيده ، ولكنه يحتوي على فوائد جمة ، وجد نافعة عن المجتمع الثقافي المغربي في القرن السابع عشر الميلادي ، ذلك المجتمع الذي كانت تحتد فيه أحيانا خصومات طائفية أو تعصبية . وكان ، مع ذلك يفيض حيوية ونشاطا في المجالات الفكرية .

بدأ اليوسي كتاب **المحاضرات** سنة 1095 هـ (1684 م) وكان اذ ذاك بجنوب المغرب . ولذا خصصه لتسجيل مابقي عالقا بذاكرته من نكت طريفة وأمثال سائرة وقطع شعرية لها علاقة بنشاطاته الثقافية .

فهو ليس معجم تراجم ولكنه يتضمن معلومات دقيقة لا تعد ، عن علماء وصلحاء المغرب، ويمكننا أن نقول أنه من الكتب القليلة التي خصصها عالم مغربي للمعارف الدنيوية .

---

34) اليكم قائمتها : **زهر الاكم في الامثال والحكم** ، **نفائس الدرر على شرح المختصر** (للسنوسي) **منهج الخلاص من كلمة الاخلاص** ، **القول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل** ، او الفرق بين الذاتي والعرضي ، **المحاضرات** ، **الديوان** ، **القانون** في ابتداء العلوم **القصيدة الدالية** في مدح ابن ناصر وشرحها ، **الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع** (لم يكمله **حاشية تلخيص المفتاح** (لم يكمله) **الفهرست** وبعض الرسائل والاجوبة المؤلف) .

كتب التراجم المؤلفة

في القرن الثاني عشر الهجري (1689 ـ 1785 م)



محمد المهدي الفاسي (1)

هو أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفهري الفاسي، ولد بالقصر الكبير في آخر رجب 1033 ـ هـ (17 ماي 1625) (2) أخذ بمسقط رأسه عن أبيه وعن خاله محمد الفاسي (3) ثم انتقل الى فاس حيث أخذ عن عمه الشيخ عبد القادر الفاسي، وعن الشيخ حمدون المزوار ، ولم يلبث أن أصبح راسخ القدم في العلوم الاسلامية .

اشتهر بالورع والعبادة وبترفعه عن قبول الهدايا التي كان يوجهها له السلطان مولاي الرشيد . وكان من أعلام الطريقة الجزولية ، اذ تضلع في التصوف على يد الشيخ الصالح سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الاندلسي ، والشيخ الزاهد أبي الفضل قاسم بن قاسم الخصاصي الاندلسي الفاسي (4) . وتتلمذ عليه عدد وافر من أفراد الاسرة الفاسية.

كان يقضي جل أوقاته في العبادة والتدريس والتأليف توفي بفاس ليلة 9 شعبان 1109 هـ (20 فبراير 1698 م) ودفن بضريح جد أبيه يوسف الفاسي .

---

1) ترجم في **الصفوة** (ص 211) و **النشر** (ج 2 ص 160) و **السلوة** (ج 2 ص 136) (المؤلف)

2) في 19 رجب حسب الافراني ، وفي 27 حسب القادري (المؤلف)

3) عين قاضيا بمكناس ثم ولي الافتاء والخطابة في القرويين ، توفي سنة 1084 ص (1673 م) .

4) توفي في 19 رمضان 1083 هـ ، ترجم له في **الصفوة** (ص 171) و **النشر** (ج 2 ص 9) و **الروض العاطر الانفاس** (ص 64) الخ ،،، وخصص له القادري مؤلفا عنوانه **الزهر الباسم** (المؤلف)

خلف عدة مؤلفات أكثرها في التراجم ، وأسيرها **ممتع الاسماع في أخبار الجزولي والتباع ومن لهما من الاتباع** (المطبوع بفاس سنة 1305) وهو عبارة عن تاريخ الحركة الجزولية بالمغرب ، في شكل سلسلة من التراجم لاشهر رجالاتها وفي مقدمتهم ، بالطبع ، أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي وأبو فارس عبد العزيز التباع ، أجمل فيها أخبارهم وما كان لهم من شأن في ميادين الورع والاحسان .

وصل المهدي مجمل هذا المؤلف بكتابين آخرين صغيرين ، في نفس الموضوع : **الالماع ببعض من لم يذكر في ممتع الاسماع** و **تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية** الذي تكلم فيه عن أحمد زروق (5) مؤسس الطائفة الصوفية المتفرعة عن المدرسة الجزولية .

وخصص كتابين آخرين للتعريف بجد أبيه أبي المحاسن وهما **الجواهر الصافية من المحاسن اليوسفية** و **روضة المحاسن الزهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية** وكتيبا ثالثا للتعريف بشيخه محمد بن عبد الله معن ، وعنوانه **عوارف المنة في مناقب سيدي محمد بن عبد الله محيي السنة** (6) .

يعد أبو عبد الله محمد المهدي أحد أساطين الاسرة الفاسية ، نظرا لتنسكه وغزارة عمله ، ولاهمية الدور الذي قام به لصالح الطائفة الشاذلية في القرن السابع عشر الميلادي ، بحيث ان أحمد الوزير الغساني رأى ، فيما بعد ، أنه جدير بترجمة خاصة توضح فضائله وتخلد ذكره .

---

5) ترجم له ابن عسكر في **الدوحة** (ص 38) وابن القاضي في **الجذوة** (ص 64) وأحمد بابا في **نيل الابتهاج** (ص 71) ومحمد العربي الفاسي في **مرآة المحاسن** (ص 192) والعياشي في **الرحلة** (ج 1 ص 96 و ج 2 ص 378) وابن مريم في **البستان** (ص 45) والكتاني في **السلوة** (ج 3 ص 183) الخ (المؤلف)

6) ومن كتبه في الفنون الاخرى : ثلاثة شروح (كبير وصغير ومتوسط) لدلائل الخيرات **وداعي الطرب في اختصار أنساب العرب** و **العقد المنضد من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد** و **سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الاول والآخر** و **كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج** و **شفاء الغلة وانقشاع السحابة عن حكم الشكر او الملة وتنزيه الصحابة** و **السدرة الفراءفي وقف القراء** و **معونة الناسك بالضروري من المناسك** و **اللمعة الخطيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة** - (المؤلف)

القـــادريـــون

ظهررت بفاس ، خلال هذه الفترة ، أسرة أخرى ، كريمة المحتد ، أنجبت طائفة ذات شأن من العلماء والفقهـــاء والمعتنين بالتراجم ، وهـــي أسـرة « القادريين » التي لا زالت الى يومنا هذا كثير من أفرادها يعيشون بالحاضرة الادريسيـــة .

تنتمي هذه الاسرة الى الشرفاء الحسنيين ، حفدة الحسن بن الامـــام علي — (كرم الله وجهه) — ويتصل نسبها بالولي الكبير المولى عبد القادر الجيلالي (او الكيلاني) دفين بغداد .

هجر أحد اسلافهم ، وهو أبو عبد الله محمد ، غرناطة واستقر بفـــاس في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي (7) .



محمـد العربـي القادري

ولد أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب بن محمد الحسن القادري (8) بفاس في 6 رجب 1056 هـ (18 غشت 1646) وهناك أخذ عن الشيخ الحافظ عبد القادر الفاسي . والشيخ الصالح محمد المهدي الفاسي ، صاحب **ممتـــع اسمـــاع** والشيـــخ الشهيـــر أبي علي الحسن اليوسي ، وما عتم أن بـــدأ يتعاطى للعلوم الصوفية بين يدي عدة أشياخ ، منهم أحمد بن عبد الله معن، السابق الذكر ورفيقه الى الديار المقدسة ، وقاسم الخصاصي المشار اليه سالفا، وأبو العباس أحمد بن محمد بن ادريس الحسني القادري اليمني الصاعـــدي المتوفى بفاس سنة 1113 هـ (1701 م) .

---

7) المراجع : **الدر السني** (ص59) لعبد السلام القادري ، و **نتيجة التحقيـــق** (ص12 للدلائي ، وكتاب الاستاذ كوراستقـــرار **الشرفاء بالمغرب** ، ص 20 (المؤلف)

8) ترجم له في **الدر السنـــي** (ص 62) و **نتيجـة التحقيـق** (ص 20) و **النشـــــــر** (ج 2 ص 158) و **السلـــوة** (ج 2 ص 354) الخ (المؤلف)

توفي بفاس في آخر شهر محرم 1106 (20 شتنبر 1694) ودفن خارج باب الفتوح بجانب قبر أبي المحاسن الفاسي .

يمتاز محمد العربي القادري بكونه أول من اهتم بتاريخ الفرع المغربي من الشرفاء القادريين ، فخصص تأليفا صغيرا غير معنون للكلام عمن اشتهر منهم بفاس ، ولخص **تحفة أهل الصديقية** ، المذكورة آنفا ثم أضاف معلومات جديدة الى ما كتبه صاحبها ، محمد المهدي الفاسي عن أتباع الجزولي وأحمد زروق ، وأسمى ملخصه **الطرفة في اختصار التحفة** (9).

وسنرى ، بعد قليل ، أن عددا من العلماء المغاربة يذكرون أنه صاحب **معجم مشاهير مدينة فاس** المنسوب عادة الى ابن عيوش الشراط .

★ ★

عبد السلام القادري

وأما أخوه عبد السلام فانه اشتهر ، قبل كل شيء بدراسة أنساب الشرفاء المستقرين بفاس ، مهما كان الفرع الذي يربطهم بالشجرة النبوية ، وبالاضافة الى ذلك فانه خلف دراسات لا يستهان بها ، في السير والتراجم .

هو أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري (10) المولود بفاس في 10 رمضان 1058 هـ (20 شتنبر 1648) وفي 10 صفر 1058 حسب ما ورد في **العرف العاطر** ، وبها تضلع في العلوم ، مواظبا على الحضور في حلقات الشيخ عبد القادر الفاسي وابنيه محمد وعبد الرحمان ، واليوسي، وأبي محمد العربي الفشتالي (المتوفى بفاس سنة 1092 هـ) وقاضي فاس الجديد أبي الفضل أحمد بن الحاج المرداسي السلمي (ت : 1109) وتخصص في علم الانساب حتى أصبح لا يشق له فيه غبار ، ولا يضاهيه فيه ثان .

---

9) توجد نسخة منها بالخزانة العامة تحت رقم 407 (المؤلف)

10) ترجم له في **الدر السني** (ص 62) وفي **النشر** (ج 2 ص 162) و **السلوة** (ج 2 ص 348) و **الدرر البهية** للفضيلي (ج 2 ص 192) الخ (المؤلف)

زار عدة مرارت أضرحة الصالحين ، وكثيرا ما تردد على مدفن مولاي عبد السلام ابن مشيش للتبرك والاتعاظ .

وفي آخر عمره قصد المناطق السوسية للوقوف بمزارات الاولياء ، ثم عاد الى فاس فوافاه بها أجله في 13 ربيع الاول 1110 (19 شتنبر 1698 م) ودفن ، خارج باب الفتوح ، قرب مرقد أخيه محمد العربي .

خلف عدة مؤلفات يتعلق أهمها بالانساب وبتراجم الصالحين (11) مثل **القصد الاحمد في التعريف بسيدنا عبد الله أحمد** (أي شيخه معن الاندلسي)، و **نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد وولده سيدي أبي بكر** (أي مؤسس الزاوية الدلائية وابنه) .

يعد كتابه **الدر السني في بعض ما بفاس من أهل النسب الحسني** أهم ما ألف في أنساب شرفاء فاس، اذ هو أول دراسة نثرية شاملة للعثرة الشريفة المستوطنة بفاس ، وهي تعرف بالشرفاء والمنتسبين الى الحسن السبط وعبد الله الكامل من أبنائه ادريس ومحمد النفس الزكية وموسى الجون ، فالاولون هم الادارسة ومنهم الجوطيون (أي الطاهريون و الشبيهيون والعمرانيون والطالبيون الغالبيون والدباغيون وشرفاء عقبة ابن صلوان – (او الكتانيون –) والعلميون (الشفشاونيون والريسونيون والرحمانيون واللحيانيون) ، وأما نسل محمد النفس الزكية فهم شرفاء سجلماسة أو فيلالة أي فرع الدولة العلوية ، وأحفاد موسى الجون هم القادريون . هذا ولم يفت مؤلفنا أن يشير الى الشرفاء الحسينيين ، وهم قليلون ، لا يوجد منهم بالمغرب إلا الصقليون والعراقيون الذين وفدوا من الاندلس ، وهكذا ختم

---

11) اما مؤلفاته الاخرى فان آكثرها أراجيز تعليمية منها : 1) **نظم مختصر السنوسي** في المنطق - 2) **احكام المعروف من أحكام الظروف** و 3) **نظم فوائد الاعراب** و 4) **الرجز المحتوي على مسائل مختصر السنوسي** و 5) **ديوان** ،6) **مصابيح الاقتباس في مدائح ابي العباس** و 7) **شرح سورة الاخلاص** و 8) **معونة الاخوان بمعرفة أركان الايمان والاسلام والاحسان** و 9) **النسيم المعبق في توجيه الخلاف الوارد في المنطق** و 10 **ذخيرة الاكتساب فيمن يدخل الجنة بغير حساب** و 11 **أرجوزة تتميم الافراح بتنعيم الارواح** و 12 **تنبيه المعرضين عن آيات السماوات والارضين** و 13) **اداع الحقوق في ابدال الفروق** و 14) **وسيلة السالكين بالعارفين الكاملين** و 15) **منهج الرشاد في لامية الاسناد** و 16) **رجاء الاجابة في البدريين الصحابة** و 17) أرجوزة : **نيل القربات باهل العقبات** و 18) **اغاثة اللهفان** بأعلام أولي العرفان. (المؤلف).

بذكرهم الاسر الكريمة المحتد، القاطنة بالمغرب ، مبينا منزلة كل فرع بالنسبة للشرفاء الذين بيدهم أزمة الحكم .

ونلاحظ أنه لم يتعرض لذكر الشرفاء السعديين وأنه تكلم بايجاز ، ومن غير افراط في المدح ، عن تاريخ تربع العلويين على العرش المغربي .

اهتم القادري بنسب الطائفة الشريفة التي ينتمي اليها ، في تأليفه **العرف العاطر فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر** وخصص لفرع الشرفاء العراقيين مؤلفا آخر عنوانه **مطلع الاشراق في الاشراف الواردين من العراق** كما نظم قصيدة تحتوي على مائة وأربعين بيتا: **الاشراف على نسب الاقطاب الاربعة الاشراف** وهم : عبد القادر الجيلالي ، وعبد السلام بن مشيش ، وأبو الحسن الشاذلي و سليمان الجزولي ، وضمنها اسماء بعض حفدتهم .

ان الكتب المذكورة صغيرة الحجم ، والظاهر أن الكتاب الاخير الذي شرع في تأليفه للتعريف بمشاهير المغرب في القرن الحادي عشر الهجري واسماه **نزهة النادي وتحفة الحادي فيمن بالمغرب من أهل القرن الحادي** كان من المتوقع أن يكون أهم مؤلفاته لو لم تحل المنية دون اتمامه .

وسنرى أن حفيده محمد القادري هو الذي قام بتحقيق هذا المشروع عندما ألف **نشر المثاني** .

ابـن عيشـــون الشـــراط (11)

إننا لا نتوفر على معلومات كثيرة عن حياة أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن عيشون الملقب بالشراط ، والمولود سنة 1035 (1625 ــ 1626) .

مات أبوه في غزوة قام بها مجاهدو فاس بتحريض العياشي ضد الاسبان وقت احتلالهم للمهدية (المعمورة) في شهر رمضان 1040 (ابريل 1631 م).

قضى قسطا وافرا من حياته صحبة العباد والمجاذيب ، ومات بفاس في 7 صفر 1109 هـ (25 غشت 1697 م) .

انهمه كثير من أصحاب التراجم بأنه نسب الى نفسه كتاب **الـــروض العاطـــر الانفاس بأخبـــار الصالحيـــن من أهل فاس** ، وهو كما رأينا ، لابي عبد الله محمد العربي القادري ، مع أنه لم يؤلف الا تكميلا للروض عنوانه : **التنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنبيه** .

وردت الاشارة الىهذا الاتهام في **نشر المثانـــي** (ج 2 ص 159، سطر 12 وما بعده) ، ورأى الكتاني من الإمانة أن يذكره بشيء من التفصيل ضمـــن ترجمته لمحمد القادري فقال : « ... ومن تآليفه **الروض العاطـر الانفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس** المنسوب لابن عيشون . وذلك ان ابن عيشون طلـــب منه وضع تأليف مختصر في التعريف بصالحي فاس وأخبارهم ، قال صاحب الترجمة في **كناشـــه** المذكور : فأسعفته ثم أستأجرني على كتابته فجعلـــت أنشئه في كراريس من القالب الرباعي ، وكلما أعطيته كراسة بخطي ناولني أجرة كتبها حتى أتممته في نصف شهر ليس فيها تخليط ولا تشطيب ، ولا تقديم ولا تأخير كأنها كتبت من أصل واحد ، وعدد من ترجمت له فيه ثمانون وليا الا واحدا ، أولهم سيدي دارس بن اسماعيل ، وآخرهم سيدي مجبر ، ولم يبق عندي من التأليف المذكور شيء ، ثم عرض لي بعد ذلك بالقرب خروجي الى الحج ، وذلك سنة 1100 هـ (1689 م) فخرجت وبقيت غائبا سبعة عشر شهرا وأياما ، ثم قدمت ، فعرض لي أمر عظيم ألزمني الفراش مدة من أربع سنين ، شغلت فيه بنفسي ، ثم حصلت لي بعد ذلك استراحة ، فانهى الي

---

11) ترجم له في **النشر** (ج 2 ص 161) وفي **الالتقـــاط** (ص 48) وفي **السلـــوة** (ج 1 ص 8) .(المؤلف)

بعض الفقهاء أن ابن عيشون نسب التاليف لنفسه وذكر اسمه في خطبتـــه ، فعجبت كل العجب واستغربت كل الاستغراب ، ثم لقيته بعد قرأيته عنده بغير خطي في سفر من القالب الكبير ، فنظرت اليه فاذا هو منسوب اليه ، وزيـــد له فيه والده وشيخه سيدي حمدون الحافي وبعض أصحاب سيدي مسعود الشراط وبعض أهل الوقت من أهل فاس ، أربعة أو خمسة فتحير عقلي من ذلك والله ما علم ما فيه ولا فهمه فضلا عن أن يؤلفه ، فقلت له : ما هذا ؟ فخجل وخرس ولم يجد جوابا ، عفا الله عنه » .

انه لن الصعب أن نشك في صحة هذا الخبر أو نظن أنه من اختلاقات بعض أصحاب السير والتراجم .

وذكر في **السلـــوة** أن محمدا العربي القادري عزم على اخراج **الـــروض** في حلة جديدة الا أن المنية حالت دون تحقيقه لعزمه .

ليس لدينا ، نحن ، وسيلة لاثبات أو نفي هذا الاتهام ، إلا أننا نستغرب سكوت الافراني عن هذه « السرقة » ، وهو بالاضافة الى كونه يعتبر مـــن المعاصرين للرجلين ، قد سجل **الـــروض** من جملـــه مصادر كاتبة **صفـــوة من انتشـــر** وذكره منسوبا لابن عيشون (12) .

وسواء أكان **الـــروض** لمحمد بن العربي القادري أو لابن عيشون الشـــراط فانه غير كاف لاكساب صاحبه الشهرة والمجد .

ورد في النسخة التي بين أيدينا أنه فرغ منه في شهر رمضان 1099 هـ (يليوز 1688 م) وأنه ألفه تربة لله ، وفعلا فقد اقتصر فيه على تدوين مناقب تسعة وثمانين صالحا من صلحاء فاس ، مات أكثرهم خلال القرنين الميلاديين السادس عشر والسابع عشر ، وأقبروا خارج باب الفتوح أو قرب باب الجيسة ولا زالت تذكر منهم الآن بفاس فئة قليلة مثل المولى ادريس ، وأبي المحاسن الفاسي ، وأحمد الشاوي ، بيد أن الباقين أصبحوا نسيا منسيا .

ومهما يكن فاننا نجد في **السلـــوة** تراجم جميع من ذكروا بالروض ، ولذا يسوغ لنا أن نرى **السلـــوة** من المصادر التي لا غناء عنها للمهتم بتاريـــخ تراجم أعلام المغرب .

---

12) **الصفـــوة** (ص 228 ـ سطر 22) (المؤلف)

محمد الطيـــب الفاســـي (13)

هو أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد حفيد الشيخ عبد القادر الفاسي . ولد بفاس سنة 1064 أو 1068 هـ (1653 — 1658 م) ولم يكد يبلغ طور الشباب حتى اشتهر بصفاء الذهن وخالص النجابة ، اعتنى بتربيته وتثقيفه عدد من علماء البيت الفاسي ، منهم أبوه وجده وعماه محمـــد المهدي وعبد الرحمـــان .

وأخذ عن أبي سالم العياشي ، صاحب **الرحلـــة**، وأجازه الفقيه المصري ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الخرشي شارح **مختصر خليل** .

تصدر للتدريس فأفاد عددا لا يستهان به من الطلبة . وفي سنة 1103 هـ (1692 م) عينه السلطان مولاي اسماعيل ليكون ضمن السفارة التـــي أوفدها الى العاصمة الجزائرية لامضاء الهدنة مع الاتراك ، وذلك اثر انهزام الجيش المغربي « بالمشارع » على نهر ملوية ، وقد شارك في تلك السفارة مولاي عبد الملك بن مولاي اسماعيل ، والكاتب محمد الوزير الغساني ، وجماعة من أكابر موظفي البلاط المكناسي .

أشيع اثناء غياب أعضاء هذه السفارة أنهـــم اغتيلـوا ولكن سرعان مـا تأكدت سلامتهم (14) .

عاش محمد الطيب ، بعد ذلك ، عشر سنوات ومات . خلال حياة أبيــه ، في 19 ربيع الثاني 1113 هـ (19 شتنبر 1701 م) فدفن بجانب ضريح جـده عبد القادر ، في زاوية الفاسيين بحي القلقليين .

---

13) ترجم له في **النشر** (ج 2 ص 167) و**الالتقـــاط** (ص 50) و **السلـوة** (ج 1 ص 318)

14) ذكر ذلك القادري في **نشــر المثانـــي** ، والناصري في **الاستقصـــا** والاستاذ كور فـي كتابه عن **استقـرار الدول الشريفة بالمغرب** .

لم يترك مؤلفات كثيرة ، بل كان من أهم ما قام به وضع فهرس أبيه الذي أسماه **أسهل المقاصد لحلية المشايخ ورفع الاسانيد الواقعة في مرويات شيخنا الوالد** . وكان قد عزم أيضا على تأليف معجم تراجم لاعلام القرن الحادي عشر الهجري ، فشرع في انشائه تحت عنوان **مطمح النظر ، ومرسل العبر ، بذكرى بمن غبر ، من أهل القرن الحادي عشر** الا أنه وقف عند وفيات سنة 1013 هـ اذ أن آخر ترجمة تامة حررها فيه هي ترجمة سلفه أبي المحاسن التي أتبعها بترجمة سيدي أحمد الشاوي ، حسبما وجدناه مسجلا في **سلوة الانفاس** (ج 1 ص 279 السطر 22 و 23) .



محمد الوزير الغساني (15)

هو أحد أفراد السفارة التي وجهها للجزائر المولى اسماعيل برئاسة محمد الطيب الفاسي المذكور آنفا ، وكان قام ، قبل ذلك بشهور ، بسفارة سياسية لاسبانيا .

اسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني ، وينتمي إلى أسرة أندلسية عريقة هاجرت الى المغرب في نهاية العصر الوسيط ، وكان متضلعا في الادب وحريصا على اقتناء الكتب .

أسندت اليه الكتابة ، عدة سنوات ، بالبلاط المكناسي وانتقل ، بعد ذلك الى فاس ، حيث توفي ، عام 1119 هـ (1707/1708 م).

---

15) **النشر** (ج 1 ص 180) **السلوة** ج ، 288 ، **الدرر البهية** (ج 3 ص 330)

كلفه السلطان مولاي اسماعيل في آخر سنة 1101 هـ (1690 م) بالذهاب الى الإندلس للمفاوضة في افتكاك من بها من الاسرى المسلمين والعمل على استخراج ما قد يكون بقي بالمساجد الاندلسية القديمة من مؤلفات عربية .

وصل الى سبتة في 15 محرم 1102 (19 اكتوبر 1690 م) فعبر البوغاز نحو جبل طارق ، ثم توجه نحو مدريد فحط بها الرحال في 7 ربيع الثاني من نفس السنة (8 يناير 1691) استقبل من لدن الملك الاسباني شارل الثاني مرات ثم قفل عائدا الى وطنه ، وبه أخذ في تسجيل مذكرات سفارته في كتاب سماه **رحلة الوزير في افتكاك الاسير** (16).

عرفت هذه الرحلة بأوروبا منذ أن نشر ترجمة جزء منها ، سنة 1884 ، الاستاذ سوفار تحت عنوان **رحلة سفير مغربي الى اسبانيا** (1690 — 1691).

سجل الوزير في هذه الرحلة كل ما لقيه من حفاوة وتكريم في البلاط الاسباني ، ووصف فيها بدقة وايجاز ما شاهده من منشئات أو لاحظه من عادات وتقاليد ، انها تشتمل على معطيات طريفة عن المجتمع الاسباني الارستوقراطي وعن البلاط الاسباني في أواخر القرن السابع عشر الميلادي .

غير أننا لا نجد فيها معلومات كافية لا عن أسباب السفارة ، ولا عن الاتفاقات التي قد يكون أسند اليه العمل على ابرامها مع الحكومة الاسبانية في شأن الاسرى ، ونحن نأسف لهذا النقص نظرا لقلة ما لدينا من أخبار عما كان بين المغرب وبين الدول الاوروبية المتاخمة للبحر الابيض المتوسط من مساع ومفاوضات لتبادل الاسرى أو فكاكهم منذ القرون الوسطى الى الاحقاب المتأخرة .

---

16) أشار الى هذه الرحلة صاحب **دليل المؤرخ** (رقم 1481) وقال عنها : طبعت على الحروف في مدينة طنجة سنة 1940 (1359 هـ) مع ترجمتها الى اللغة الاسبانية .

وحلل عناصر هذه الرحلة الاستاذ هنري بيرس في كتاب باللغة الفرنسية عنوانه **اسبانيا كما رآها المسافرون المسلمون من 1610 الى 1930** (طبع بريس 1938)

ويجب هنا التمييز بين هذه الرحلة والرحلة المعنونة **بالاكسير في افتكاك الاسير** التي الفها محمد بن عثمان المكناسي وحققها الاستاذ محمد الفاسي (منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي — الرباط (1965) —)المغرب) .

أحمـــد الحلبـــي (17)

سراج الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي المنشأ والدار ، الفاسي الرحلـــة والقـــرار .

أخذ بالشرق عن العالم المصري الكبير محمد الرفاعي ثم قصد المغـــــــرب واستقر بفاس سنة 1080 هـ (1669 ـ 1670 م) .

كان شافعي المذهب ولذا لم يكن يشارك فيما يقع من مداولات فقهية بيـن رجالات المذهب المالكي الا أنه اشتهر بتبحره في الادب وبتضلعه في النظم وفن المقامات ، وحظي بالتقدير من لدن أعلام الفكر والثقافة ، عاش بفـاس الى أن وافاه أجله في جمادى الثانية 1120 هـ (18 غشت / 15 شتنبر 1708 م) فدفن خارج باب الفتوح .

ألف الحلبي مؤلفات ذات طابع أدبي وأخرى ءي الشمائل النبوية ، ويمكن عده من كتاب التراجم المغربية لانه دون مناقب إدريس الثاني في كتاب أسماه **الدر النفيس والنور الانيس في مناقب الامام ادريس بن ادريس** (18) .

ويعتبر هذا المؤلف المستقاة عناصره من مصادر قديمة **الاسطورة الذهبـة** الكاملة لمؤسس فاس ولوالده .

قد يكون الحلبي قام بتأليف **الدر النفيس** ليؤكد تعلقه بفاس ، ذلك الموطن الذي اختاره لنفسه ، وليتسنى له تمجيدها بذكر فضائل أشهر صلحائها .

ومن جهة أخرى يجوز لنا أن نرى في **الـــدر** مظهرا جديدا من مظاهــر التقديس الذي أخذ يضفى أكثر فأكثر على الشرفاء الادارسة ابتداء من القـرن

---

17) ترجم له الطممي في **الانيـس المطـرب** (ص 6 و 19) والقادري في **النشـر** (ج 2 ص 185) والكتاني في **السلـوة** (ج 2 ص 164) (المؤلف)

وترجم له أيضا العباس بن ابراهيم في **الاعـلام** ، (ج 2 ص 332 ط 1974) (المعرب)

18) طبع بفاس مرتين في 1300 و 1304

السابع عشر الميلادي كرد فعل ضد نفوذ السلطة المركزيـــة ، وشـارك حتـى السلاطين العلويون في تركيزه بمهارة وحذق (19) .

ومهما يكن فان الحلبي لما أخرج هذا المؤلف للناس أصبح يتمتع بعطـــف العدد الوافر من شرفاء العاصمة العلمية (20) .



ابـــن زاكـــور (21)

اشتهر أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابـن زاكور الفاسي بأسفاره وبحبه للثقافة الاصيلة .

ولد بفاس في منتصف القرن السابع عشر الميلادي وأقبل ، منذ حداثـــة سنه على طلب العلم ، فأخذ عن جماعة من أفاضل الشيوخ كعبـد القـــادر الفاسي، ومحمد المهدي الفاسي ، وعبد الســـلام القـــادري ، والحســـن اليوسي والقاضي أبي عبد الله محمد العربي بن أحمد بن بردلة . وأبي الفضل احمد ابن الحاج وأبي عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني .

ثم قصد مدينة تطوان حيث استفاد من العالم الجليل أبي الحسن علـــي بن محمد البركة ، ومدينة الجزائر فأخذ عن فقيهها أبي محمد بن أبي عثمـــان سعيد قدورة الذي أجازه في العشرة الاولى من رجب 1094 هـ (26 يونيـــه / 5 يوليوز 1683 م) .

---

19) لاحظ الاستاذ بال انه منذ بدأت تظهر في الانشاءات الادبية والكتابات المنقوشـــة العبارة الحضـــرة الادريسيـة ويقصد بها مدينة فاس (بال : الكتابات العربية بفاس : ص 11) (المؤلف)

20) والیكم قائمة مؤلفاته : 1) ديوان 2) مجموعة من المقامات عنوانها : الحلل السندسيـة في مدح الشمائل المحمدية 3) كشف اللثام عن عرائس نعم الله تعالى ونعم رسوله عليه السلام – 4) السيـــف الصقيـــل في الانتصـــار لصالـــح الرب الجليـــل – 5) فتح الفتاح على مرائي الارواح (وهو شرح لبعض قصائده) 6) معراج الوصـــول في الصـــلاة علـــى أكوم نبي ورسول 7) مناهل الصفاء في جمال ذات المصطفى 8) مناهـــل الشـــفا في رؤيـــات المصطفى 9) الروض البسام في رؤيا غيره عليه السلام – 10) السيف المسلول في قطـــع أوداج الفلوس المخذول – 11) الكنوز المختومة في السمحة المقسومة لهذه الامة المرحومة – 12) ريحـــان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرنادي من أسرار الغيوب – 13) الدر النفيس .

21) ترجم له في الانيـــس المطـــرب (ص 19) و النشـــر (ج 2 ص 186) و الالتقـــاط (ص 57) و السلـــوة (ج3 ص 179– الخ – (المؤلف)

اشتغل طول حياته بتأليف الكتب ، ومن ضمنها ديوان وشروح لجملة من المتون المنظومة والقصائد السائرة .

توفي بفاس في 20 محرم 1120 هـ (11 ابريل 1708 م) ودفن خارج باب الجيسة .

ومن بين مؤلفات ابن زاكور ، يجدر بنا أن نشير هنا الى كتابه **الاستشفاء من الالم بذكرى آثار صاحب العلم** الذي ذكر فيه أقارب مولاي عبد السلام ابن مشيش وأسماء القرى الجبلية التي يقطنها الشرفاء من أحفاده، وكذلك الى شبه فهرسة ترجم فيها لعلماء تطوان والجزائر الذين أجازوه وقد سماها : **نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء الاكابر والاعيان** (22) واخيرا الى كتيب تاريخي عنوانه : **المعرب المبين عما تضمنه الانيس المطرب وروضة النسرين** المشير عنوانه الى أنه يعتبر تكميلا لكتاب **ابن ابي زرع روض القرطاس** ولكتاب ابن الاحمر : **روضة النسرين** .

أتم ابن زاكور **المعرب** ، وهو يشتمل على نحو الثلاثين ورقة ، في آخر ربيع الاول سنة 1097 هـ (24 فبراير 1686 م) وقد بين في خطبته أن قصده هو اكمال ما ورد في **الكتابين المذكورين** من أخبار عن الدول المغربية القديمة ، وذلك بذكر وفيات الاعلام الذين عاشوا في الفترات التاريخية التي عني سابقاه بدراستها ، ولكنه سار في عمله هذا على منهج مؤرخي عصره فأورد ، بجانب تلك الوفيات ، معلومات وجيزة تتعلق بالدول الادريسية والمغراوية والمرابطية والموحدية والمرينية ، منهيا ذلك بالاشارة الى موت محمد ابن محمد ابن عرفة التونسي . وهذا لا يخلو اذن من فوائد تخص التراجم والسير ولذا نراه جديرا بالتحقيق والنشر (23).

---

22) طبع بالجزائر سنة 1319 (المؤلف)

23) ذكر الاستاذ نيجل NEIGEL ، في مجلة العالم الاسلامي (ج 24 ص 296) «انه رأى بخزانة زاوية ابي الجعد مخطوطا عنوانه : **المطرب في اخبار سلاطين المغرب** الفه ، حوالي 1200 هـ محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي » ومن المرجح أن يكون ذلك المخطوط نسخة من **المعرب المبين** (المؤلف).

الولالـــي (24)

كثيرا ما يذكر المترجمون المغاربة الذين عاشوا في القرن الثامن عشــر الميلادي ، العلامة المكناسي النبيه ، أبا العبـــاس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي ، من بين أصحاب المصادر التي يستقون منها معلوماتهم .

تصدر هذا الشيخ للتدريس بجامع قصبة الحضرة الاسماعيلية وتوفـي بمكناس في 2 رجب 1128 هـ (22 يونيه 1716 م) .

تفقه وانتفع بصحبة العارفين الشيخ أبي العباس أحمد اليمني والشيـخ أبي العباس أحمد بن عبد الله معن اللذين سبق ذكرهما ، واستفاد ، بصفـــة خاصة ، من الولي العارف سيدي محمد بن عبد الله السوسي المتوفى بمكة سنة 1079 هـ (1668 / 1669 م) .

ألف مجموعة كتب (25) منها قائمة تراجم لاكابر رجال التصوف الذيــن لقيهم وعنوانها **مباحث الانوار في أخبار بعض الاخيار** والظاهر أنهامفقودة(×)



أحمـــد بـن نـاصــــر (26)

هو أحمد بن محمد بن محمد ابن ناصر ، ذكرناه من بين أصحاب التراجم وان لوحظ أن عمله في هذا المجال لم يكن ذا شأن بالنسبة للشهرة الواسعة التـي حظي بها بصفته المنظم الحقيقي ، بالجنوب المغربي ، للطريقـــة الناصريـــة

---

24) ترجم له في **النشــر** (ج ص 194) **والالتقـــاط** (ص 59) ، والولالي نسبة الى بنـي ولال من بني عطاء ، قبيلة باقصى جبال ملوية (المؤلف)
وترجم له ايضا في **الاتحـــاف** (ج 1 ص 240) (المعرب)

25) وهي : 1) شرح **مختصــر السنوسي في المنطـق** ـ 2) **شرح السلم** ، تاليف الاخضري 3) **شرح الجمل للخونجي** ـ 4) **شرح رسالة الجرجاني** ـ 5) شرح **خطبة مطول التفتزانـي** فـــي البلاغة ـ 6) شرح **تلخيص المفتـاج** للقزويني ـ 7) **شرح مقاصد الطالبين في اصـــول الديـــن** للتفتزاني 8) **شرح لامية الافعــال لابن مالك** ـ 9) **حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع 10) شرح على روضة الازهار للجادري في التوقيت** (المؤلف)

(×) ذكر في **دليـل المؤرخ** (رقم 856) « ،، الفه في شيخه ابي عبد الله محمد بن عبـــد الله السوسي ، وذكر صاحب **الاعـــلام** انه رتبه على ثلاثة مباحث : الاول في مناقب والده وجده، والثاني فيمن عاصره او كاتبه والخاتمة في ذكر المشاهير من اهل البيت القاطنين بالمغـــرب الاقصى (المعرب)

26) ترجم له في **الصفـــوة** (ص 221) و **النشـــــر** (ج 2 ص 196) و **الالتقـــاط** ص 60) و **السلـــوة** (ج 1 ص 264) و **طلقـــة المشتري في النسب الجعفري** (ج 2 ص 17) (المؤلف)
وترجم في **الاعـــــلام** (ج 2 ص 357) (المطبعة الملكية) (المعرب).

المتفرعة عن تعاليم الامام أبي الحسن الشاذلي ، وبصفته كذلك مؤلفا لرحلة حجازية لزيارة الاراضي المقدسة الاسلامية .

ولد بتمكوت ، مركز الزاوية الناصرية الام ، في 18 رمضان 1057 هـ (17 اكتوبر 1647 م) . تخرج على والده الشيخ سيدي محمد الذي استخلفه بعده رئيسا للزاوية المذكورة ، ثم أخذ عن أبي سالم العياشي وعن جماعة من أكابر علماء الجنوب المغربي .

حج مع والده ، وسنه يومئذ تسع عشرة سنة ، ثم حج بعد ذلك ثلاث مرات . فأتاحت تلك الرحلات الى الحرمين الشريفين انشاء بعض الفروع للزاوية الناصرية ، والاجتماع ، في القاهرة والمدينة المنورة ، بشيوخ أجازوه فيما تلقى عنهم من علوم .

قدم على السلطان مولاي اسماعيل بداره في مكناسة الزيتون رغم أنه كان بينه وبين ذلك السلطان تنافر سببه عدم ذكره له ، أول الامر ، في خطبته .

أخذ عنه بتمكروت طائفة من الاتباع ، وبها توفي في 19 ربيع الاول 1129 (3 مارس 1717 م) .

جمعت رحلته وصف ما شاهده وسمعه أثناء الحجة التي قام بها سنة 1121 هـ (1709 / 1710 م) ، وكان قد استعد لها قبل ذلك بعامين ، الا أن السلطان لم يأذن لاحد بالسفر عهدئذ .

وهذه الرحلة شبيهة برحلة العياشي فهي تشتمل مثلها على معلومات تتعلق بالمسالك والمنازل، وذكر فيها عدد وافر من علماء مصر والجزيرة العربية اشتهروا في مستهل القرن الثامن عشر الميلادي ، الا أنها أقل تداولا منها في الاوساط الثقافية المغربية .

وقد طبعت في فاس (سنة 1320) في جزئين، وترجم قسما منها الاستاذ باربروجا اثر قسم من رحلة العياشي ونشر الجميع بمجلة جزائرية

أحمـــد بـن عطيـة (27)

هو الولي الصالح أبو العباس أحمد بن محمد الحارثي بن محمد فتحا بـن عطية الزناتي الاندلسي السلاوي الفاسي .

تخرج على جده محمد بن محمد بن عطية المتوفى سنـــة 1052 هـ (1642 / 1643) وعن أبي الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن يعقوب بن صالـح بن علي الدرعي التادلي (ت : ربيع الاول 1091 ـ ابريل 1680) .

دفيــــن زاويته في جبل تمجوط بتادلا .

ألف كتابين ، أسلوبهما مهلهل ، أحدهما صغير الحجم عنوانه **التفكـــر والاعتبار في تاريـخ المصطفى وبعض أصحابه الاخيار ومن اتبعهم من العلماء السادا ت الصوفية الابرار** ، وثانيهما أكبر منه وعنوانه : **الانـوار في ذكـر طريقة السادات الصوفية الاخيـار** .

توفي ، حسب ما ورد في **السلوة** ، في 18 ربيع الثاني 1129 هـ (1 ابريل 1717 م) في السنة التي توفي فيها أحمد ابن ناصر .



العمـيـــري (28)

في سنة 1131 هـ (1718 ـ 1719 م) توفي بمكناس عالم تادلي الاصـل وهو أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري الذي كان تلميذا لليوسي .

ولاه السلطان مولاي اسماعيل ، الافتاء والتدريس بمسجد القصـر ، ثـم ولاه القضاء بعاصمته .

لم يخلف الا فهرســـــة أثبت فيها نصوص بعض الاجازات ، وأورد فيها كذلك بعض المعلومات التاريخية، استفاد منها الاخباريون اللاحقون الذين تكلموا عن عهد السلطان العلوي العظيم .

---

27) ترجم له في **الالتقـــاط** ص 43 و **السلـــوة** (ج 1 ص 371) (المؤلف)

28) ترجم في **الانيس المطـــرب** (ص 19) و **النشـــر** (ج 2 ص 297) و **الدرر** (ص 60)

أحمــد القــادري (29)

هو أبو العباس ، وأبو الفضل احمد بن عبد القادر بن علي (علال) بن أحمد بن محمد القادري المنتمي الى الشرفاء القادريين القاطنين بفاس .

ولد بالحضرة الادريسية سنة 1050 هـ (1640 / 1641 م) وانكـــب منذ شبابه على طلب العلم وعلى العبادة والتبتل ، وحمل السلاح عـدة مـرات قصد الجهاد في سبيل الله .

وفي سنة 1083 هـ (1672/1673 م) غادر المغرب ليحج ، ويبقى بالقاهرة حوالي سبع سنوات . حضر اثناءها لدروس العالمين الجليليـــن عبد الباقـي الزقاني ومحمد الخرشي شارحي مختصر خليل .

وفي القاهرة أيضا تضلع في الطريقة القادرية عن حفدة الشيخ عبد القادر الجيلالي الساكنين بالعاصمة المصرية .

عاد الى فاس إلا أنه لم يلبث أن قصد من جديد الاراضي المقدسة ، عـــام 1100 هـ (1688 / 1689 م) رفقة شيخه أبي العباس أحمد بن عبد الله معـــن السابق الذكر ، ثم قفل راجعا الى مسقط رأسه حيث وافاه أجله في 19 جمادى الاولى 1133 هـ (18 مارس 1721 م) فدفن خارج باب الفتوح .

ترك رحلة ، سجل فيها ، بصفة خاصة ، مناقب رفيقه الصالح ، في حجته الثانية وأسماها : نسمـــات الآس في حجة سيدنا أبي العباس (30).

---

29) ترجم له في النشـــــر (ج 2 ص 201) وفي السلـــوة (ج 2 ص 253)

30) اعتنى كذلك بتلخيص تلك الرحلة ، وخلف تآليف صغيرة منها المنثور والمنظوم ، وقصيدة في ذكر الصحابة الذين هاجروا الى الحبشة (المؤلف)

محمد بن عبد الرحمان الفاسي (31)

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ، العالم الجليل ، وارث سر أبيه وجده .

ولد بفاس في 19 جمادى الثانية 1058 هـ (11 يليوزر 1648 م) ، تبحر في العلوم الاسلامية عن أبيه وعمه محمد .

أجازه بالمغرب أبو سالم العياشي ، وبالمشرق ، أثناء رحلته للحرمين ، العلماء الاعلام : الخرشي والزرقاني والسهرزوري ، كان فريد عصره بالحضرة الادريسية ، وقد أخذ عنه عدد وافر من الطلبة ، أحدهم الافراني المؤرخ الشهير .

أصيب ، في آخر عمره ، بالشلل ، وكانت وفاته في منتصف سنة 1134 هـ (1722 م) (32) .

دفن بزاوية جده ، بحومة القلقيين ، ألف فهرسة سماها : **المنح البادية في الاسانيد العالية** واورد فيها معلومات غزيرة تتعلق باشياخه وأقاربه وقد استفاد منها الإفراني كثيرا فيما أورده في **النزهة والصفوة** .



العلمي (33)

هو أبو عبد الله محمد بن الطيب الشريف العلمي ، نسبة الى الولي الصالح عبد السلام ابن مشيش ، دفين جبل العلم ،

كان أحد اكابر الادباء الذين اشتهروا في عهد السلطان المولى اسماعيل .

---

31) ترجم في **الصفوة** (ص 226) و **النشر** (ج 2 ص 252) و **السلوة** (ج 1 ص 319)

32) في **الصفوة** : (مات في منتصف شعبان) عند القادري (في 5 جمادى الثانية وفي **السلوة** (في 15 من نفس الشهر) (المؤلف)

33) ترجمته في **الصفوة** (ص 226) وفي **النشر** (ص 202) و **الالتقاط** (ص 62) و **السلوة** ج1 ص 319) وذكره باسي في **الابحاث البيلوغرافية** (ص 18 رقم 36) (المؤلف)

ولد بفاس وأخذ ، بها ، عن عدد من مشاهير الشيوخ ذكرهم في **الانيس المطرب** ، ومن جملتهم أبو الفضل مسعود جموع الفاسي الدار ، السجلماسي المولد . السلاوي المدفن ، ومحمد القسنطيني ، وعبد السلام القادري ، ومحمد ابن عبد القادر الفاسي الخ ،، وأخذ كذلك عن علماء آخرين في جبل زرهون ، بزاوية المولى ادريس ، وفي مكناس وتطوان .

قضى قسطا من حياته بفاس ، وبمكناس حيث اشتغل بالبلاط السلطاني ثم قصد الشرق لاداء الفريضة الا انه توفي بالقاهرة عام 1134أو 1135 هـ (1721 / أو 1723 م) .

اشتهر محمد العلمي بقرض الشعر ونظم القصائد في مختلف المواضيع ، الدينية منها والادبية الصرفة .

خلف كتابا ضمنه جميع منظوماته، وهو **الانيس المطرب في من لقيته من أدباء المغرب** (34) سجل فيه الاحاديث الادبية التي راجت بينه وبين اثنى عشر أديبا من ابناء عصره وهم : الحلبي ، وابن زاكور ، ومسعود المريني ، والكاتبان الحاج محمد بن العربي الشرقي ، والمهدي الغزال ، والوزير أبو حفص عمر الحراق الحسني الشفشاوني الاصل الذي أفاده بقصيدة وصف فيها بلدته ، والكاتب أحمد دادوش ، ومحمد البوعصامي الذي علمه الموسيقى ، وعبد القادرين شقرون المكناسي ، والكاتب محمدبن سليمان ، والحاج على مندوش ، ومحمد بن يعقوب .

استغل العلمي ذلك الإطار الذي خطه لمؤلفه ليجعل منه ، لا ديوان أشعار فحسب ، بل كشكول نكت ونوادر واستطرادات في الفنون الادبية والعلمية ، كقصة البرامكة ، ونداكات فلكية وطبية ، وفي الضرب على العود .

يذكر هنا المؤلف بكتاب ابن خاقان **قلائد العقيان** بل بكتاب ابن القاضي **المنتقى المقصور** نعم ، فاذا كان ابن القاضي عرف برجال الادب في عصر أحمد المنصور فان العلمي أفادنا بمعلومات جمة عن الفنون الادبية بالمغرب في القرن الثامن عشر الميلادي ، كما بين لنا ، على وجه التقريب ، أنه لم يكن يهتم اذ ذاك ،بتلك الفنون الا جماعة من الموظفين بالبلاط المكناسي .

---

34)طبع بفاس سنة 1315 هـ

المعـــدانـــي (35)

في أواخر القرن السابع عشر الميلادي ، اشتهر بناحية تادلا أسرة مرابطية وهي الاسرة الشرقاوية ، مؤسسة زاوية أبي الجعد .

لما تحقق السلطان مولاي اسماعيل أن تلك الاسرة لا تطمع في أي نفـــوذ دنيوي ، أحاطها بالاحترام حتى أصبح ضريح جدهم من أعظم المزارات .

سبق أن أشرنا الى أن زاويتهم كانت مركزا دينيا وموئلا لاهل العلـــم والمعرفة أمثال الافراني .

كان أبو علي الحسن بن رحال المعدنـــي التادلي أول من اعتنى بتدويـن تاريخها وبذكر مناقب أعلامها ، وهو فقيه جليل مالكي المذهب ، تخرج عـــن اليوسي وعن عبد السلام القادري ، وكانت له حلقة بالمدرسة البوعنانية .

ولى القضاء بفاس القديمة ، ثم عينه المولى اسماعيل للقضاء بمكناس ، وهو الذي أم بالناس صلاة الجنازة التي أقيمت يوم وفاة هذا السلطان العظيم سنة 1139 هـ (1727 م) . ولبى داعي الله ، بنفس المدينة ، في السنـــة التالية (3 رجب 1140 هـ (14 فبراير 1728 م) .

ألف كتابا وسمه : **الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد اللـه محمد الصالـــح** ، وعرف فيه بأحد شيوخ زاوية أبي الجعد ، محمد الصالـــح ابن محمد المعطي الشرقي، وهو عين الشيخ الذي كان آوى اليه المؤرخ الافرانـــي أيام محنته ، كما بينا ذلك في ترجمته .

وللمعداني مؤلفات أخرى الا أنها تتعلق بالمسائل الفقهية وهي : 1) **حاشية ضافية على مختصر خليل** 2) **حاشية على شرح ميارة لتحفة ابن عاصم** ، و 3) **الارفاق في مسائل الاستحقاق** .

---

35) ترجم القادري في **النشـــر** (ج 2 ص 214) وفي **الالتقـــاط** (ص 2/65) وباسي في **الابحاث البيبلوغرافية** (ص 34 رقم 91)

الدلائيـــــون

ليس من شأننا أن نأتي هنا بتاريخ الزاوية الدلائية ، ولكن لا بأس أن نذكر أن أبا بكر بن محمد الدلائي هو الذي أسسها ، وذلك وسط المغرب ، في مكان بوادي نهر أم الربيع ، لم يتأت الى الآن تحديد موقعه بالضبط (36) وقد أصبحت مقصد الــزوار في حياتـــه ، وذات شهـــرة واسعـــة في حياة ابنه محمد ، واستغل حفيده ، محمد الحاج ، ما كان لاسرته بالمغرب من سمعة طيبة ومن نفوذ روحي مكين ، لاثبات أركان دولة جديدة تخلـــف الدولة السعدية التي كانت وقتئذ ، مفككة الأوصال ، مشرفة على الانهيـــار . وكان محمد الحاج مسموع الكلمة ، مطاع الامر في بعض مناطق البلاد الى أن تغلب عليه مولاي الرشيد ، سنة 1079 هـ (1668 م) فكسر شوكته وبدد آماله .

لقد عفا السلطان العلوي عن الدلائيين الا أنه خرب زاويتهم، وقوض ركنهم ونفى زعماءهم إلى تلمسان ، ثم أذن لهم بالرجوع الى فاس حيث استقـروا وطاب لهم المقام وحظي العلماء منهم بالتقدير والتكريم من لدن رجال الفكـر ، لانهم ، هم أنفسهم ، كانوا ، أيام ازدهار زاوينهم ، يستقبلون من يزورهم من الادباء بحفاوة ما عليها من مزيد .

وهكذا ما كانت تمر سنوات على عودتهم الى الحضرة الإدريسية حتـــى أصبحوا يضاهون البيت الفاسي في الشهرة بالعلم والعرفان ، واحتلوا الصدارة من الارستوقراطية الدينية والفكرية في فاس. ولما رأى الحوات ، في القـــرن التاسع عشر الميلادي ، أنهم جديرون بأن يخصص لاعلامهم كتاب تفصل فيـه فضائلهم ومزاياهم ، لاشك أنه بني ذلك على ما لهم من مكانة في الاوســـاط العلمية المغربية ، لا على ما كان لجدودهم من فوز زائل في المجالات السياسية.

حظي دلائيان ، في العهد العلوي ، بشهرة واسعة ، وهما محمد المسناوي، ومحمد بن عبدالرحمان ،وحيث ان كلا منهما ألف كتابا للتعريف بطائفة مـــن شرفاء المغرب لابد من اعطاء معلومات عن حياتهما .

---

36) تمكن الاستاذ محمد حجي من ازاحة الستار عن كثير من الحقائق المتعلقة بهـذا الموضوع ، وذلك في كتابة الزاوية الدلائية (ط الرباط 1964) (المعرب)

محمـد المسنـاوي الدلائــي

ولد أبو عبد الله محمد المسناوي بن أحمد بن محمد المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي(37) عام 1072 هـ (1661 ـ 1662م) بالزاوية للدلائية . ولما هدمت ، بعد ذلك بخمس سنوات ، ذهب به أبوه الى فاس ، فأقبل ، في سن مبكرة على طلب العلم ، فأخذ عن أشهر مشايخ زمانه ، عبد القادر الفاسي وابنه محمد ، والعربي القادري ، وأخيه عبد السلام ، ومحمد القسنطيني ، ومحمد ابن الحاج ، والحسن اليوسي وعبد الملك التجموعتي الخ ،، حتى فاق أبنـاء جيله وتصدر للتدريس فتزاحم حوله الطلبة ، حتى ان أكثر كتاب التراجم ، في القرن الثامن عشر ، يعدون من تلامذته .

ولى الخطابة والامامة مدة بالمدرسة البوعنانية ثم بحرم المولى ادريس كا نمن ذوي الخير والإصلاح ، ولما أحس بدنو أجله نظم قصيدة من أربعين بيتا ، تضرع فيها الى الله سائلا أياه تعالى الرحمة والمغفرة . ولما توفي في 16 شوال 1136 هـ (8 يليوز 1724 م) كان موته مأتما للمدينة كلها وقد شيع سكانها جنازته في محفل رهيب ، وأوروا جثمانه في قبر كان حفره بنفسه ، قبل ذلك بثلاث سنوات في قبة سيدي محمد العايشي (38) بروضة العلمـاء خارج باب الفتوح .

ألف محمد المسناوي عدة كتب منها : 1) **جهد المقل القاصر في نصـرة الشيخ عبد القدر** و 2) **القول الكاشف عن الاستنابة في الوظائف** و 3) **نصـرة القبض في الرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض** و 4) **صرف الهمة الى تحقيق معنى الذمة** ومؤلفات أخرى صغيرة أحدها في نسل عبد القادر الجيلالي عنوانه **نتيجة التحقيـق في بعـض أهـل الشرف الوثيق** (39) أورد فيه ، بعد ترجمة الشيخ عبد القادر ، معلومات دقيقة عن الشرفاء القادريين الذين كانوا بمصر وبمدينة فاس .

أخبرنا أنه ألف كتاب **نتيجـة التحقيـق** في جمادى الاولى 1127 هـ (ماي 1715 م) بايعاز الطاهر ، أحد ابناء عبد السلام القادري الذي كان يود أن يأخذه معه إلى الحرم المكي ليثبت ، عند الاقتضاء ، بنسبه الشريف .

ومن تآليف المسناوي أيضا التعريـف بالشيخ أبي العباس أحمد اليمني الذي سبق أن أشرنا اليه في الفصل الخاص بالقادريين .

---

37) انظر ترجمته في **الزاوية الدلائيـي** (ص 243) (المعرب)

38) ترجم له في **ممتـع الاسمـاع** (ص 119) و **الروض العاطر الانفاس** ورقي 2/80 و **السلـوة** (ج 3 ص 43) (المؤلف)

39) طبع بفاس سنة 1309 وترجم منه القسم الخاص بالشيخ عبد القادر الى الانجليزية ونشر سنة 1903 في

محمد بن عبد الرحمان الدلائي

وممن أخذ عن محمد المسناوي بفاس ، قريبه أبو عبد الله محمد بن محمد ابن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر الدلائي الذي تتلمذ كذلك للشيخين المذكورين آنفا الحسن بن رحال المعداني وعبد السلام بن الطيب القادري ، وأهلته فصاحته وجهورة صوته للقيام بالامامة والخطابة بالمدرسة البوعنانية وبجامع الشرفاء .

وفي عام 1141 هـ (1729 م) عزم على الحج والاقامة بالشرق الى آخر أيامه ، فباع جميع ممتلكاته وغادر وطنه صحبة الركب المغربي المتوجه نحو الحجاز ، وعندما أدى مناسك الفريضة بمكة قصد المدينة الا أنه عثر به جواده ففاضت روحه ، وكان مدفنه قرب وادي فاطمة .

خلف محمد ابن عبد الرحمان الدلائي مؤلفات منها **الزهر الندى في الخلق المحمدي** و **فخر الثرى بسيد الورى** و **شرح الشفاء** و **قصيدة** في مناسك الحج الخ. ونظم قصيدة للتعريف بشرفاء المغرب سماها **درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان** ، وحرص على أن يجعل عدد أبياتها مماثلا لعدد الصحابة الذين شهدوا وقعة بدر وقد شرحه فيما بعد محمد بن أحمد بن محمد القاسي (40) .



أحمد الوزير الغساني

أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني هو أخو سفير السلطان المولى اسماعيل الى اسبانيا محمد الوزير السالف الترجمة .

ولد بفاس في مهل رمضان 1063 هـ (26 يليوز 1653 م) وكان من الملازمين للشيخ أحمد بن عبد الله معن .

---

40) في منتصف القرن الثالث عشر الهجري صدر كتيب اسمه **بغية الرائي في التعريف بالشيخ ابي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي الدلائي** بقلم ابن صاحب هذا الشرح ، وذلك سنة 1264 (1848) حسب ما في **سلوة الانفاس** (ج 3 ص 48) (المؤلف)

ولي التوثيق والامامة بضريح محمد بن عبد الله معن ، ودفن بجانبه عندما اخترمته المنية في 2 شهر ربيع الاول 1146 هـ (13 غشت 1733 م).

خلف تراثا أدبيا لا يستهان به من جملته 1) ترجمة محمد المهدي الفاسي تحت عنوان : **جلاء القلب الفاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي** و 2) **منظومة** (مشفوعة بشرح) في مدح احمد بن عبد الله و 3) أخرى من البحر السريع ذكر فيها مناقب شيوخ العالم المذكور و4) ثالثة ربحها أيضا في فضائله أسماها **القياس في محاسن سيدنا أبي العباس** و 5) تقييد تكلم فيه عن العالمين عبد السلام القادري ومحمد المسناوي الدلائي وعن مؤلفاتهما (41) .



المدرع (42)

هو أبو عبد الله محمد المدرع الاندلسي الذي نظم في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ملخصا لكتاب في التراجم منسوب لابن عيشون الشراط .

عاش بفاس وكان معروفا لدى سكانها بالعلم والصلاح ،تتلمذ للشيخ الصوفي محمد الدريج الاندلسي التطواني المتوفى بفاس عام 1126 هـ (1714م) وحضر دروس العلامة أبي محمد الحاج عبد السلام جسوس ، والشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني ، والامام أبي العباس الحاج أحمد بن علي بن عبد الرحمان الجرندي الاندلسي ، والعالم الصالح محمد المسناوي الدلائي .

قام بأداء الفريضة وجاور بالحرم النبوي مدة ثم عاد الى مسقط رأسه حيث توفي عام 1147 هـ (1734 / 1735 م) .

له منظومة في مشاهير مدينة فاس تشتمل على نحو الخمسمائة بيت ، أوجز خصائص كل منهم في ثلاثة أو أربعة أبيات، وضمنها ، في غالب الاحيان جملة حسابية تمثل قيمتها الابجدية، تاريخ وفاته بصيغة شعرية ، وكانت هذه المنظومة من أهم المصادر التي اعتمد عليها الكتاني عند وضعه كتابه **سلوة الانفس** .

---

41) ترجم له في **النشر** (ج 3 ص 236) و **والالتقاط** (ورقة 71/2 و **السلوة** (ج 2 ص 299) و **للدرر البهية** للفضيلي (ج 2 ص 360)

42) **النشر** (ج 2 ص 237) **الالتقاط** (ورقة 71/2 **السلوة** (ج 2 ص 35) **الابحاث البيبلوغرافية** (ص 33 رقم 88)

أحمـــد بــن الخيـــاط (43)

في مستهل القرن التاسع الهجري استقرت بفاس أسرة هاجرت اليها من ناحية دكالة فعرفت منذئذ باسرة ابن ابراهيم الدكالي ، ولم تلبث أن أنجبت عددا من العلماء الافاضل ومن الموظفين السامين ، بحيث أصبحت بعد ثلاثة قرون من نزولها بفاس، جديرة بأن يخصص لها أحد ابنائها ، وهو أبو العباس أحمد بن محمد الخياط بن قاسم بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن محمـد ابن محمد بن ابراهيم الدكالي ، كتابا لتبيين أصلها ولذكر مشاهيرها ، أسماه **سلسلة الذهـب المنقـود في ذكر الاعلام من الاسلاف والجدود** .

وكان من جملة أساتذة صاحب هذه « السلسلة » القاضي أبو عبد اللــه محمد بن محمد بن أحمد بردلة ، وبوجه خاص أبو عبد الله محمد المسنـــاوي الدلائي الذي كان ينيبه عنه في الامامة بمولاي إدريس .

رحل الى الشرق وسكن مدة في القاهرة (حوالي سنة 1130 هـ (1718 م) توفي ، بعد ذلك بسنوات، وقام بإكمال « السلسلة » أخوه الصغير محمد الملقب « ابن غازي » نظرا لكونه ابن بنت العالم الكبير المسمى بهذا الاسم (44) .



اليفرانــي و « صفـوتـه »

تقدم لنا أن رأينا، بمناسبة ذكرنا للاخباريين ، ان نزهــة الحــادي كافية لتحل مؤلفها اليفراني محلا مرموقا من بين رجال الادب المغاربة . ويجمل بنا هنا ان نقول ان كتابه صفوة من انتشـــر يتسم بنفس الجدية والاستقامـة والتثبت التي يتسم بها ذلك الكتاب المخصص للدولة السعدية ويؤكد، من جهة أخرى ، ما يحظى به ، في المجال التاريخي من تقدير واعتبار .

---

43) ترجم الكتاني في السلــوة (ج 2 ص 79) وروني باسي في الابحاث البيبلوغرافيــة (ص 43 رقم 122)

44) توفي في 23 جمادى الاولى 1184 (14 شتنبر 1770)، ذكره الكتاني في السلـــوة (ج 2 ص 78)

لا زلنا نذكر أن هذا المعجم كان آخر ما ألف اليفراني من كتب وأنه فرغ منه ، حسب ما قاله الحوات ، سنة 1137 هـ (1724 / 172 م) ووسمه **بصفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر** جاعلا منه سجلا لاخبار الصلحاء المغاربة الذين عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري ، **وتكملة للمؤلف الذي** خصصه ابن عسكر لذكر مشاهير صلحاء القرن العاشر ، الا أنه سرعان ما يتضح لمن **يتصفح الصفوة** أن اليفراني قد تجاوز فيها حدود هذا الاطار الزمني الذي يوحي به عنوانها ، كما كان قد فعل في كتابه **نزهة الحادي** .

فان كانت **الدوحة** لا تشتمل الا على أخبار طائفة من الصلحاء ، فان **الصفوة** تحتوي على تراجم عدد مهم من العلماء المغاربة وغير المغاربة ، فهي معجم أعلام مسلمين أكثر منها كتاب مناقب .

وليست هذه هي كل النقاط التي تمتاز بها **الصفوة عن الدوحة** ، فان المؤرخ اليفراني سلك في معجمه مسلكا انشائيا جديدا . ضاربا فيه صفحا عن الخرافات والمعلومات غير المضبوطة مثل التي في **الدوحة** متوخيا الاخبار المستقاة من المصادر الموثوق بها والتواريخ غير المشكوك في صحتها ومستشهدا بأشعار تثبت ما عرف به من طول الباع في شرح القصائد الادبية .

لاشك أن اليفراني كان يعلم الكثير عن مشاهير مراكش ، مسقط رأسه ، لانه أفادنا بتراجم لا ذكر لها في مصادر أخرى ، ولاشك أيضا أنه كان له دراية واسعة بحياة مشاهير الحضرة الادريسية .

والافيد هو أنه لم يغفل عن التعريف بالصلحاء والادباء من أهل الارياف ، سواء أكانوا من سوس أو من الجبال المتاخمة للبحر الابيض المتوسط ، وهو بعمله هذا الذي شابه فيه ابن عسكر ، يشير الى أن الحركة الادبية — كالحركة الدينية التي سبق أن تكلمنا عنها — لم تكن مقصورة ، في الفترة التاريخية الحديثة ، على سكان عواصم الايالة المغربية ، وقد سبق أن تنبه الى ذلك ، المستشرق الاسباني « كوديرا » عندما لاحظ أن الكتاني لم يذكر ، في **سلوة**

الانفــــاس الا ثمانية من الخمسة والسبعين علما من اعلام القرن الحادي عشر الهجري المذكورين في الصفـــوة وما ذلك الا لان أولئك الثمانية هم الذيـــن ماتوا بفاس (45) .

ان التراجم التي خصصها لاعلام القرن الحادي عشر تكاد تتشابه من حيث الكم والكيف غير أنه لم يزد على أسطر للتعريف ببعض الصالحين الذين لـم يتسن له الالمـام بتفاصيل مرضية عن حياتهم ، وختم مؤلفه بتراجم لاعلام اشتهروا في القرن الثاني عشر الهجري مقتفيا ، في هذا الصدد ، آثار القادري .

إن الصفـــوة مصدر من المصادر التي يجب الرجوع اليها للبحث والتحقيق أكثر منه للتسلية والتفكه ، الا أنه لا يخلو من الحكايات الموجبة للاعتبـــار والاتعاظ، فاننا ، مثلا ، نجد فيه ، بجانب تراجم علماء أكابر كابن عاشـــــر وميارة والمقري ، اشارات الى بعض المجاذيب كالمسمى عنتر الخلطي(46) الذي كان يتجول في الاسواق عاريا ، مكشوف العورة ، أو كتلك الصالحة المراكشية التي انغمست في التصوف والابتهال وكانت باهضة الجمـــال ، بحيـث ان السلطان مولاي زيدان رغب في التزوج بها (47) .

وفي الختام نذكر هنا ان اليفرني لم يعتمد كابن عسكر ، على المعلومات المستقاة من أفواه الناس ، بل اقتصر على ما ورد في كتـــب التراجم التـــي وضعها سابقوه بالمغرب ، وقد ذكر في خاتمة الصفـــــوة أسماء تلك المراجـــع وعددها اثنان وأربعون ، يبدو ان اثنين منها قد ضاعا وهما : فهرسة أحمـــد العجمي و رحلـة رحو الهنتيفـي الشاوي ، وصرح بعد وضعه لقائمتهـا أنــــه استغل مجموعة التقاييد الخطية ، وعدة أخبار سمعها من ثقات ، وقد أدى بــه التحري الى الاعتراف بالتعديلات التي كان يدخلها أحيانا على النصوص التـــي يستشهـد بهـا .

وهكذا يتأكد لدينا ان اليفرني المترجم ظل محتفظا بالخصال التي امتاز بها كمؤرخ ، وأن كتاب الصفـــوة جدير بالثقة .

---

45) صفحة 590

46) الصفـــوة ص 189

47) نفس المصدر ص 162 .

احمد السجلماسي (48)

أبو العباس أحمد بن المبارك بن محمد بن علي **السجلماسي اللمطي** (نسبة الى لمطة وهو حي من أحياء سجلماسة) .

ولد بسجلماسة حوالي 1090 هـ (1679 م) وبها تعلم على أحد أخواله ، أحمد الحبيب العماري الذي اشتهر فيما بعد بالصلاح والورع .

ثم رحل الى فاس حيث واظب على الجلوس في حلقات أكابر العلماء مثل محمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد القسنطيني وأحمد الجرندي ومحمد المسناوي الدلائي ، وعلي الحريشي دفين المدينة النبوية ، والقاضي بردلة ، ثم تصوف وأصبح من أتباع الولي الصالح عبد العزيز بن مسعود الدباغ ومن المتحمسين للدفاع عنه .

اهتم بجمع مناقب هذا الشيخ المشهور بالصلاح في كافة أنحاء الشمال الافريقي ، ورتبها في مؤلف عنوانه ، **الذهب الابريز في مناقب الشيخ عبد العزيز** (49) وهو كتاب مشهور في المغرب ومتداول لانه طبع مرتين بالقاهرة (سنة 1278 وسنة 1304 هـ) وان كان لا يشتمل على فوائد تاريخية أو أدبية تثير الاهتمام .

تصدر للتدريس بفاس وفيها كانت وفاته ، في 12 جمادى الاولى من عام 1156 هـ (4 يليوز 1743 م) ، وحسب الكتاني في 19 جمادى الاولى 1155 أو 1156 هـ) ، فدفن بضريح شيخه في المقبرة المقابلة لباب الفتوح .

خلف كتبا اخرى منها : 1) **شرح الآية الرابعة من سورة 57** ـ (سورة الحديد) ـ و 2) **كشف اللبس عن المسائل الخمس** ـ و 3) **رد التشديد في مسألة التقليد** ـ و 4) كتاب عنوانه : **دلالة العام** ـ و 5) **حاشية** على شرح سعيد قدورة لسلم الاخضري ـ و 6) **القول المعتبر في بيان عن جملة الحمد انشاء لا خبر** ـ و 7) **مبلغ الآمال لطالبي التصريف في الافعال** ـ و 8) **أجوبة** .

---

48) ترجم له في **النشر** (ج 2 ص 247) و **الالتقاط** (ورقة 1/79) و**السلوة** (ج 2 ص 203) وباسي في **الابحاث البيبلوغرافية** (ص 32 رقم 83)

49) وردت ترجمة هذا الشيخ المتوفى بفاس في 20 ذي القعدة 1131 هـ (4 اكتوبر 1719م) في **النشر** (ج 2 ص 198) و **السلوة** (ج 2 ص 197) وقد جمعت مناقبه ايضا في كتاب ذكره الكتاني من جملة مصادره عنوانه **تيسير المواهب في ذكر بعض ما للشيخ ابن فارس من المناقب** ومنسوب لابي عبد الله محمدبن محمد بن عبد العزيز بن علي المرابط السجلماسي الذي لا معلومات لدينا عنه (المؤلف)

عبد الواحد أدراق (50)

ان الدراسات الخاصة بالطب القديم في المغرب ، وان كانت قليلـــة ، اتاحت لنا معرفة أسرة ادراق البربرية الاصل التي اشتهر أبناؤها في المجال الطبي وأسند لطائفة منهم ، على التوالي ، العمل بالبلاط السطاني للسهر على صحة افراد الاسرة الشريفة الحاكمة .

لنذكر ، من بين المشهورين منهم ، الطبيب عبد الوهاب بن أحمد أدراق الفاسي الذي مات بفاس في 28 صفر 1159 هـ (22 مارس 1746 م) بعد أن ناهز الثمانين من عمره .

خلف عدة كتيبات في الطب ، وبوجه خاص ، في بعض طرق المعالجة غير أن السبب الذي جعلنا نذكره في هذا الكتاب هو أنه ألف قصيدة في صلحـــاء مكناس شبيهة بتلك التي خصصها المدرع لصلحاء فاس ، وعرفت بمنظومـة في مدح صالحي مكناسة الزيتون ، ومن الممكن انها الآن في حكم المفقودات .

★ ★

ابـن يخلـــف (51)

في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي أسست بفاس زاوية جديدة مهمة(52) على يد رجل صالح لم يلبث أن ذاع صيته بالمغرب وهو محمد ابن الفقيه (53) المصمودي الاصل الذي أخذ بوزان عن الشريف مولاي عبد الله الوزاني ، ثـــم قصد الحضرة الادريسية لينشر بها ما تعلمه عن شيخه ، ولما مات ، في 7 ربيع الاول 1136 هـ (5 دجنبر 1723 م) اهتم مقدم اتباعه ، ابو محمد عبـد

---

50) **النشـــــر** (ج 2 ص 251) **الالتقـــاط** (ورقة 2/82 و **السلـــوة** (ج 2 ص 34) (المؤلف) وقد وردت في **الاتحـاف** تراجم لبعض اعلام هذه الاسرة .

51) ترجم في **النشـــر** (ج 2 ص 253) و **الالتقـــاط** (ورقة 2/85) و **السلـــوة** (ج 1 ص 293) باسي في **الابحـاث البيبلوغرافية** ص 44 رقم 24/

52) في حي العيون

53) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله الزجاني الملقب بابن الفقيه ، واصله من دشرة اسجـن بقبيلة مصمودة ، ترجم له في **السلـوة** (ج 1 ص 292 وما بعدهـــا)

الله بن محمد بن يخلف الانصاري الاندلسي ، وكان أحد قدماء العدول بسماط القرويين ، بتسجيل مناقبه في مؤلف عنوانه **سلـوة المحبين في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الافراد العارفين** .

ويشتمل هذا المؤلف ، حسب ما ذكره الكتاني ، على مقدمة وستة فصول وهو متوسط الحجم .

قضى مؤلفنا قسطا كبيرا من حياته في زاوية شيخه ، وبها دفن عندما لبى داعي ربه في 27 من ذي القعدة 1162 هـ (8 نومبر 1749 م) .

★ ★

محمد بن عبد السلام بنـانـي (54)

اشتهر بفاس ، في العهد العلوي ، عدد كبير من أبناء الاسرة البنانية ، في الفقه والافتاء ، وبرز من بينهم أبو عبد الله محمـد بن عبد السلام بـن حمدون المتوفى في 16 ذي القعدة 1163 (17 اكتوبر 1750 م) في التسعين من عمـره .

كان ، في زمانه ، أحد مشاهير المتصدرين للتدريس بالقرويين ، وقـد أخذ ، هو نفسه عن علماء أجلة سبق أن أشرنا الى مميزاتهم ، مثل القاضـي بردلة وأحمد بن الحاج ومحمد القسنطيني وابن زاكـور وأحمد الولالـي والعميري وعبد السلام جسوس وعلي بركة واليوسي وعبد السلام القادري ومحمد المسناوي الدلائي .

ألف عدة كتب أهمها : **شـرح الاكتفاء** ، و **خلاصـة شرح الشفـاء** لشهاب الدين أفندي، **وشرح لامية الزقـاق** و **شرح الحزب الكبيـر** للشيخ الشاذلي ، و شرح **الصلاة الشيشيـة** و شرح **مختصر خليل وشرحان** لمنظومة عبـد الرحمان الفاسي في الاسطرلاب الخ ،، وله ، في مجال التراجم ، **فهرسـة** ضمنها ترجمة وافية لشيخه ابن الحاج ، ومعلومات دقيقة تتعلق بفقهاء القرن الثامن عشر الميلادي الذين عاشوا بالحضرة الادريسية .

---

54) ترجم له في **النشـر** (ج 2 ص 257) و **الالتقـاط** (ورقة 1/87) (ج 1 ص 146)

ابـن عاشـر الحافـي

في الوقت الذي كانت تظهر فيه ، بفاس ، كتب في مناقب صلحائها ، شرع أحد سكان سلا في تأليف ترجمة ولي تلك المدينة ، الشيخ الصالح الحاج أحمد ابن عاشر ، وسماها **تحفة الزائر في بعض مناقب سيدي الحاج أحمد ابن عاشـر** .

ومؤلف تلك الترجمة هو أحمد ابن عشار الحافي (55) وكان من المعاصرين للسلطان مولاي اسماعيل ولابنه مولاي عبد الله .

تعلم بفاس ثم بسلا حيث توفي ، سنة 1163 هـ (1750 م) ودفن قرب ضريح سميه الولي المذكور ، سيدي أحمد بن عاشر .

وقد كتب في 1140 هـ **فهرسـة** تضم معلومات مفيدة عن علمـاء سـلا في القرن الثامن عشر الميلادي .



عبد المجيد المنالي الزبادي (56)

في الحادي عشر من شهر شعبان 1163 هـ (16 يليوز 1750 م) توفـي بفاس شريف ادريسي ، اسمه عبد المجيد بن علي بن محمد بن علي المنالـي الزبادي السوسي وكان اشتهر بالميل للتصوف والتنسك وبالتعاطي لقـرض الشعر مع الاهتمام بالطب .

خلف رحلة عنوانها **بلوغ المرام بالرحلة الى بيت الله الحرام** و سجـل مناقب أسماه : **افادة المـراد بالتعريف بالشيخ ابن عباد** أي الفقيه الصوفي أبي عبد الله محمد بن أبراهيم ابن عباد النفزي الحميري الرندي المتوفى بفاس في 4 رجب 792 هـ (18 يونيه 1390 م) .

وقد اعتمد صاحب **السلـوة** على هذا السجل في ترجمته للفقيه المذكور اذ نقل الكثير مما ورد فيه من أخبار ومناقب .

---

55) انتسابا الى بطن الحامات ، من قبيلة السراغنة بشمال مراكش (المؤلف)

56) **النشـر** (ج 2 ص 257) **الالتقـاط** (ورقة 2/86) **السلـوة** (ج 2 ص 184) باسي في **المباحث البيلوغرافية** (ص 31 رقم 82)

محمد المكي الدرعي (57)

توفي في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي كذلك كاتب من أبناء الجنوب المغربي ، وهو أبو عبد الله محمد المعروف بالمكي بن موسى بن محمد الكبير بن محمد بن محمد ابن ناصر الدرعي المقدادي ، حفيد شيخ الطريقة الناصرية والذي تولى ، بعد وفاة أبيه أبي عمران موسى (عام 1142 هـ (1729 م) ، ادارة زاوية تمكروت (تمجروت) .

تعلم محمد المكي في مسقط رأسه وقام عدة مرات بتفقد الزوايا الناصرية الفرعية التي بمراكش وبفاس .

في مراكش لقي ، سنة 1151 هـ (1738 م) ، بمدرسة ابن يوسف ، المؤرخ الافراني ،،وبعد ذلك بسبع سنوات نظم ، بفاس ، قصيدة في مدح مولاي ادريس الازهر ، ومن هناك قصد مكناس حيث ناوله قاضيها أبو القاسم العميري ، اجازة عامة .

اننا لا نعرف بالضبط تاريخ وفاته غير أننا نعرف أنه عاش حوالي السبعين سنة ، وأنه ترك ابنا اسمه ابو عمران موسى ، مات بعده بسنوات، في الحضرة الادريسية .

خلف محمد المكي عدة مؤلفات تتعلق بجده وبالاسرة الناصرية منها : **فتح الملك الناصر في اجازة مرويات بني ناصر** و **طليعة الدرعة** ، و **البرق الماطر في شرح النسيم العاطر** ، وهو عنوان قصيدة من نظمه في فضائل ابن ناصر ، ومنها كذلك رحلة سماها الرحلة المراكشية وترجمة صالح من أهل تمكروت اسمه عبد الله بن الحسين القباب وسماها **بالروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الاكابر** ولكن لم يتأت له اتمامها .

غير أن أفيد كتبه هو معجم التراجم الذي عرف فيه بفقهاء وأدباء وادي درعة وسماه **الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة** ، ولا توجد بالمغرب الا نسخ قليلة منه (58) (×).

---

57) ترجم له الناصري في **طلعة المشتري في النسب الجعفري** (ج 2 ص 149)

58) قال في مقدمته : سميته **بالدرر المرصعة باخبار اعيان درعة** ومن شاء فليسمه **الروعة في التعريف بصلحاء درعة** (المؤلف)

(×) ورد في **دليل المؤرخ** (رقم 86) ،،، تقع في مجلد توجد بكثرة في الخزانة الزيدانية ورأيتها مأخوذة بالفتغراف ، (المعرب)

استهل الدرعي ذلك المعجم بمقدمة عبر فيها عما جبل عليه من رغبة أكيدة في معرفة سيروتراجم الاعيان وعن قصده التعريف برجالات الناحية التي ولد فيها ، ثم ذكر حادثة رئيس للرؤساء التي سبق أن أشرنا اليهـــا في الفصل الاول من هذا الكتاب ، وذكر المصادر التي اعتمد عليها ، وشرع في التعريـــف بالرجال مرتبا أسماءهم ترتيبا ابجديا حسب الطريقة التي سلكها ابن القاضي وأحمد بابا .

نجد في هذه التراجم وصف بعض الكرامات ومعلومات أدبية لم يذكرهـا سابقوه ، كما نجد فيها مقطوعات شعرية في مواضيع دينية أو دنيوية .

والـدور أقدم كتاب ألف في تاريخ ما كان للطريقة الناصرية من نُفـــوذ وشهرة في جنوب المغرب . وقد أخبر مؤلفه أنه فرغ من تاليفه بزاوية تمكروت في 14 محرم 1152 هـ (13 ابريل 1739 م) .



أحمد الهـــلالي (59)

ينتسب أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي الى عالم من سجلماسة اسمه ابراهيم بن هلال ، وتعلم بتلك المدينة عن الصوفي أبي العباس أحمـد الحبيب بن محمد العماري المتوفى في رابع محرم 1165 هـ (23 نوفمبر 1751م) ثم بفاس عن الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي المتقدم الترجمة، والشيخ ابي عبد الله محمد بن الحسين القندوز الصمودي الفاسي المتوفى في ثالث محـــرم 1148 هـ (26 ماي 1735 م) والخطيب محمد الكبيـر بن محمد السرغينـــي العنبري المتوفى في الرابع من جمادى الثانية 1164 هـ (30 ابريل 1751 م) ، وعاد الى تافيلالت وسكن بمدغرة ثم بسجلماسة حيث تصدر للتعليم .

أكثر التردد على فاس ، وحج مرتين ، اجازه خلالهما جماعة من علمــــاء الجزيرة العربية ومصر ، من بينهم الشيخ الصوفي محمد بن سالم الحفناوي المصري ، وتخرج عليه جملة من الطلبة أشهرهم محمد بن الطيب القادري .

توفي بمدغرة في 21 ربيع الاول 1175 هـ (20 اكتوبر 1761 م) ، ألف عدة كتب ، منها رحلة وردت خلاصتها في نشـر المثانـــي (60).

---

59) النشـــر (ج 2 ص 273) الالتقـــاط (ورقة 1/93)

60) من مؤلفاته : 1) نور البصر في شرح المختصر ـ 2) فتح القدوس في شرح خطبة القاموس ـ 3) و المراهم في الدراهم و 4) شرح الرجز المحتوي على مسائل مختصر السنوسي ـ 5) الارجوزة من سكتة بيت في المدرسة و 6) اضاءة الادموس ورياضة الشموس من اصطلاح صحيح القامـوس و 7) قصيدة في مدح القاموس (المؤلف)

ادريس وعبد الرحمان المنجرة

ان اسرة المنجرة الادريسية النسب ، الفاسية المهجر ، اشتهرت بالمغرب في القرن الثامن عشر الميلادي ، بفضل ما امتاز به اثنان من أبنائها في مجالات الفقه والادب ، وهما ادريس بن محمد بن أحمد الحسني الادريسي المنجرة المولود، حسب ما في **السلـــوة** ، عام 1076 هـ (1666 م) والمتوفى في 26 محرم 1137 هـ (15 اكتوبر 1724 م) وابنه عبد الرحمان المتوفى في 5 ذي الحجة 1179 هـ (15 ماي 1766 م) .

خلف كل من هذين العالمين **فهرســـــة** لا زالت نسـخ منهمـا متداولـــة بالحواضر المغربية .

★ ★

محمـد بـن أحمـد الفاسـي (61)

هو محمد بن أحمد بن محمـــد ، أحد أبناء حفيـد الشيخ عبد القـــادر الفاســي .

ولد بفاس سنة 1118 هـ (1706 ـ 1707 م) وأخذ عن علماء عصره مثـل محمد بن عبد الرحمان الفاسي ومحمد المسناوي الدلائي واحمد بن علي الوجاري (ت : 11 جمادى الثانية 1141 هـ ومحمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحمـــان التماق (ت : 10 جمادى الاولى 1151 هـ) ومحمد بن عبد الرحمان الدلائـــي ، وبناني ومحمد ميارة الحفيد ، ومحمد القندوز .

عين عدلا بنظارة أحباس القرويين وولي الخطابة بجامع الاندلس .

توفي في 20 ربيع الاول 1176 هـ (8 شتنبر 1765م) ودفن بزاوية اجداده بحي القلقيين .

كان كثير الاهتمام بالتراجم وأنساب الشرفاء وهكذا خلف لنا شـــرح **دوة التيجـــان** تأليــف شيخه محمد ابن عبد الرحمان الدلائي ، وترجمة مطولة للعلامة عبد السلام القادري اسماه **المورد الهنــي باخبار المولى عبـد الســـلام الشريف القادري الحسني** وكتابين صغيرين ، خصص أحدهما لذكر من اشتهر في عصره من رجال العلم والادب ، وثانيهما للتعريف بشرفاء المغرب .

---

61) **السلـــوة** (ج 1 ص 321)

محمد بن الطيب القادري (62)

سبق أن بينا ما كان للبيت الفاسي ، بالعاصمة الادريسية ، من شهرة طيبة وذكر مجيد وما كان لاعيانه من جاه وتقدير بين قادة الفكر وأساطين العلوم الاسلامية .

وفي الوقت الذي كانت هذه الاسرة مقبلة على نشر تعاليم المدرسة الشاذلية ، إشتهر البيت القادري بالدعوة للطريقة القادرية وللرفع من شأن أعلامها ، وكل ذلك كان يجري في جو يسوده السلم والهدوء .

في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ،نبغ في الاسرة القادرية ، حفيد النسابة الشيخ عبد السلام القادري الذي اهتم، هو أيضا ، بالتآليف في العلوم الاسلامية وفي التراجم والسير .

هو أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد السلام الحسني القادري المولود بفاس في 7 ربيع الاول 1124 هـ (14 ابريل 1712 م) .

جلس للطلب ، ولم يطر شاربه ، في مجالس بعض من ذكرناهم من مشاهير علماء الحضرة الفاسية ، أمثال أحمد السجلماسي ومحمد بن عبد السلام بناني ومحمد الكندوز ، ومحمد الكبير السرغيني وشيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس ، وقد أجازوه كلهم كتابة أو شفويا .

كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري يميل الى الزهد والتقشف بيد أن أكثر العلماء من معاصريه كانوا لا يحرمون أنفسهم من العيش الرغد ، ولا مما أحل الله من النعم والخيرات كلما تيسر لهم التمتع بذلك (بدون اسراف ولا تبذير) .

كان يعيش في عزلة تامة مخصصا جل أوقاته للعبادة والدراسة ، سالكا مسلك أكابر رجال التصوف أمثال أشياخه أبي بكر بن محمد بن محمد الخديم

---

62) النشر و الالتقاط في الفصل الاخير منهما ، و السلوة (ج 2 ص 351) وباسي في الابحاث البيبلوغرافية (ص 34 رقم 93 - (المؤلف)

ابن أبي بكر الدلائي (ت : سنة 1149 هـ 1736 م) وأبي عبد الله محمد المدرع السابق ذكره ، وأبي محمد عبد السلام بن الحاج محمد التواتي الجعفري (ت : سنة 1155 هـ ـ 1742 م) .

عرف بزهده عن الوظائف التشريفية ولم يل الامامة والخطابة بجامع الاندلس الا بضعة أشهر ، اذ لم يقبلهما الا امتثالا لامر السلطان .

فانه كان يشتغل بالتوثيق في سماط القرويين الا أنه كان، كل يوم ، ينصرف عن العمل عندما يتوفر لديه قدر « أوقية » ينفقها على نفسه .

في عام 1176هـ (1762 / 1763م) اجازه ، بطلب منه ، العالم المصري محمد بن سالم الحفناوي اجازة عامة ، احتفظ لنا بنصها الكامل في **نشر المثاني** (ج 2 ص280 / 283) .

توفي بفاس في 25 شعبان 1187 هـ (11 نوفمبر 1773 م) ودفن ، في اليوم التالي ، بمقبرة أسرته التي قرب باب الفتوح .

خلف ثروة أدبية قيمة تشتمل على جملة لا يستهان بها من كتب التراجم ، وعلى عدد وافر من المؤلفات الخاصة بالعلوم الاسلامية ، نذكر منها في **التقاط الدرر** : 1) **فريدة الاشتياق في ترتيب لامية الزقاق** ، 2) **الفتح والتيسير في آية التطهير** (آية 33 من سورة 33) ـ 3) **أشرف الرسائل برواة الشمائل** ـ 4) **لمحة الدر النفيس فيمن وصف بالتدليس** ـ 5) **المورد المعين في شرح المرشد المعين** ـ 6) **التعبير عن شناعة مناكر التكبير** ـ 7) **التقاط المعارف من سؤال الشيخ العارف** (**أجوبة** عن أسئلة قدمها أحمد بن عبد الله معن) 8) **مواهب التخصيص في شرح شواهد التلخيص** ـ 9) **الصوارم الفتاكة في نحور أهل القصيدة الافكية** ـ 10) **درة المفاخر لسيد الاولين والاواخر وغرر آل بيته المشاهير** .

ومن كتبه في التراجم نجد : 1) **الزهر الباسم والعرف الناسم في مناقب الشيخ سيدي قاسم وءآثر من له من الاشياخ والاتباع ، أهل المكارم** (ترجمة

فيه للشيخ الصالح قاسم الخصاصي الآنف الذكر - 2) كتيب عنوانه : **المحسة البهجة العلية في بعض فروع الشعبة الحسينية الصقلية** - 3) أرجوزة من 313 بيت ذكر فيها وفيات جملة من أبناء الاسرة الفاسية سماها : **فريدة الدر الصافي في وصف الجمال اليوسفي** - 4) ذيل لكفاية المحتاج ، تأليف أحمد بابا التنبكتي ، وسمه **بالاكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج** - 5) تقاييد هامشية **لأدر السني** الذي خصصه جده لذكر بعض الانساب .

ولكن أفيد ما خطه لنا هذا العالم الجليل كتاباه : **نشر المثاني** و **التقاط الدرر** اللذان خصصهما للتعريف بمشاهير القرنين ، الحادي عشر والثاني عشر الهجريين .

فالنشر شاع ذكره في الاوساط العلمية بالشمال الافريقي ، وعرف في أندية المستشرقين منذ عقود من السنين لانه طبع بفاس سنة 1310 ، ونقل قسما كبيرا منه ، الى اللغة الفرنسية ، الاستاذان كرول ومايار ثم الاستاذ ميشو بيلار ونشر في مجلة الوثائق المغربية سنة 1913 و 1917 (في العددين 21 و 24) تحت عنوان **نشر المثاني** لمحمد القادري .

وأما **الالتقاط** فانه لا توجد منه بالمغرب الا نسخ قليلة مخطوطة ، أحداها محفوظة بخزانة الرباط وقد أشرنا اليها ووصفناها ، في ص 130 (رقم 319) من **فهرس مخطوطات الرباط** المطبوع سنة 1921 م) .

من المحتمل أن يكون هذان الكتابان آخر ما ألف القادري ، الا أنه من المؤكد أن مؤرخنا كان يقصد نفس المقصد الذي كان للافراني عندما عزم على وصل تراجم **دوحة** ابن عسكر ، المخصصة للتعريف بمشاهير القرن العاشر ، فدون **الصفوة** لاخبار صلحاء القرن الحادي عشر ، وان كنا نكاد نجزم أن مترجمنا لم يطلع على هذا الكتاب .

ومهما يكن من أمر فان كتابي القادري يدلان على أنه لم يكن ينوي الاقتصار على التعريف بالصلحاء بل كان قصده ذكر كل من اشتهر في مختلف المجالات الفكرية والعلمية .

سجل القادري أول ما توصل اليه من المعلومات المتعلقة بهذا الموضـوع ، في مؤلفه **التقاط الدرر الذي فرغ منه** سنة 1170 هـ (1756 / 1757 م) ، ويبدأ نشره في الاوساط العلمية المغربية في 27 صفر 1282 .

أثبت في آخر هذا الكتاب ملاحق سجل في احدها قائمة مؤلفاته الا أنـه لم يذكر ضمنها كتابه **نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني** الشيء الذي يفيدأن هذ الكتاب ألف بعد **الالتقـــاط** .

ان هذين الكتابين شبيهان من حيث الموضوع والاسلوب ، إلى حد انــه يمكن اعتبارهما نسختين لكتاب واحد ، الا أنه اذا كانت المقارنة بينهمــا تبدي أن المـــؤلف كـــان في الثانـــي أكثـــر ضبطـــا وأشـــد حرصا على تسجيل ما جد لديه من معلومات ، فانها تبدي أيضا أن تاريـــخ التراجم في البدء والانتهاء في كليهما كان سنة 1001 هـ و 1170 هـ ، وأنهمــا لا يختلفان في ترتيب تلك التراجم ولا في محتواها الاجمالي .

هذا واذا رجعنا للمقدمة القصيرة التي وطأ بها القادري كتابه **التقاط الدرر** فاننا نلاحظ أنه كان ينوي جعله صلة لكتاب **لقط الفرائد** الذي ألفه ابن القاضي تكملة لوفيات ابن قنفد المسمى **شرف الطالب في أسنى المطالب** وذلك ليضمنـه تراجم الاعلام الذين ذاع صيتهم بعد تأليف هذين الكتابين الاخيرين .

وبالاضافة الى هذا فان المؤلف ذكر في **النشـــر** (ج 1 ص 3 و 33) أنـه عزم على تحرير **الالتقـــاط** ليحقق مشروعا كان جده عبد السلام القادري ، وضع أسسه ، وهو تأليف كتاب عنونه **نزهـــة النـادي** .

وعلى كل حال فان مترجمنا وسم كتابيه **الالتقاط** و **النشـــر** بسمة طريقة حيث أنه كان يحرص ، في غالب الاحيان ، على أن يتبع قائمة وفيات كل سنة بشبه ملخص للاحداث السياسية المهمة التي وقعت خلال تلك السنة . ولا شك أن المقارنة بين مضمون هذه الملخصات المثبتة في كلا الكتابين ، قد تكون جـد مفيدة اذ يبدو أنها ، في **الالتقـــاط** أدق وأوفى منها في **النشـــر** (63) .

---

63) فبالنسبة لسنة 1141 مثلا ، يشير القادري في **النشـــر** الى بيعة مولاي عبد الله ، بيد انه في **الالتقـــــاط** يذكـــر بشيء من التفصيل الفتن التي كانت تسود اذ ذاك المغرب واننا نرى أنه من المفيد أن تنشر هذه الشذرات التاريخية باللغتين ، العربية والفرنسية ، وان نفصل ما ورد منها في **الالتقـــاط** وما ورد في **النشـــر** لتتاتى المقارنة بين محتوى كل كتاب. (المؤلف)

ويمتاز أيضا **الالتقـاط** عن **النشـــر** بما يحتوي عليه من معلومات تتعلق بترجمة المؤلف الشخصية ، فعلا ، فان الثلث الاخير منه مكون من مجموعة مـن الملاحق ، من بينها قائمة مفصلة لشيوخه، وقائمة مؤلفاته ، وقائمة الكتب التي اعتنى بشرحها عندما كان يدرس بجامع الاندلس ، وشجرة نسب الشرفـــاء القادريين المستوطنين بفاس ، وكذا أسماء مختلف الاحياء التي سكنوا بهـا ، في تلك الحضرة ، منذ أن هاجر اسلافهم من البلاد الاندلسية .

ان كل من يتصفح التراجم التي حررها أبو عبد الله محمد القادري، لا يلبث أن يلاحظ أنه لا يهتم كثيرا باستعمال المصطلحات والتحليلات الصوفية ، وأنه وان كان قصد التعريف بالملوك والعلماء والصلحاء، قد كرس أكثر أوقاته لتراجم الطبقة الثانية ، مغاربة كانوا او غير مغاربة . وفي هذا ما يؤكد لنا أنه كـان يضع رجال العلم والادب في طليعة الاعلام الواجب تقديرهم والاشادة بفضائلهم فانه خصص للعلماء الاجانب قسما كبيرا من كتابيه، مستمدا المعلومات المتعلقة بهم من الرحلات التي ألفها معاصروه أو سابقوه .

واذا كان من الراجح لدينا أن القادري لم يعرف **الصفـوة** فاننا لا نشك أنه استفاد من جميع ، كتب التراجم التي ألفت بالمغرب فيما قبل ، وأنه كان علـى علم بالمؤلفات التاريخية المتعلقة بالدولة السعدية ، ومن بينها مؤلفات أصبحت اليوم في حيز المفقودات .

ان القادري عالم بحاثة ، شديد الاعتناء بالتنقيب الا أن أسلوبه الانشائي متعب لانه مشحون بألوان من الاستطـــرادات ، الشيء الذي أفقد كتابيـــه ، **الالتقـــاط** و **النشـــر** التركيز وتلك الجاذبية التي سرعان ما تملا قلب كل من يقرأ كتب ابن القاضي ، وبوجه خاص ، مؤلفات أستاذ البيبلوغرافية المغربية ، محمد بن جعفر الكتاني .

الترجمون لشرفاء وزان

في القرن الثامن عشر الميلادي ، أخذ نجم دار شرفاء وزان ، يتألق ويزدهر (64) ، اذ في ذلك العهد ذاع صيت زاويتهم الام التي أسسها مولاي عبد الله الشريف ، وتفرع عنها ، بكافة أنحاء إفريقيا الشمالية ، زوايا أشرف على فتحها وتنظيم الذكر بها حفيداه مولاي التهامي ومولاي الطيب ، فعرفت بالتهامية وبالطيبية . وهذه الشهرة هي التي حدت بالكتاب الى الاعتناء بتدوين تاريخها والتعريف برجالاتها .



أحمد حمدون الطاهري

إن أول كتاب خصص لها هو **تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء وزان** بقلم الشريف الحسني أبي العباس أحمد الملقب « حمدون » ابن محمد بن حمدون ابن مسعود الطاهري الجوطي المترجم له في **السلوة** والذي تتلمذ بفاس للشيخين أبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي وأبي عبد الله محمد جسوس ، وصار فيما بعد، من أقرب الاتباع لمولاي الطيب الوزاني الى أن وافته المنية في 22 جمادى الثانية سنة 1191 هـ (28 يليوز 1777 م) ، وكان عين مدة ، خطيبا بالنيابة في جامع القرويين .



محمد بن حمزة المكناسي

طبع كتابه بفاس ، سنة 1324 هـ ، وقد ضمنه تاريخ **دار وزان** ومناقب مؤسسها ، وحشاه بترجمة أبي الحسن علي بن أحمد بن الطيب بن محمد بن

---

64) ان الكتب التي ألفها الاوربيون للتعريف بشرفاء وزان كثيرة جدا أهمها *A. Visit to Wazan* للكاتب *R. Spence Watson* (لندن 1880) *Confréries religieuses musulmanes* لمؤلفين *Dupont et Coppolani* (ص 445 وما بعدها) *Maison d'ouazzane* لميشو بيلار (مجلة العالم الاسلامي ماي 1908) (المؤلف)

عبد الله الشريف الوزاني (65) الكاتب أبو عبد الله محمد بن حمزة المكناسي — (نسبة الى قبيلة مكناسة التي بنواحي تازة) — وعنوان تلك الحاشية هو **الكوكب الاسعد في مناقب سيدنا ومولانا علي بن أحمد .**

هذا وقد ذكر الكتاني في **السلوة** (ج 1 ص 13 و 14 و ج 3 ص 361) أن الشريف القادري أبا محمد عبد السلام بن الخياط بن محمد بن علال ألف في أواخر القرن الثاني عشر الهجري كتيبا في مناقب مولاي عبد السلام الوزاني .

★ ★ ★

الغزال (66)

سبق أن رأينا أن المولى اسماعيل استسفر أحد كتاب ديوانه الى اسبانيا وأن هذا الاخير ألف رحلة وصف فيها ما شاهده أثناء سفارته (67) .

في النصف الاخير من القرن الثامن عشر الميلادي قام أيضا أحد كتاب البلاط العلوي بسفارة الى الاندلس ، وخلف كسابقه رحلة تكلم فيها بتفصيل عما رآه أثناء تنقلاته بالجزيرة .

وذلك السفير هو أبو العباس أحمد بن المهدي الغزال الاندلسي المالقي الذي تربى بجوار القصر الملكي المكناسي .

من المحتمل أن يكون أبوه المهدي ، سليل المهاجرين المالقيين ، سافر الى الجزيرة في مهمة رسمية لانه كان من كتاب الديوان الاسماعيلي ، وقد رأينا أن العلمي ، مؤلف **الانيس المطرب** قد ذكره من بين الادباء الذين كانت بينه وبينهم مساجلات شعرية .

---

65) توفي بوزان في متم ربيع الاول 1226 (عن **السلوة** ج 1 ص 104)

66) ترجم الناصري في **الاستقصا** (ج 4 ط مصر) والكتاني في **السلوة** (ج 1 ص 331) وبروكلمان في **تاريخ الادب** (ج 2 ط 465) (المؤلف)

67) هو محمد الوزير الغساني مؤلف **رحلة الوزير في افتكاك الاسير** (المعرب)

وأما مؤلفنا ، فانه كان كاتبا في بلاط السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وعلى اتصال بالمؤرخ الزياني ، وقد اشتهر بتضلعه في الادب .

وسيدي محمد بن عبد الله هو الذي عينه ، في متم سنة 1179 هـ (1766 م) ليرافق ، ثم ليترأس ، بعثة ديلوماسية ، كان من جملة أعضائها قائدان من قادة الجيش الاوديي، أبو يعلى عمارة بن موسى ، وأبو عبد الله محمد بن ناصر ، وأسند اليه القيام بمهمة لدى ملك اسبانيا ، شارل الثالث الغرض منها تحديد شروط لتبادل الاسرى المنتمين الى احدى الدولتين ، المغربية أو الاسبانية .

سلك الغزال نفس الطريقة التي سلكها قبله الوزير الغساني، فنزل بسبتة في 15 ذي الحجة 1179هـ (15 ماي 1766م) ثم أبحر نحو مرسى الجزيرة الخضراء حيث وصل في 21من نفس الشهر ، ومن هناك توجه نحو مدريد صحبة رفقائه، تارة على صهوات الخيل وطورا في عربات ، فمروا باشبيلية ثم بقرطبة الى أن حطوا الرحال بالعاصمة الاسبانية .

استقبل العاهل الاسباني هذه البعثة بحفاوة وتكريم ، وخصص للغزال عدة جلسات .

أقام بالاندلس ثمانية أشهر ، ولما أتم مهمته عاد الى المغرب مصحوبا بسفارة اسبانية أبرم معها سيدي محمد بن عبد الله، في 26 ماي 1767م ميثاق مهادنة ، ومعاهدة وضعت فيها شروط مبادلة الاسرى بين الدولتين .

وفي سنة 1182 هـ (1768 م) أوفد الغزال ، صحبة القائدين المذكورين أعلاه ، الى العاصمة الجزائرية ليتولى عملية مفاداة الاساري الجزائريين والاسبانيين .

رجع الغزال من سفارته هذه منشرح الصدر معزز الجانب ، واستأنف عمله بالبلاط موفور الكرامة الى أوائل سنة 1185 هـ (ابريل 1771 م) اذ في تلك السنة قصد سيدي محمد بن عبد الله ثغر مليلية وحاصره أياما فكتب اليه

ملك دولة الاسبان يقول : « اننا عقدنا المهادنة برا وبحرا » فأجابه سيدي محمد بن عبد الله بما محصله : « اننا لم نجعل المهادنة معكم في البر، وانما جعلناها معكم في البحر » ، فوجه إليه الملك الاسباني عقد الصلح ، وكان الغزال هو الذي تولى تحريره ، اثناء سفارته الى مدريد ، فاذا هو عام « برا وبحرا » فكف عن محاربتهم ، وشرط عليهم حمل مدافعه والمقومات الحربية ، في مراكبهم ، بعضها لمرسى طنجة ، والبعض الآخر للصويرة » . ثم ان الملك عزل الغزال عن الكتابة لتخفله (68) فاستقر بفاس حيث بقي في زوايا الاهمال الى أن كــف بصره ، ومات سنة 1101 هـ (1777 م) فدفن بزاوية الشيخ عبد القادر الفاسي بحي القلقيين .

لما عاد الغزال من سفارته أمره سيدي محمد بن عبد الله أن يصـف مـا شاهده أثناءها وصفا شاملا ، فكتب رحلة بعنوان : **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد**وسلك في تحريرها مسلك أحمد الوزير الغساني في رحلته التي سماها **رحلــة الوزير في افتكاك الاسير** ، والتي سبق أن تكلمنا عنها في ترجمته (69

اهتم فيها بوصف المراحل والمشاهد كما اعتنى بتوضيح أهداف سفارته ومنها التعجيل بافتكاك الاسرى المعطوبين، وحصر أسماء كافة الإسرى المغاربة والعمل على تخفيف ما يكابدونه من مشاق وآلام ، وعلى تيسير الظـروف التي تتيح لهم القيام بواجباتهم الدينية .

يتجلى مما ورد في هذه الرحلة أن الغزال كان كثير الاعتزاز بقوميتــه ، فخورا بمحاسن وطنه ، وانه كاتب مقتدر واصف بارع (70) فانه ، رسم «

---

68) ورد ذكر هذه القضية بشيء من التفصيل في **الاتحـاف** بمناسبة ترجمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله (ج 3 ص 168 و 169) (المعرب)

69) الف المستشرق هنري بيرس ، سنة 1938 ، كتابا تحت عنوان) *L'Espagne vue par les voyageurs musulmans* 1610 - 1930 تكلم فيه عن الرحلات الرسمية والسياحية التي حررت باللغة العربية وخصصت لوصف الجزيرة الاسبانية ، وقام بتحليلها وتقييمهـا (المعرب)

70) طبعت الحكومة الاسبانية **رحلـة الغـزال بالعرائش** أيام كان الشمال المغربي لا زال منطقة خليفية ، وقد اعتنى بنشرها والتعليق عليها الفريـد البستانـي (مطبوعات معهـد فرنكو – تطوان 1941) (المعرب)

عن اسبانيا القرن الثامن عشر الميلادي « لوحـة » ذات ألوان شرقية ، شبيهة بتلك التي أفادنا بها السفير التركي ، محمد أفندي ، عن فرنسا في عهد الملك لويز الخامس عشر .

ومن المحتمل أن يكون الزياني قد تذكر مضمون بعض فصولها يوم كتـب رحلته المتعلقة باسفاره في البلدان المتاخمة للبحر الابيض المتوسط .



يجمل بنا ، قبل الشروع في الكلام عن كتب التراجم المؤلفة في الـــقرن الثالث عشر الهجري ، أن نختم هذا الفصل بالاشارة الى ثلاثة كتب في المناقب عاش اصحابها في القرن الثاني عشر الهجــري ولا نعرف عنهم إلا النـــزر القليـــل .

فالاول والثاني خاصان باسرة « شرقاوة » التي سبق للمعداني أن عرف باحد رجالها في مؤلف دكرناه في ترجمته وهو **الروض اليانع** .

فصاحب المؤلف الاول منهما ، المسمى **المرقي في ذكر بعض مناقب القطـب سيدي محمد الشرقي** (71) هو أبو محمد عبد الخالق بن محمد بن محمد بن أحمد العروسي ، التادلي الشرقاوي ، ومن المرجح أن يكون من حفدة الصالح المذكور، وقد وردت الاشارة إلى هذا المصنف في **السلـــوة** (ج 3 ص 362) .

واما المؤلف الثاني الذي حرر، حسبما يبدو ، بعد **المرقى** فعنوانه **يتيمـــة العقود الوسطى في مناقب الشيخ المعطي** .

وقد حرره محمد بن عبد الكريـــم العيدونـــي (ت ع ، 1189 — 1775 / 1776 م) وهو أحد كتبة الشيخ المعر ف به ، محمد المعطي (72) آ

---

71) هو محمد بن أبي القاسم الشرقي السميري الزعري الجبري، أحد اتباع عبد العزيز التباع — (انظر **المتـــع** و **الصفـــوة** و **النشـــر** ،،، الخ

72) هو محمد المعطي بن محمد الصالح بن محمد المعطي بن عبد الخالق بن محمد الشرقي، اهتم بتجديد زاوية سلفه ، والف كتابا في « الدعوات » في نحو 40 جزءا ، اسماه **ذخيـــرة الغانـــي والمحتاج في صاحب اللواء والتاج** . (المخطوطات العربية بالرباط ص 36 — رقم 100) ، توفي في العشرة الاولى من محرم ع، 1180 (9/18 يونيـــه 1766) ترجم له فـــي **النشـــر** (ج 2 ص 277) و **الالتقـــاط** (ورقة 2/94) (المؤلف)

والكتاب الثالث ، ونحن لا نعرف عن مؤلفه الا أنه عاش بفاس في القرن الثاني عشر الهجري، خاص بترجمة سيدي عبد الله الخياط (73) أحد الصلحاء المدفونين بجبل زرهون ، شمال مكناس ، وقد عرف فيه أيضا ببعض حفدته .

وختاما نرى من اللائق أن نذكر ، هنا كتابا في نسب الشرفاء ، عده الكتاني من جملة مراجع **السلوة** (ج 3 ص 360) واكتفى بتعيين مؤلفه باسم « العشماوي . وعنوان ذلك الكتاب هو **كتاب التحقيق في النسب الوثيق** وصاحبه مغمور بالمغرب الاقصى .

وكتاب **التحقيق** هذا ، مشكوك في صحته بالاوساط المغربية ، وقد نقله الى اللغة الفرنسية القسيس جياكوبي (74) ولم يستطع أن يستخلص من محتوى المخطوط الذي اعتمده ما قد يتيح له التعريف بالمؤلف أو بزمنه .

إلا أنه من الممكن أن يكون مكي الاصل، وأنه كان يسمى أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد العشماوي ، وأنه قضى قسطا من حياته بالشمال الافريقي، وتولى الامامة، وألف كتابه في القرن الثاني عشر الهجري لانه تكلم فيه عن الشرفاء التجانيين والوزانيين .

والكتاب ، في حقيقة الامر ، لا يتكلم الا عن الشرفاء الذين استقروا وتناسلوا بالبلاد الجزائرية ، وعليه فهو لا يضم معلومات ذات شأن بالنسبة للمغرب الاقصى .

---

73) هو ابو محمد عبد الله الخياط الحسيني الرفاعي الزرهوني (ت 939 هـ) ذكره ابن عسكر في **الدوحة** (ص 63) والفاسي في **الممتع** (ص 62) والكتاني في **السلوة** (ج 1 ص 229 ،، ج 3 ص 191)

74) تحت عنوان **كتاب النسب** *Généalogie des Chorfa* ونشر بالمجلة الافريقية — الجزائر 1906 — وقد ذكر الناقل ان النسخة المخطوطة التي كانت بين يديه تحمل هذا العنوان **شجرة الاشراف ومعدن الجود والانصاف**

هـ : كتب التراجم المؤلفة

في القرن الثالث عشر الهجري



ابن سودة (1)

في 29 ذي الحجة 1209 (17 يليوز 1795) توفي بفاس أحد نوابغ علماء المغرب ، أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب ابن سودة المري ، وكان ينتمي الى أسرة أندلسية عريقة ، مشهورة في المجالات الادبية ، هاجرت ، منذ عصور، الى المغرب وسكنت مدة بمدشر بني تاودة (2) ، في شمال فاس .

أخذ في شبابه ، بالعاصمة الادريسية ، عن مشاهير علماء وقته ، سبق ذكر الكثير منهم ، مثل أحمد بن المبارك السجلماسي ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن جلون ، والوجاري ، وأبي العباس أحمد الشاذلي ، والكندوز ، ومحمد يعيش الرغاي الشاوي ، والتماق ، ومحمد جسوس .

وكان الشيخ الصالح أحمد بن محمد الصقلي (ت : محرم 1227) — هو الذي حبب اليه التصوف ومجالسة رجاله .

حج سنة 1191 هـ (1777/1778) ومكث بالشرق مدة طويلة ، التقى خلالها بصاحب **تاج العروس** مرتضى الزبيدي . ثم عاد الى فاس حيث حظي بالتقدير والحفاوة ، ولقب بشيخ الجماعة .

---

1) ترجم له الرهوني في **اوضح المسالك** (الورقات الاولى) ومرتضى في **تاج العروس** (مادة : سود) والناصري في **الاستقصا** (ط : مصر ج 4 134) والكتاني في **السلوة** (ج 1 ص 112) والفضيلي في **الدرر البهية** (ج 2 ص 294)

2) يسمى اليوم « فاس البالي » وهو بعدوة وادي ورغة اليسرى على نحو 80 كيلومتر شرقي شمال فاس (انظر مقالي : *Ruines almoravides ... Bul. arch. 1918 pp. 194 - 200.*

تخرج عليه عدد وافر من الطلبة ، نذكر من بينهم ابنه أحمد ، ومحمد بن علي الورزازي والطيب ابن كيران (ت : محرم 1227) وادريس العراقي (ت رمضان 1228) ، ويحيى الشفشاوني ومحمد بن عمرو الزروالي والفقيه محمد ابن أحمد الرهوني (ت : بوزان في رمضان 1230) وحمدون ابن الحـــاج والحوات (وقد سبقت الاشارة الى الكثير منهم) .

صنف كتبا مختلفة (3) و **فهرســـة** مشهورة في الاوساط العلميـــة المغربية ومرغوب في الرجوع اليها نظرا لما تمتاز به أسانيدها من دقة وضبط .

★ ★

محمـــد المنـــالـي الزبــادي (4)

أبو عبد الله محمد بن علي المنالي الزبادي هو أخو العالم عبد المجيد المنالي المذكور في الفصل السابق ، وكان أخوه هذا ممن قام بتثقيفه بجانب اشياخ محمد جسوس ، ومحمد السجلماسي ، ومحمد السرغيني (5) .

أكمل دراسته بالشرق أثناء رحلته لاداء الفريضة سنة 1166 هـ (1753م) صحبة الصوفي أبي محمد عبد الوهاب التازي (ت : بفاس في 27 شعبـــان 1206) .

تولى خطة العدالة بسماط القرويين ، ومات في فاتح ربيع الاول 1209 (26 شتنبر 1794) .

ترك عدة مصنفات منها ترجمة ضافية لصالح تادلا أبي الحسن علي بن عبد الرحمان الدرعي دفين جبل تمجوط ، عنوانها : **دوحـــة البستان ونزهـــة**

---

3) منها **طالع الاماني على شرح الزرقاني** ، و شرح تحفة ابن عاصم وشرح لامية الزقاق ، **زاد المجد الساري في مطالع البخاري** ، وشرح **جامع خليل** ، **ومناسك الحج** ،، الخ ،،

4) انظر **السلـــوة** (ج 2 ص 188) و **الابحـــاث البيلوغرافيـــة** (ص 43 رقم 116) لبـــــاسي

5) تقدم ذكرهم في الفصل السابق

الاخوان في مناقب الشيخ ابن عبد الرحمان (6) ومعجم عرف فيه بصلحاء وعلماء مغاربة، وأسماه : **سلوك الطريق الواررية في الشيخ والمريد والزاوية** الا أنه أصبح الآن من المتعذر العثور عليه ، وان كان الشيخ الكتاني استقى منه فوائد شتى وذكره عدة مرات في **سلوة الانفاس** .(×)



عبد الواحد الفاسي (7)

ولد أبو مالك عبد الواحد بن محمد بن أحمد الفاسي بالعاصمة الادريسية سنة 1172 هـ (1758 / 1759 م).

تخرج على أبيه وعلى المشار اليهم من أشياخ وقته ، محمد بناني ، وابن شقرون ، ومحمد بن عبد السلام الفاسي ، وعلي العراقي . ثم تصدر للتدريس وكان أول خطيب لجامع الرصيف الذي شيد في عهد السلطان مولاي سليمان .

توفي ، شهيد الوباء ، في 2 ذي الحجة 1213 (7 ماي 1799) مخلفا كتابين ، أحدهما في الشرفاء القادريين اسمه : **اغاثة اللهفان ، وسلوة الاحزان بالقادريين عظام الشأن** (8) (×) وثانيهما في الشرفاء الصقليين عنوانه **غاية الامنية وارتقاء المرتب العلية في ذكر الانساب الصقلية ذات الانوار البهية** (9).

---

6) توجد نسخة منها ، بخزانة الرباط تحت رقم 393

(×) ورد في **دليل المؤرخ** انها توجد بالخزانة السودية (رقم 1140ـ (المعرب)

7) ترجم له الكتاني في **السلوة** (ج 1 ص 325) وباصي في **الابحاث البيبلوغرافية** (ص 44 رقم 125)

8) السلوة (ج 3 ص 362)

(×) وذكر في **دليل المؤرخ** (رقم 1649) تحت عنوان اغاثة **اللهفان و سلوة الهموم والاحزان بالقادريين عظام الشأن أولى الندا والفضل والاحسان** ، وقال انه طبع على الحروف بتونس (المعرب)

9) **السلوة** (ج 1 ص 343) ـــ (**الدليل** : رقم 403 (المعرب)

ابـــن عجيبــــة (10)

ابو العباس احمد بن محمد ابن عجيبة التطواني، شريف حسني رأى النور بقبيلة أنجرة المستقرة بساحل البحر الابيض المتوسط ، بين طنجة وتطوان .

قصد مدينة فاس طلبا للعلم ، فسمع عن بناني والورزازي وابن سودة ، وانضم الى الطريقة الدرقاوية ولم يلبث ان أمسى من الدعاة لها بمنطقة جبالة ومن المعتنين بنشر مبادئها وتنظيم زواياها بتطوان ونواحيها .

توفي بالوباء عام 1224 (1809 / 1810) . ألف عددا وافرا من الكتـب، أشهرها **البحر المديد**(شرح للقرآن في أربعة أجزاء) ، و **شرح لحكم ابن عطاء الله**، وشــرح لاحــدى قصائد ابن البنـــاء عنوانــه : **الفتوحـــات الالاهيــة في شرح المباحث الاصلية** وله في التراجم : **ازهار البستان في طبقات الاعيان** عرف فيه بأئمة المذهب المالكي ، منذ مالك الى الرهوني ، و **فهرسة** بهـــا معلومات مفيدة عن الحياة الفكرية بتطوان في أوائل القرن التاسع عشـــر الميلادي .



الحـــوات (11)

أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن موســـى الشفشاوني ، الملقب بالحوات ، ينتمي الى القطب مولاي عبد السلام ابـــن مشيـــش .

---

10) ذكره الشيخ عبد القادر الكوهن في **امداد ذوي الاستعداد** (مخطوط بخزانة الرباط رقم 514) المؤلف — وترجم له في **تاريخ تطوان** (ج 6 ترجمة ضافية) (المعرب)

11) ترجم له في **السلوة** (ج 3 ص 116) و **السحور البهيـــة** (ج 2 ص 95) وفي **المباحث البيلوغرافية** (ص 41) رقم 109)

ولد بشفشاون حوالي سنة 1160 هـ (1747 م) وبعدها بقليل مات أبــوه الذي كان قاضيا بتلك البلدة (12) .

لما شب سكن بفاس قصد التعلم ، وسرعان ما ظهرت عليه علامــات النجابة والذكاء ، أخذ بالقرويين وبباقي المدارس الفاسية ، عن جلة علمــاء وقته ، منهم ، محمد بن ابراهيم الدكالي ، ومحمد بن الطيب القادري ، وعبد القادر بوخريص ، وعبد الكريم اليازغي ، ومحمد بن عبد السلام الفاسـي ، وعمر الفاسي ، وبناني ، وابن ســودة ، وجلهم عرفنا بهـم في الفصــول السابقــة .

كرس الحوات حياته للدراسة ، وحيث انه كان ذا سعة في العيش ، مما يمده به ذووه من خيرات وغلل ، فانه ترفع عن التماس الوظائف الدينية أو الشرعية ، بل رغب حتى عن الصلة الزهيدة التي تعودت مصلحة الاوقاف المغربية تخصيصها للعلماء ، غير أنه لما تقدم به السن اختاره السلطان المولى سليمان نقيبا للشرفاء ، فقبل عن طواعيةورضى ، وهذه الالتفاتة هي التي أتاحت له الاتصال بعدد كبير من الاسر الارستقراطية القاطنة بفــاس ، وحفزته على الاهتمام بدراسة أنساب الاشراف .

تخرج عليه طائفة من الاعلام مثل الشيخ عبد القادر الكوهن ، والشريف السجلماسي مولاي الزكي بن محمد الهاشمي ، وأبي الفضل العباس حفيــد التاودي ابن سودة .

توفي بفاس في 29 صفر 1231 (30 يناير 1816) ودفن خارج بــاب الجيسة .

ان أغلب المصنفات التي خلفها الحوات تتعلق بالتراجم ومخصصة ، بوجه عام ، للتعريف بالمشاهير من أبناء البيوتات العلمية .

---

12) مذكور في **النقــاط الدرر** (ورقة 1/84) وفي **السلــوة** (ج 3 ص 119) وينسب اليه كتاب في اتباع ابن ناصر عنوانه **تحفــة المعاصــــر في بعض صالحي تلامذة ابي عبد الله ابن ناصــر** (المؤلف)

تكلم عن حياته في كتاب سماه : **ثمرة أنسي في التعريف بنفسي** ، وهو شبيه **بفهرســـة** الا أنه يشمتل على معلومات لم نتعود العثور عليها في هذا النوع من المؤلفات ، اذ ضمنه فوائد دقيقة عن الوسط الادبي الجبلي الذي شب فيه ، وعن الوسط العلمي الفاسي أيام اقامته بالحضرة الادريسية.

خصص كتابه **قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون** للتعريف بالشرفاء الدباغيين الساكنين بحي العيون ، وكتابه : **السـر الزاهر فيمن احرز بفاس السر الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر** لذكر فضائل القادريين ، وكتابـه **الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة** لتاريخ البيت السودي الى عهد الشيخ التاودي الآنف الذكر ، وقد تكلم فيه حتى عن ابنه وعن حفيد هذا الاخيـــر .

لا شك أن أهم مصنف ألفه الحوات هو : **البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية** الذي ترجم فيه لرجالات الزاوية الدلائيـــة مستهلا بذكر جدهم أبي بكر ومتوسعا في التعريف بحفدته أكثر فأكثر في تراجم من استقر منهم بفاس أو ولد بها ، أي بعد أن خرب المولى الرشيـــد زاويتهـم .

انه عرف بأساتذتهم ، وأورد نصوص إجازاتهم كاملة ، وكذا نصوص الرسائل الادبية التي كانوا يوجهونها لمعاصريهم ، واحيانا حتى بعـــض منظوماتهم .

الا أنه ، من سوء الحظ ، لم يفدنا بايضاحات طريفة عما كان ، طيلـــة سنوات ، من نفوذ وسيادة لمولاي محمد الحاج الدلائي ، بل اكتفى ، في هذا الصدد ، بنقل شذرات صادفها في **نزهـة الحـادي** أو في **نشـر المثانـي** .

وعليه فان المعلومات السياسية الطريفة التي قد نعثر عليها في **البـدور** لا تسمح لن بان نعد هذا الكتاب من المصادر الاصيلة لتاريخ المغرب السياسي، بيد أننا نعتبره مرجعا لا يستهان به ، فيما يخص التاريخ الادبي .

هذا ونختم هذه الترجمة بالاشارة الى كتاب خصص للتعريف بأعلام الاسرة الفاسية وعنوانه **عناية أولى المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد** ان بعض الادباء ينسبون هذا الكتاب للحوات ، وبعضهم ينسبونه للسلطان مولاي سليمان ، ومنهم مؤلف **السلوة** (13) .

من المتفق عليه ان هذا الامير كان مثقفا وأنه كان يهتم فعليا بما كان يروج في عهده من نشاطات أدبية (14) ولذا لا نرى من المستحيل أن يكون خطر بباله القيام بعمل من شأنه أن يشرف كافة أفراد أسرة ذات جاه ونفوذ قد تقتضي الظروف الاعتماد عليها . ولكن حيث انه لا يوجد الآن لدينا نسخة من الكتاب المذكور فانه يصعب علينا أن نبدي ، في هذا الموضوع (×) رأيا ذا قيمة .

★ ★

عبد القادر الكوهن (15)

ينتمي أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن الى أسرة اسرائيلية أسلمت في عهد بني مرين أو الشرفاء السعديين ، وهو عالم جليل عرف بالتقوى والورع .

ولد بفاس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ، أخذ عن محمد الطيب بن كيران ، وحمدون ابن الحاج ، وأحمد بن التاودي ابن سودة.

---

13) ج 2 ص 312 سطر 1 و 4 — و ج 3 ص 362 ، السطر الذي قبل الاخير

14) ترجم الكتاني، في **سلوة الانفاس** للسلطان مولاي سليمان (ج 3 ص 231) الا انه لم يذكر انه خلف مؤلفا ادبيا (المؤلف)

(×) طبع كتاب **عناية اولى المجد** بفاس سنة 1347 هـ وورد ذكره في **دليل المؤرخ** ج 1 ص 113 ، تحت رقم 396 (المعرب)

15) توجد معلومات عنه في **السلوة** (ج 2 ص 169) وفي **المباحث البيلوغرافية** لباصي وقد التقطنا بعض التفاصيل عن حياته بفاس وبسلا (المؤلف)

أدى فريضة الحج وانضم للطريقة الدرقاوية ، ثم بدا له أن يجاور بالحرم النبوي ، فوافته منيته بالمدينة (المنورة) في شهر صفر 1254 (26 ابريـــل / 24 ماي 1838) .

ترك لنا أربعة تآليف : رحلة تكلم فيه عن حجته الاولى وفهرسة سماها **امداد ذوي الاستعداد الى معالم الرواية والاسناد** وضمنها أخبارا عن أشيـاخ عاصرهم ، فرغ منها في 17 شوال 1245 (11 ابريل 1830) ، وشرحا للآجرومية وشرحا لمقدمة ولخاتمة صحيح البخاري عنوانه : **منح الاهية ومواهب اختصاصية على الجامع الصحيح**



العـــراقـــي (16)

سبق ان رأينا ان الشيخين محمد القادري وعبد الواحد الفاسي عرفـــا بالشرفاء الصقليين ، الا ان هناك فرعا آخر من الحسينيين ، وهم الشرفـاء العراقيون ، اهتم بتحرير تاريخهم أحد المنتسبين اليهم ، وهو أبو محمد عبـد الله ، المعروف بالوليد ، بن العربي بن الوليد العراقي الحسيني .

ولد بفاس سنة 1208 أو 1209 (1793/1795) . تخرج على علماء وقتـه وولي الامامة والخطابة بجامع مولاي ادريس ، واشتغل بالتدريس في نفـس المصلى وكذا بالقرويين .

توفي في 7 أو 8 ربيع الثاني 1263 (2 أو 3 مارس 1849) ودفـــن بضريح أحد أقاربه ، خارج باب الفتوح .

وسمي كتابه **بالدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس** . ولمـا فرغ منه أضاف إليه ملحقا لا يخلو من فائدة .

وذكر صاحب **السلـــوة** (ج 1 ص 141) - أن العراقي الف أيضا ترجمة لقريبه المحدث أبي العلاء ادريس بن محمد بن ادريس بن حمدون بن عبد الرحمـــان العراقي الحسيني المتوفى في شهر شعبان 1183 (دجنبر 1769) .

---

16) السلـــوة (ج 3 ص 36) الباحث البيبلوغرافية ص 46 رقم 133

محمد المهدي ابن القاضي (17)

في مستهل القرن التاسع عشر الميلادي ، ظهرت الطريقة الدرقاوية الصوفية ، ولم تلبث أن كثر أتباعها بالمغرب الاقصى ثم بالشمال الافريقي فمؤسس هذه الطريقة هو العربي الدرقاوي (18) ، دفين بو بريح (19) الذي سكن في فاس مدة طويلة ، وإلتف حوله بها عدد وافر من المريدين ، كان من أنشطهم أبو المواهب (وأبو مالك) عبد الواحد بن علال بن ادريس الحسني الادريسي الدباغ (20) .

ترجم لهذين الشيخين ، أحد تلاميذهما ، محمد المهدي بن محمد ابن القاضي (توفي بفاس في 10 شوال 1271 — 26 يونيه 1855) في كتيب عنوانه : **النور القوي بذكر الشيخ مولاي عبد الواحد الدباغ والشيخ مولاي العربي الدرقاوي** .



محمد الطالب ابن الحاج (21)

هو أبو عبد الله محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي . كان أبوه أحد أكابر أدباء العهد السليماني ، وقد جادت قريحته بقصائد جمة، جمعت في ديوان وطبعت بفاس ، وجلها في مدح السلطان مولاي سليمان .

---

17) السلـوة (ج 1 ص 361) و المباحث البيبلوغرافية (ص 46 رقم 133)

18) أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بن الحسين بن علي الدرقاوي المولود في 23 صفر 1239 (29 اكتوبر 1823) ، كان هو نفسه من تلاميذ علي الجمال العمراني الادريسي (انظر ترجمته في دائرة المعارف الفرنسية : (مادة درقاوة) بقلم الاستاذ A.Cour

19) في قبيلة بني زروال ، بالضفة اليسرى لوادي اودور ، نقلت الزاوية الدرقاوية ، فيما بعد ، الى أمجوط ، ترب بوبريح ، وهناك دفن ابن الشيخ العربي ، محمد الطيب (8 جمادى 1287) (المؤلف)

20) السلـوة (ج 1 ص 258 و 360)

21) السلـوة ج 1 ص 157 — الدرر البهية ج 2 ص 330) المباحث ص 47 رقم 138

واد محمد الطالب بفاس وأقبل، في سن مبكرة ، على التعلم ، فتتلمذ لاخيه محمد (ت : في 17 شوال 1274) ولعلماء أفاضل، منهم محمد اليازغي والقاضي أبو الفتح محمد التهامي الحمادي المكناسي ، وعبد القادر الكوهن ، والخطيب أبو العلاء ادريس الودغيري ، وعبد القادر الكوهن ، والخطيب لـ9ـخوددلا، أبو العلاء ادريس الودغيري ، وأبو الحسن علي بن عبد الله المتيوي ، والقاضي أبو المجد عبد الهادي الحسني العلوي ، والشريف الادريسي أبو محمد عبد السلام بن الطائع أبو غالب .

تلقى مبادىء الطريقة الدرقاوية عن محمد الحراق السالف الذكر . وفي شهر ذي القعدة 1260 (نونبر ـ دجنبر1844) أجازه صوفي شرقي ، وهو محمد صالح بن خير الله الحسيني الرضوي البخاري السمرقندي الذي زار مدينة فاس في ذلك العهد (22) .

ولي القضاء أولا بمراكش ثم عينه السلطان مولاي عبد الرحمان قاضيا بفاس خلفا لشيخه القديم أبي المجد عبد الهادي الذي توفي عهدئذ . ولكن لم يكد يمضي عام واحد على هذه التولية حتى لبى داعي الله ، وذلك في 9 ذي الحجة 1273 (31 يليوز 1857) فدفن بالضريح الذي خصص لاحد أسلافه والقائم بالدرب الطويل ، شرقي جامع القرويين بحي البليدة .

ان أكثر الكتب التي خلفها محمد الطالب ابن الحاج تتعلق بالتراجم : فانه جمع في تواليفي : **الاشراف على بعض من حل بفاس من مشاهير الاشراف** معلومات عن أعيان الميادين الدينية والادبية من الاشراف القاطنين بفاس ؛ وفي نظم الدر واللئال في شرفاء عقبة ابن صوال عرف نظما بالشرفاء الكتانيين ، وكان في ذلك من السباقين الى تسطير تاريخ هذه السلالة الادريسية .

---

22) ينتمي هذا العالم الى أسرة ملكية أصلها من سمرقند ، ولد سنة 1201 وتوفي سنة 1266 ، مكث بفاس عاما كاملا (1260)وتجول في كافة انحاء المغرب الاقصى ، وحظي بسمعة طيبة في الاوساط الادبية ، حتى أن الشيخ عبد الحي الكتاني خصص له ترجمة سماها : **كوكب المجد الساري في ترجمة شيخ شيوخنا محمد صالح الرضوي البخاري** (المؤلف)

وترجم لاشياخه في فهرسة عنوانها **روض البهار فد ذكر جملة من مشائخنا الذين فضلهم أجلى من النهار** ، وأخيرا انصرف للتعريف بأبيه وأسرته ، فصنف سفرا متوسط الحجم سماه : **رياض الورد الى ما انتمى اليه هذا الجوهر الفرد** (23).

ان هذا الكتاب ، رغم ضيق الموضوع المطروق فيه ، يبدو أفيد من أكثر الكتب المخصصة للتعريف بالبيوتات المغربية الكبيرة ، ويمكن أن يعد ، في هذا الصدد ، مماثلا **لمرآة المحاسن** .

رتبه على خمسة أبواب مختلفة في الطويل : الاول في نسب أسرة ابن الحاج ، وأتى فيه بمعلومات عن أسلافه الاولين المنتمين ، حسبما يزعمون ، الى قبيلة بني سليم الكبيرة التي كانت معروفة في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، والثاني في هجرة تلك الاسرة من الحجاز الى الاندلس ، والثالث يحتوي على قائمة الوظائف التي أسندت الى أبناء الحاج في تلك البلاد ، والرابع تعرض فيه ، عندما ذكر ظروف استقرار تلك الاسرة بالمغرب الاقصى ، الى الكلام عن طرد المسلمين من الاندلس وضمنه عدة قصائد نظمت اذ ذاك لوصف ما نزل بهم من مصائب ولبكاء المعاهد والديار .

تخلص بعد ذلك لموضوع **الرياض** الحقيقي فذكر من اشتهر بالمغرب من آل حمدون ، مسهبا ، بوجه خاص ، في التعريف بأبي الفضل أحمد بن العربي الحارثي المرداسي السلمي ، وبابنه أبي عبد الله محمد ، ثم أوردفي نهاية المطاف ، معلومات عن حياة أبيه حمدون .

وخلاصة القول فان **رياض الورد** لا يزيد على كونه مجموعة «مقتطفات» ، ولكنها مقتطفات مفيدة لانها مستخلصة من وثائق أسروية ، وتضم نصوصا نثرية ومقطوعات شعرية جعلت من المؤلف المذكور مرجعا مهما في المجال الادبي ، وتضم ، بالاضافة الى ذلك ، بعض الرسائل الاسماعيلية والسليمانية التي أكسبته قيمة وثائقية لا يستهان بها فيما يخص التاريخ المغربي الحديث .

---

23) توجد مخطوطة من هذا المؤلف بخزانة الرباط تحت رقم 396 (المؤلف)

(x) وتحت رقم 111 حسب **دليل مؤرخ المغرب** الذي ذكر انه يسمى ايضا **بنيل السرور والابتهاج بترجمة الشيخ حمدون بن الحاج** — رقم 841 — (المعرب)

عبـــد الكبيـــر الفاســـي

ذكر صاحب **سلـوة الانفـاس** في أواخر قائمة المراجع الذي اعتمد عليها، كتابا عنوانه : **تذكـرة المحسنين بوفيات الاعيان وحوادث السنين** ، وهـــو عنوان يشير الى أن ذلك الكتاب عبارة عن سجل رتبت فيه ، ترتيبا زمنيـا ، أحداث تاريخية كان لها أثر كبير ، وأسماء أعلام مشهورين .

لم يتأت لنا من سوء الحظ العثور على هذا الكتاب وانه لن المحتمل أن الكتاني نفسه لم تتح له مطالعته .

ومهما يكن فلا مندوحة من التعريف بمصنفه (24) فانه من سلالـــــة آل الفاسي ، واسمه عبد الكبير بن المجذوب بن عبد الحفيظ ، حج مرتين وولي الخطابة بجامع القرويين بعد أن تخرج على الشيخ محمد الحراق ، والشريف لادريسي أبي محمد عبد السلام الازمي .

توفي عام 96 12 (1879) بقصبة فضالة القائمة بين الدار البيضـــــاء ورباط ودفن في شالة داخل قبة سيدي يحي بن يونس .

---

24) افادنا ببعض هذه المعلومات الشريف عبد الحي الكتاني ، ووجدنا بعضها فـــي **المباحث البيبلوغرافية** ص 47 رقم 137 (المؤلف)

محمــد الاميــن الصحــراوي (25)

في نفس السنة ، توفي بمراكش العالم ابو عبد الله محمد الامين بن عبد الله الحجامي الجعفري الصحراوي ، وهو صاحب تأليفين ، أحدهما **الارتجــال في مناقب وشاهد سبعة رجال** (26) ، وثانيهما في مناقب المختار الكنتي (27) وأسماه : **المنهــاج المختار في مناقب الشيخ المختار** .



أبــو امــلاق

ربما لا يوجد في الساعة الراهنة ، من بين رجال التــــاريخ المغربــي ، باستثناء الامامين الادريسيين — (الاكبر والازهر) — من هو أشهر وأكثر شعبية من المجاهد محمد العياشي .

فاذا كانت مقومات شخصيته أخذت الآن تتجلى أكثر فأكثر تبعا لزيادة المامنا بما تحتوي عليه الوثائق الاوروبية المتعلقة بالقسم الاخير من عهد الدولة السعدية ، فان تفاصيل تاريخ حياته التي لا زالت تروى بالسواحل الغربية وبالمناطق الآهلة بالقبائل الجبلية أصبحت اليوم ممزوجة بألوان من الاساطير ومحاطة بضروب من المناقب ، أكسبت بطلها هالة من القداسة .

في أواخر القرن الثالث عشر الهجري اهتم بترجمته الاديب عبد القاهـر ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن أبو أملاق المتيوي النشأة ، وخصص لهــا

---

25) ابن الموقت **السعــادة الابديــة** ج 1 ص 100 (المؤلف)

26) كتب في نفس الموضوع القاضي العباس بن ابراهيم تحت عنوان **اظهــار الكمــال** (المؤلــف)

27) عرف بهذا الشيخ الصالح الاستاذ أحمد الامين الشنقيطي في كتابه **الوسيط في تراجم ادباء شنقيط** — طبع القاهرة سنة 1329 ص 356 (المؤلف)

تآليفا عنوانه : **الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد** (28) .

ان هذه الترجمة لا تضم ، لسوء الحظ ، ما يثير كبير الاهتمام ، لان مؤلفها يسجل فيها ما سبق أن ذكره جملة من المؤرخين عن ذلك المجاهد ، وبالخصوص الافراني في **نزهة الحادي** والقادري في **نشر المثاني** ، ولكنها تستوجب بعض التقدير لانه ضمنها الرسائل التي كان يوجهها العياشي للمدن الساحلية والرسائل التي كان يكتبها له مرابطو الزاوية الدلائية ، أو كان هو نفسه يبعث لهم بها .

لا يخفى علينا ان الكثير من هذه الرسائل الاخيرة أورد نصوصها الحوات في كتابه **البدور الضاوية** ، ولكن لا ينبغي أن ننسى ان الاطلاع على ما في كلا المصدرين قد يساعد على اكتساب نظرة جديدة عن مفهوم الجهاد بالمغرب في عهد العياشي الذي ، حسب ما هو معروف عند الجميع ، اغتيل في 19 محرم 1051 (30 ابريل 1641) بقبيلة الخلوط ، وأرسل رأسه الى مدينة سلا ، ثم أوري قرب ضريح الولي أبي الشتاء الخمار بحدود جبالة ، لانه كان هو نفسه أوصى بأن يدفن هناك (29) .

---

28) توجد نسخة مخطوطة منه بخزانة الرباط العامة تحت رقم 380

(×) وذكر في **دليل المؤرخ** تحت رقم 803 ـ كما تكلم عنه الاستاذ محمد حجي في كتابه **الزاوية الدلائية**

29) ذكرت هذه الحادثة في **نزهة الحادي** (ص 271 و ص 450 من الترجمة) **ونشر المثاني** (ج1 ص 179) ويبدو انها مطابقة للحقيقة لانني وقفت بنفسي ، في روضة سيدي العياشي ، قرب زاوية مولاي أبي الشتاء الخمار وقد أخبرت هناك بما يلي : «خلال المعارك التي دارت في تلك الناحية ، سنة 1910 ، بين المغاربة والجيوش الفرنسية ، والتي كان يسيرها الجنرال غورو والكولونيل بين (Pein) وقعت قنبلة على حريم الروضة ولوحظ أن المدفن يشتمل على صندوق صغير ، وجد داخله رأس بشري ، وكانوا ظنوه مملوءا ذهبا » (المؤلف)

القسم الرابع

★ ★

المؤرخون والمترجمون المعاصرون

ان قلة المشتغلين بالتأليف ، في عهد مولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد ، مما يوهم ان الفتور كان يخيم اذ ذاك على كافة المجالات الادبية ، والحقيقة أنه اذا كان لا يسوغ لنا أن نصم أجيال تلك الحقبة التاريخية بالعقم الفكري ، إذ لم تخل فترة منها من حملة اقلام ، فلا مناص من الاعتراف بأن عدد هؤلاء كان ضئيلا ، وانهم لم يخلفوا لنا مؤلفات جديرة بالدراسة والتحليل .

وعلى العكس من ذلك فان عهد مولاي الحسن كان ، بالنسبة للآداب الاسلامية ، عهد نهضة جديدة وذلك لان فيه ساد الهدوء والامن ، وتعددت مظاهر اليقظة ، ونشطت الهمم للتفكير في اصلاح الدواليب الحكومية والمنشئات الادارية ، والاجتماعية ، والمعدات الحربية ، وفيه عرف المغرب الطباعة ، وأخذ المثقفون الواعون يهتمون بمقاصد البعثات الدبلوماسية وأساليب رجال الشركات التجارية الاوربية .

وعندما توفي السلطان مولاي الحسن ، وجلس خلفه ، مولاي عبد العزيز على العرش ، كان العلماء المغاربة من جملة الداعين الى الإهتمام بكل ما شأنه ان يضمن انتشار الامن ، ويساعد على استمرار سلامة السيادة المغربية ، وان كان نفر منهم لا يطمئنون لما قد يترتب عن الاصلاح المتوخى ، ذلك الاصلاح الذي كانت تطلعهم على بعض جوانبه الجرائد المصرية أو الشامية المتسربة الى المغرب ، وكذا الكتب التعليمية الشرقية المؤلفة حسب المناهج المغربية . حتى ان الناصري ختم كتابه بهذا البيت :

وأعلم علم اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم (1)

والظاهر ان الناصري والكتاني لم يستطيعا ان يخفيا ما كان يخامر نفسيهما من مرارة عندما شرعا في تأيف الاستقصا و سلوة الانفاس

---

1) قال الناصري قبل هذا البيت : « ،،، واعلم ايضا ان أمر هؤلاء الفرنج في هذه السنين علا علوا منكرا وظهر ظهورا لا كفاء له . واسرعت أحواله في التقدم والزيادة ،،،، حتى كاد يستحيل الى فساد ، وعلم عاقبة ذلك وغايته الى الله تعالى المنفرد بالغيب (المعرب)

النـاصــــري

سبق لنا ، ونحن نترجـم للزياني ، ان لاحظنــا ان موظفـي الادارة المخزنية كانوا كثيرا ما ينتقلون من ناحية الى أخرى لمدد متفاوتة في الطـول وللقيام بمهام متباينة غاياتها .

هذا ومع ان المؤرخ السلاوي ، أحمد بن خالد الناصري ، لم يشغل مناصب مخزنية سامية ، فانه قضى قسطا وافرا من حياته بعيدا عن مسقط رأسه قائما ، في مدن يبعد بعضها عن بعض ، بوظائف كانت تسندها اليه عهدئـذ بنيقة من بنائق البلاط الملكي ، وانه لمن المرجح أن تلك التنقلات هي التي حفزته على كتابة تاريخ بلاده لانها أتاحت له الاطلاع على ما كان بمظـان مختلف الحواضر المغربية من وثائق ومستندات (2)

هو شهاب الدين أبو العباس احمد بن خالد بن حماد بن محمد ابن ناصر، وعليه فنسبه يتصل رأسا بمؤسس الطريقة الناصرية لكونه من سلالة أحـد اخوة إحمد ابن ناصر ، وذلك لان جماعة من نسل الصالح التمكروتي كانـوا قد استوطنوا سلا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، فأصبح كل مـن ينتمي اليهم يعرف بالناصري وبالسلاوي (3) .

ولد مؤرخنا بسلا في 22 ذي الحجة 1250 (20 ابريل 1885) وكانـت اذ ذاك ، عبارة عن مدينة صغيرة هادئة سكنت فيها جلبة المجاهدين ، ولكن اتجه أهلها نحو طلب العلم مضاهاة لفاس حيث تخرج الكثير من علمائها .

---

2) استخلصنا المعلومات المتعلقة بالمؤلف ، من كتاب **الاستقصا** عينه ، وقد استفدنا ايضا في هذا الصدد ، بما ورد في ترجمتين للمؤلف ، حرر احداهما ابناه جعفر ومحمد ، وكتب الاخرى تلميذه محمد ابن علي الدكالي تحت عنوان : « **تخليد الآثر وتشييد المفاخر بترجمة الشيخ شهاب الدين احمد بن ناصر** .

اننا ننتهز هذه الفرصة لنعبر لانجال المؤلف الثلاثة الموظفين حاليا بالديوان الملكي ، عن خالص شكرنا لانهم اطلعونا على نسخة مخطوطة **للاستقصا** نقحها ابوهم بخط يده (المؤلف)

3) ان مؤلف **الاستقصا** معروف عند المستشرقين بالسلاوي وعند المغاربة بالناصري حسب نسبه الحقيقي (المؤلف)

أخذ بسلا عن الفقيه الجليل ابي عبد الله محمد بن عبد العزيز محبوبة (ت : بمكة سنة 1279 هـ) وعن القاضي الخطيب أبي بكر بن محمد عواد ت . بسلا 10 صفر 1296 هـ) وأولع ، وهو شاب ، بمطالعة الكتب العلمية والادبية ودراسة الشعر الجاهلي والإسلامي ، وبوجه خاص دواوين البحتري وأبي تمام والمتنبي .

ولما ناهز الاربعين من عمره عين للعمل في الادارة الشريفة ، فتقلب في وظائف كثيرة بمختلف الحواضر المغربية ، كسلا والدار البيضاء ، ومراكش والجديدة وطنجة ، وفاس ، الا أنه عاد في آخر عمره الى مسقط رأسه وهناك وافاه الاجل المحتوم في 16 جمادى الاولى 1315 (13 اكتوبر 1897) فدفن بالمقبرة المشرفة على البحر ، خارج المسمى بباب « المعلقة » خلف قبر سيدي هشام .

هذه هي ترجمة الناصري (4) كان موظفا صغيرا ومثقفا ثقافة أدبية لا يستهان بها ، وبالاضافة الى ذلك كان مؤرخا . لبس في حياته حلة أصالة مثل أصالة الزياني مثلا ، ولا حتى أصالة اكنسوس التي كانت في حقيقة الامر ابهت لونا منها ، ومع ذلك فانه خلف ، بجانب مؤلفه التاريخي مصنفات عديدة من شانها ان تلفت اليه الانظار وان تكسبه مكانة شريفة في مصف الادباء المغاربة من أبناء عصره .

قبل تحليل كتاب **الاستقصا** يليق بنا ان نلقي نظرة سريعة على كتبه الاخرى التي منها ، حسب ما أخبرنا به ، بالاضافة الى جملة تويلفات ، (5) ثلاثة مصنفات مهمة : الاول : شرح لشمقمقية ابن الونان عنوانه : **زهر الافنان من حديقة ابن الونان** ، الثاني : **تعظيم المنة بنصر السنة** «توخى فيه التنبيه على البدع المحدثة في الدين وردها والتشديد فيها

---

4) لخصت ، شيئا ما ، التفاصيل المتعلقة بحياة الناصري لان المؤلف استقى هذه المعلومات من مصادر كانت اذ ذاك مخطوطة وغير متداولة وهي الآن ميسرة ، ولان ترجمة الناصري مثبتة في الجزء الاول من كتاب **الاستقصا** الذي طبع سنة 1954 بالدار البيضاء تحت اشراف ابني المؤلف القاطنين الآن بسلا (المعرب)

5) ذكرت جميع مؤلفاته في الترجمة المشار اليها اعلاه (المعرب)

والتشديد باهلها من ارباب الطوائف » (6) ، الثالث : كتاب في التعريف بالناصريين الذين ينتسب اليهم ، وهو ، **طلعة المشتري في النسب الجعفري** (7) أتم مصنفه هذا في 17 ربيع الثاني 1309 (20 نومبر 1881) ، واذا كان يهدف من تحريره اثبات النسب الناصري الشريف ، أي وصله بالعترة النبوية ، فانه كان من دون شك يقصد في نفس الوقت ، اثبات شرف محتد أسرته ، ومهما يكن من أمر فان عمله هذا افادنا بتاريخ للزاوية التمكروتية جدير بالتقدير ، اذ أورد فيه معلومات كثيرة استقاها من كتاب محمد المكي الدرعي **الدرر المرصعة بأخبار اعيان درعة** الذي سبق أن تكلمنا عنه الا انه استفاد كذلك من مؤلفات أخرى كانت بالزاوية الناصرية الام وتسنى له الوصول اليها واقتطاف ثمراتها .

ان اعظم مصنفاته هو كتاب **الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى** وكان نشره بمثابة تقدم لا نظير له في حركة التآليف التاريخي المغربي ، اذ أتاح للمرة الاولى لمؤلف مغربي ، لا زال حيا يرزق ، ان يعرف اراء بني قومه وأراء قراء أجانب من المسلمين و غيرهم في كتاب من بنات افكاره : فانه لم يقتصر فيه على ذكر اخبار فترة زمنية معينة ، بل ضمنه تاريخ بلاده العام ، ونشر ، بالاضافة الى ذلك ، في المشرق . وكل ذلك من شأنه ان يضمن له الرواج والاستقبال بكلتا اليدين .

يؤكد لنا اتخاذ الناصري لهذا المسلك انه لم يكن يكترث بما قد يثيره الحسدة حول كتابه ، داخل المغرب ، وانه كان يتوقع ، راضي البال مطمئن القلب ، ان كتابه سيكسبه شهرة طيبة في باقي البلاد الاسلامية .

ستری ، بعد قريب ، ان **الاستقصا** الذي أصبح اليوم معتبرا ، لدى المغاربة ،خير ما اكتب عن تاريخ بلادهم الوطني ، لم يحظ عندهم ، أول الامر

---

6) نقلت هذه الجملة من الترجمة المذكورة وهي تطابق ما قال المؤلف في شان ذلك الكتاب (المعرب)

7) طبع بفاس في جزئين وذلك في حياة المؤلف . ونشر ملخصه الاستاذ (Bodin) باللغة الفرنسية في مجلة المستندات البربرية (1918) بعنوان « زاوية تمكروت » (المؤلف)

بنفس التقدير بيد انه ما كاد يخرج من المطبعة حتى رحب به المستشرقون الاوربيون ومؤرخو شمالي افريقيا من اهل الغرب ، وأصبح من أفضل الاصول التي يرجع الباحثون اليها ، سيما وان الربع الاخير منه ، الخاص بالعلويين ، ترجم وبات في متناول حتى الذين لا يعرفون اللغة العربية .

ان الاستقصا خيب بعض الشيء ظن الاخصائيين الغربيين اذ كانوا يحسبون انه سيأتي بشيء جديد من حيث المنهج ومن حيث المضمون ، وسرعان ما تبين لهم انه لا يختلف عن المؤلفات التاريخية التي ظهرت قبله في غربي العالم العربي : فهو يقوم على الجمع ، ومزيته في أنه يقدم مسن رواية متصلة اشتاتا من مادة التاريخ السياسي كانت مبعثرة في كتب التاريخ الاخباري او كتب التراجم والطبقات التي صنفت في الفترات السابقة لزمانه .

فذلك هو فعلا الشعور الذي يستولي على نفس كل من يحلل كتاب الاستقصا ، ونحن لا نرى في ذلك ما يدعو للتعجب والاستغراب ، اذ لم يكن من الطبيعي ان يبتدع الناصري اساليب جديدة او ان يكون له عن « مهمة » المؤرخ مفهوم مغاير لما عرفه سابقوه في هذا المجال .

فان كان طبعه للكتاب يسر نشره وجعله في متناول الكثير من القراء ، فانه ، من دون شك ، لقي وهو يحرره نفس العراقيل المادية التي كانت تقف في أوجه باقي المؤرخين العرب بالمغرب الاقصى . وهذه الظاهرة تبدو بكيفية أوضح بالنسبة للناصري لان قرب العهد الذي ألف فيه كتابه يتيح تتبع المراحل التي سلكها في تاليفه .

ومهما يكن فان الناصري كان اول من تصدى ، بدون ادنى تهيب ، لان يثبت في كتابه جميع المقومات المتعلقة بتاريخ المغرب العام ، بيد أن كلا من المؤرخين الذين تقدموه لم يهتموا الا بجزء من اجزائه ، اذ يصعب علينا ان ننزل ترجمان الزياني أو بستانه و جيش اكنسوس في منزلة التواريخ العامة .

---

8) ان النسخة التي كتبها الناصري بخط يده لا زالت محفوظة عند ابنائه الذين تفضلوا بان سمحوا لي بمطالعتها والاحاطة بمضمونها .

ان في رغبة الناصري عن الاقتصار على ذكر احداث فترة معينة من تاريخ المغرب ما يجلي اعتداده بنفسه وتفتح قوته الادراكية، الا انه من المحقق أنه عندما تاقت نفسه الى الاشتغال بالتاريخ لم يكن ينوي الاهتمام بغير الدولة المرينية ، الشيء الذي فكر فيه ، قبله الافراني ، ليتمم ما ورد من أخبار **روض القرطاس** و **روضة النسرين** ، وقد رأينا ان ابن زاكور ، لما صنف كتابه **المعرب المبين** ، كان هو ايضا فكر في هذا الموضوع وذلك قبل صاحب **نزهة الحادي** .

قد يتبادر الى الذهن أن الناصري أخذ يفكر في كتابه تاريخ الدولة المرينية عندما شاهد بسلا والرباط وشالة ما لها من آثار معمارية عظيمة .

وأياما كان فانه استفتح اعماله التاريخية بتأليف كتابه : **كشف العرين في ليوث بني مرين**(8) انه ، بصفة عامة ، اعتمد ، في عمله هذا على **العبر** و **روض القرطاس** وتسنى له اتمامه قبل ان يخرج من سلا .

لما غادر مسقط رأسه صحب معه **كشف العرين** آملا ان يجد في الحواضر المغربية التي عين للعمل بها مصادر أخرى تفيده بمعلومات جديدة عن الدولة المرينية ، فانه لم يجد ضالته بمراكش حيث أقام مدة طويلة ، الا ان الحظ ساعده هناك على مطالعة كتب لم يتسن له معرفتها بسلا ، مثل **نزهة الحادي** للافراني و **المنتقى** لابن القاضي و **الجيش** لاكنسوس وكذا بعض كتب التراجم التي ألفت في عهد الدولة السعدية او في أوائل العهد العلوي .

أخذ منذئذ يقتبس ما كان يجده في تلك الكتب من معلومات اي المواد التي تمكنه من تحقيق المشروع الذي كان عزم اذ ذاك على انجازه ، وهو وضع تاريخ عام ، وهكذا بدأ تصنيف **الاستقصا** ، ولم تمر سنتان حتى كان حرر قسمه المتعلق باخبار الدولة السعدية والدول التي تولت الامر قبلها ، ووصله بوصف أحداث الدولة المرينية معتمدا على ما كان اورده منها في **كشف العرين** ومضيفا اليها ما استقاه ، في هذا الصدد ، من المصادر التي تأتي له الاطلاع عليها أثناء اقامته بمدينة مراكش .

هذا ، وأما فيما يخص الدولة العلوية فانه وجد في النسخة الموسعة من ترجمـــان الزياني وكذا في بستانـــه ما أتاح له اتمام عمله في المدة المذكورة وهي ، نسبيا ، مدة وجيزة .

ولما ذهب الى الجديدة شجعه على اكمال الاستقصـــا عامل تلك المدينة محمد الجراري ، فادخل عليه الاصلاحات الضرورية وانهاه في 15 جمـــادى الثانية سنة 1398 (15 ماي 1881) اي قبل نهاية حكم مولاي الحسن .

عجل الناصري بتقديم تاريخه للسلطان طمعا في أن ينعم عليه وعلـــى أقاربه بما يحسن الحال ويطمئن البال ولكن كتابه لم يحظ بالتقدير الذي كان يتوقعه ، بل جلب له اللوم اذ اشيع أنه لم يحاول فيه « اخفاء الحقيقة » وأنه خص فيه وزراء الملوك العلويين المتأخرين بالدور الاهم في تسيير شـــؤون الدولة .

وحيث ان الناصري كان كلف خطاطا ، وهو محمد المكي بن البشير ، الذي كان يقوم بتزويق الشموع المعدة لانارة مساجد سلا لليلة المولد النبوي ، بنسخ صورة من كتابه قبل تقديمه للسلطان ، فانه استطاع ان يحتفظ بمؤلفه .

لم يفد الناصري اذ ذاك الا أن ينتظر سنوح فرصة افضل ، فتابع عمله الاداري ، ولما مات مولاي الحسن بادر بطبع الاستقصـــا في مطابع القاهـــرة بواسطة العالم الفاسي مولاي الحبيب البلغيثي الذي كان مقيما بمصر . وبما أن الاحداث التي وصفها في تاريخه كانت لا تتجاوز عام 1297 ، فانه اكملـــه حتى وصول مولاي عبد العزيز الى العرش ، وكان قد تمكن ، وهو بفاس سنة 1307 (1889) من ان يضيف الى نسخته الخاصة ، التي لم يكن يفارقها فـــي الحل ولا في الترحال ، زيادات هامة استقاها من مؤلف القادري نشر المثانـــي وكان قد عثر صدفة على نسخة منه في نظارة الاحباس ، وبذلك تأتى له ان يضمن كتابه تاريخ الاحقاب المتتالية ، من الفتح العربي للمغرب الاقصى حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

يتألف كتاب الاستقصـــا المطبوع في القاهرة من أربعة أقسام متساوية في الطول ، نوجزها في ما يلي :

في المقدمة ينوه المؤلف بفوائد التاريخ مقتفيا في ذلك أثر سابقيه ، ثم يتكلم بايجاز عن السيرة النبوية وعهد الخلفاء الراشدين ، ويصل الى التحدث عن البربر مستعيرا ما ورد في شأن نسبهم ، من كتاب **العبر** لابن خلدون ويتوسع ، بعد ذلك ، شيئا ما ، في سرد الاخبار المتعلقة بتأسيس فاس وبالامامين ، ادريس الاول وابنه ، ويختم القسم الاول بفصل يذكر فيه أخبار الدولتين : المرابطية والموحدية .

في الاقسام الثلاثة الباقية من تاريخه يتناول بالتفصيل تاريخ المرينيين والوطاسيين في القسم الثاني ، وتاريخ السعديين في القسم الثالث وتاريخ العلويين في القسم الرابع .

وفي ملاحق الكتاب تطالعنا قائمة كاملة لاسماء المصادر والمراجع المغربية وغيرها ، التي عتمد عليها المؤلف . انها نسبيا ، جد كثيرة ، ولكن الغالب على الظن ان الناصري لم يستعملها كلها بطريقة مباشرة ، وانه وجد جملة وافرة من « مقتبساته » في كتب المؤلفين الذين أخذ عنهم ، فاكتفى بنسخها تارة موهما ، بتحديده لاطرافها ، انه استقاها من مظانها الاصلية ، وتارة ساكتا عن مصدرها (9) .

فالمصادر التي استفاد منها الناصري ، أكثر من غيرها ، لكتابة تفاصيل القرن الوسيط ، هي **روض القرطاس** لابن أبي زرع ، وكتاب **العبر** لابن خلدون و **الروض المعطار** لابي المنعم الحميري ، و **جمهرة الانساب** لابن حزم و **جذوة الاقتباس** لابن القاضي و **المعرب المبين** لابن زاكور ، ولكن من المرجح عندنا انه لم يتأت له الاقتباس مباشرة من **روض النسرين** لابن الاحمر ولا من **الذخيرة السنية** التي الفت قبلها .

---

9) سبق للسيد روني باسي ان نبه في **المباحث البيلوغرافية** (ص 4 ، تعليق 1) ان الناصري فعل مثلما فعل قبله مؤلف **سلوة الانفاس** اي لم يطلع بكيفية مباشرة على تواريخ البرنوسي وابن غالب ، وابن مطروح وابن خشاب وابن الباز وابن جنون والوراق . فالمقتبسات المنسوبة ، في **الاستقصاء** ، لهؤلاء الكتاب نقلها السلاوي من **القرطاس** من غير أن ينبه الى ذلك (المؤلف)

ويبدو أنه لما أخذ في تحرير تاريخ دولة بني مرين ، تيسر له استعمال مراجع صنفت خلال القرون الاربعة الاخيرة ومنها **نشر المثاني** و **دوحة الناشر** و **مــرآة المحاسن** و **ممتع الاسماع** .

وفيما يتعلق بتاريخ السعديين فانه استخدم بوجه خاص **نزهة الحادي** للافراني ، وكتابي ابن القاضي **المنتقى المقصور** و **درة السلوك** ولكن يمكننا ان نجزم انه لم يتح له الاقتباس رأسا من كتاب الفشتالي **مناهل الصفا** .

ولما شرع في تحرير تاريخ الدولة العلوية فانه وجد مراجع قليلة ولكن لم يكن من المتعذر عليه الوصول الى نسخ منها ، وأهم تلك المراجع القسم الاخير من **نزهــة الحادي** ومؤلفات ابي القاسم الزياني ، و **الجيش** لاكنسوس .

وعند ابتدائه في أخبار ما بعد منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ، جعل من **الجيــش** مصدره الوحيد بالاضافة الى معلومات أفاده بها مشافهة بعض ذوي الخبرة من مواطنيه .

لا يمكننا ان نرمي الناصري بانتحال ما كان يأخذه من كتابات المؤرخين السابقين : فانه على العكس من ذلك يشير الى بداية الاقتباس ونهايتــه وأحيانا ينتقد ما يقتبس ويبدي رأيه في شكله ومضمونــه ، ويعترف في غضون الفصول الاخيرة الخاصة بالدولة العلوية انه مدين بمعلومات جمـة للزياني وأكنسوس ، ولكن لا يجوز لنا أن نتغاضى عن انتحاله لفقرات طويلة استقاها من كتاب الزياني : **الترجمـان** الذي سبق لنا أن بينا ، ضمن ترجمتنا لمؤلفه ، انه انجزه في شكلين متباينين ، أسلوبا ومحتوى وذلك في ظرفين مختلفين ولدواع وضحنا الكثير منها .

فالنسخة التي كانت من جملة مصادر السلاوي هي ، من دون ادنى شك ، النسخة التي بدأ الزياني بتأليفها وبسط فيها الكلام بسطا وافيا عن الدولة العلوية ، وحيث كان بدا له ان يعوضهــا بنسخة موجزة فانــه لم يــأذن باستنساخها الا لعدد قليل من الادباء وهكذا لم يصل منها لايدي النــاس الا نسخ معدودة ، وقد إخبرنا ان احداها محفوظة الان بسلا ولا نستبعد ان تكون هي التي استعملها مؤرخنا الا أنه تغافل عن ذكرها وعن تحديد ما اقتبســه منهــا .

اذا نحن راعينا الظروف والملابسات التي صنف فيها الناصري تاريخه لابد ان نعترف انها لم تكن تسعفه على الاتيان بكثير من الاصالة والابتداع واذا كان فضله يكمن في أنه جمع ، في عهده ، نصوصا لم يكن اذ ذاك من اليسير الوصول اليها ، فان معظم المصادر التي افاد منها قد نشرت اليوم وأصبح من الممكن الالمام بالنصوص المقتبسة . ويسوغ لنا أن نقول ، في هذا الصدد ، ان **الاستقصا** سيفقد الكثير من قيمته **الوثائقية** يوم يتسنى العثور على **الترجمان** في صورته الاولى (×) .

ولكن السلاوي يمثل في حركة التأليف التاريخي في المغرب ظاهرة جديدة ، وذلك حيث يشير الى بعض المصادر الاسبانية ، والبرتغالية كان عثر عليها بثغر الجديدة ، ونقل منها بواسطة ترجمان يهودي اسمه يوسف كان يعمل بالقنصلية الاسبانية ، وكان معجبا بديوان ابراهيم ابن سهل ، فاخذ الناصري يشرح له ذلك الديوان ويستعين به في الاقتباس من التاريخين المذكورين (10 .

ان التواريخ الفرنجية التي أخذ منها الناصري لا تتجاوز اثنين (11) **تاريخ الجديدة في عهد استيلاء البرتغال عليها** للويزمارية و **تاريخ المغرب** لمانويل باولو كستيانوس ، وهذا هو الذي استغله الناصري بوجه خاص

(×) هذا زيغ صريح عن الموضوعية والنزاهة (المعرب)

10) يسمى الناصري صاحب التاريخ البرتغالي : **لويزمارية** وصاحب التاريخ الاسباني : « مانويل باولو القشتلي (وهكذا من « كستيانوس » « القشتلي » نسبو الى قشتالة « تنبه كاستيانوس الى ما اقتبسه منه الناصري ، لقد قال في تعليق سجله ص 345 من ط ، طنجة : « ... ان الشهير الذكي ، المغربي الاصل السلوي المولد ، الشيخ احمد بن خالد اطلع من دون شك على الطبعة الاولى أو الثانية من كتابنا - وقد ذكرنا في تاريخه مرات جد عديدة » (معلومات ملخصة من تعاليق للمؤلف)

11) قال الناصري : « قد وقفت لبعض البرتغليين واسمه لويز مارية على تأليف في أخبار الجديدة من لدن بنوها الى ان انتزعها المسلمون منهم فاقتطفت منه ما اثبته في هذه الترجمة ،، » (ج 4 - ص 136 من ط. الدار البيضاء)

وقال (ص 81 من نفس الجزء) : « وقد وقفت لبعض الاصنيوليين واسمه : مويل باولو القشتالي ، على كتاب في أخبار المغرب الاقصى ، فنقلت منه بعض اخبار لم اجدها الا عنده . وهو وان كان ينقل الغث والسمين ، والرخيص والثمين الا ان الناقد البصير يميز حصباءه من دره ويفرق بين حشفه وثمره » (المعرب)

ونقل منه اكثر من عشرين فقرة ، وقد اهتم بتحديد بداية كل اقتباس ونهايته »

ان الناصري يتناول في **الاستقصا** أحداثا تاريخية ويرتبها على السنين كاسلافه من كتاب الحوليات الاخبارية ، غير انه يسجل في نهاية كل عهد وفيات معظمها لمشاهير مدينة سلا . وأخيرا فاسلوب **الاستقصا** يدل على امتلاك مؤلفه الكامل ناصية اللغة وعلى صفاء وروعة وبساطة اذ لم يلجأ الا نادرا لانواع المجاز واصطناع السجع والوان المحسنات البديعية .

فهو يبدو في كتابه ، شديد الثقة بنفسه ، ومستقل الرأي ، ولذا يعتبر مثال المؤرخ المغربي الحديث الذي يكتب بسهولة ورشاقة عظيمتين .

اذا كان الناصري لم يعط في **الاستقصا** لعهد مولاي الحسن كل الاهمية التي كانت تنتظر منه ، فقد يكون ذلك راجعا الى رغبته في عدم التوقف مليا أمام موضوع يشتغل بالكتابة فيه بعض معاصريه . وفعلا فان هذا السلطان اراد أن يقتدي بمولاي أحمد المنصور ، وربما بمولاي إسماعيل أيضا ، فيكون في خدمته مؤرخ رسمي . والتواريخ الخاصة بالدولة تقف على الاكثر ، مع تاريخ أكنسوس ، عند ملك سيدي محمد بن عبد الرحمان . وقد وقع اختياره لكتابة هذا التاريخ الجديد للعلويين على مربيه السابق أحد حفدة حمدون ابن الحاج .

★ ★

احمد ابن الحاج

هو أبو العباس احمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي (12) ولد بفاس في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وكان أبوه منتصبا للشهادة بهذه المدينة ، وكاتبا ممتازا توفي عام 1274 (1858) .

---

12) انظر الفضيلي ، **الدرر البهية**، 329:2 ، معلومات مستقاة من حفيد المترجم : محمد المهدي بن أبي بكر بن احمد ابن الحاج أستاذ بالقرويين والثانوية الاسلامية بفاس

اتجه أحمد ابن الحاج الى نفس مهنة أبيه بعد أن تتلمذ في القرويين لعبد السلام بوغالب ، وعلي قصارة (13) ، لكن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان استدعاه ليتوجه الى قبيلة احمر بناحية مراكش فيقوم بتعليم الامراء هناك ، وبذلك صار أحد شيوخ سلطان المستقبل مولاي الحسن . ولما أتم هذا الاخير دراسته ، رجع ابن الحاج الى فاس ، حيث عاش خاصة من عطايا تلميذه القديم .

ولم يكد مولاي الحسن يتربع على العرش حتى عينه مؤرخا رسميا للدولة وأمره أن يكتب تاريخا شاملا للدولة العلوية، فشرع ابن الحاج في تأليف كتاب مطول سماه **الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المومنين مولانا الحسن** ، ولم تمض بضع سنوات حتى أنهى الجزء الحادي عشر منه ، وهو لا يكاد يجاوز عهد مولاي سليمان . وكان يقدر للتاريخ الكامل خمسة وعشرون جزءا ، لكن السلطان لم يرد أن ينتظر نهاية رواية أخبار الدولة ليرى تسجيل أخبار ملكه ، فأمر المؤرخ الرسمي أن يقطع عمله ويكتب تاريخ المغرب ابتداء من اليوم الذي بويع فيه . وقد أنجز ابن الحاج هذه المهمة الجديدة في مدة وجيزة ، وأطلق على هذا الكتاب الذي يقع هو أيضا في عدة أسفار نفس العنوان الذي جعله للتاريخ الشامل ، فأرضى بذلك مخدومه الذي أغدق عليه الصلات ، وظل المؤلف يضيف الى كتابه ما جد من الاحداث المهمة الى وفاة مولاي الحسن ، بل والى ما بعد ذلك .

كان ابن الحاج في نفس الوقت مدرسا في ضريح المولى ادريس وجامع القرويين ، وألف كتبا أخرى (14) ، ومات في 27 ذي الحجة 1316 (8 ماي 1899) ، ودفن بزاوية الشرفاء الوزانيين بفاس في حي الشرشور قرب سقاية الدمناتي .

---

13) علي بن ادريس قصارة الحميري الفاسي أحد علماء فاس ، اشتهر بحاشيته على شرح بناني لسلم الاخضري، توفي في 13 رجب 1259 (9 غشت 1843)، انظر الكتاني **سلوة**، 2:265

14) هي :

1 ـ كتاب في الطب في ثلاثة أجزاء ، عنوانه : **الدرر الطبية، المهداة للحضرة الحسنية**
2 ـ كتاب في نسب العلويين
3 ـ حاشية على شرح المكودي على الالفية
4 ـ حاشية على شرح الازهري على الآجرومية

لا تتداول اليوم بالمغرب الرواية الاولى ولا الثانية من كتاب **الدر المنتخب المستحسن** ، وربما لم يبق من الرواية الاخيرة الا نسختان ، احداهما محفوظة بالمكتبة الملكية بفاس أو الرباط ، والثانية عند حفدة المؤلف . وقد تمكنا من الاطلاع على الجزء الاول من هذه النسخة الاخيرة (15) .

وبتصفح هذا الجزء أمكن الحكم بدون عناء على سائر الكتاب ، فهي يحتوي على مقدمة وملخص تاريخ مولاي الحسن . ويبدو أن الرواية التاريخية لحكم السلطان لم تنل كبير عناية من المؤرخ الرسمي ، اذ من بين الابواب الاثنى عشر في الكتاب لا يظهر مطابقا للموضوع غير عنوان الباب التاسع ، بينما تمتليء الابواب الاولى بأنواع من الملاحظات العامة عن الخصال الحميدة التي ينبغي أن يتحلى بها أمير المومنين من عدل ، ووقوف عند الشريعة ، ورحمة ، وكرم ، وأدب . وتأتي بعدها أبواب اخرى عن مناسبة استشارة علماء المملكة في شؤون الحرب وغيرها . وبالجملة ، فانه كتاب سياسة بتصميم فكر مغربي ، أو كتاب مطول ملفق من كتب قديمة اكثر منه تاريخ بالمعنى الصحيح .

ويختم المؤلف عمله ، على طريقة مؤرخي السعديين ، بذكر لائحة شيوخ السلطان واطراء وزرائه وكتابه وحجابه ، واثبات نصوص قصائد المدح الواردة على البلاط بمناسبة الاعياد الدينية ، وولادة الامراء وزواجهم . وهكذا يظهر من هذا الملخص أنه لا فائدة تذكر في هذا التاريخ المسهب ، وبالاحرى فان بعض الاحداث التي قد يذكرها ليست قديمة بحيث لا يمكن اعادة انشائها في عين المكان عن طريق المعلومات الشفوية .

★ ★

وأشارت البعثة العلمية بالمغرب في الجزء الاول من **الوثائق المغربية** الى وجود كتاب آخر ألف في عهد مولاي الحسن ، وهو على ما يظهر بقلم موظف مغربي سام ما زال بقيد الحياة لم ترد البعثة أن تكشف النقاب عنه (16) .

---

15) مخطوط مبتور يقف في نهاية الباب الثالث (240 ورقة)

16) **الوثائق المغربية** ، 1 ص : 129 ، « هذا المخطوط المجهول المؤلف مبتور ويحتوي على نحو 300 ورقة غير مرقمة ، الفه منذ مدة قريبة شخص من ناحية فاس لا محل لذكر اسمه ، وهو في الحقيقة تاريخ للمغرب منذ القدم شبيه بكتاب **الاستقصا** ... »

وبعد بضع سنوات ترجمت مقتطفات من هذا الكتاب التاريخي المعنون **بالحلل البهيـة** ، ونشرت في نفس **الوثائق المغربية** (17) وانه لمن الصعب معرفة حقيقة الكتاب من خلال هذه الترجمة المقطعة التي يصعب أحيانا قراءتها بسبب شروح في غير محلها . فالمترجم يرى فيها مدحا لمولاي الحسن يقصد منه خاصة ، عن طريق التضاد ، اظهار نفور المؤلف من خلف ذلك السلطان العظيم ، وعلى أي حال فانه يوجد في المقتطفات المنشورة عدد من الاشارات المفيدة عن حركات مولاي الحسن الى سوس ، وبني مجيلد ، وجبالة وعن المنشآت العمومية في عهده .

وأخيرا هناك مؤلف ثالث خصصه لنفس السلطان أديب مراكشي ، هو أبو عله محمد بن ابراهيم السباعي (18) الذي كان مفتيا ومدرسا بهـذه المدينة ، بعد أن تتلمذ في فاس على الحاج محمد كنون ، والقاضي عبد الملك العلوي الضرير ، وقد توفي منذ بضع سنوات (6 رجب 1332 / 31 ماي 1914) وعنوان كتابه: (19) **البستان الجامع لكل نوع حسن ، في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن** .

★ ★

ان الفترة المعاصرة في المغرب تطبع بصفة خاصة تجديد فن التراجم في شكل كتب شاملة . فالتراجم الصغيرة المخصصة لشخص واحد صالح أو عالم تظل في الواقع قليلة جدا . وهكذا لا نجد غير كتابين مي المناقب ، يتعلق احدهما بصالح المرباط الذي عاش في واخر القرن الثامن عشر ، وهو علـي العكاري (20) ، كتبه حفيده علي بن محمد بن علي عام 1304 (86 — 1887) ، ويتحدث الثاني عن الصالح البدوي الحسن كنبور (21) ، كتبه قاضي فاس عبد السلام الهواري المتوفى عام 1328 (1910) .

---

17) **الوثائق المغربية** ، 8 ، باريز ، 1906 ص 330 — 395

18) انظر ابن الموقت ، **السعـادة الابدية** ، 2 : 84

19) الف أيضا :

1 — شرحا على كتاب الاربعين النووية

2 — مختصرا لكتاب **زهر الاكـم** لليوسي

20) شريف حسني مدفون في زنقة متصلة بالسويقة بين جامع مولاي سليمان وزنقـة الجزارين ، توفي في 11 شوال 1118 (16 يناير 1707)

21) انظر **دليل المؤرخ** 16 : 199، رقم 771 (المعرب)

ونظرا لتزايد عدد المنتسبين لشرف ، قام عالمان فاسيان باتمام اعمال سابقة تتعلق بالنسب الشريف في المغرب ، أعني **الدر السنـــي** للقادري ، و **نتيجـة التحقيـــق** للمسناوي الدلائي .



محـمـد كنـــون

أولهما أبو عبد الله محمد بن الحاج المدني بن علي كنون (22) الذي يحتمل أن يكون من أسرة يهودية قديمة أسلمت ، وتوفي بفاس في فاتح ذي الحجـة عام 1302 (11 شتنبر1885) ، تاركا من بين مؤلفاته (23) لائحة الشرفاء المغاربة بعنوان : **الدرر المكنونة ، في النسبة الشريفة المصونة** . وقد كـــان في العاصمة تلميذا للوليد العراقي ، وأحمد المرنيسي (24) وأبي بكر ابـــن كيران (25) . وبدر الدين الحمومي (26) ، وعبد السلام بوغالب .

كان فقيها بارعا يحضر مجالسه العدد الجم من الطلاب في القروييـــن وضريح سيدي قاسم إبن رحمون (27) ، وتولى القضاء مدة بمراكش (28) .

---

22) انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 2 : 364 ، الفضيلي ، **الدرر البهية** 2 ، 366

23 هي : 1 ـ مختصر حاشية الرهوني على شـــرح مختصر خليل لعبد الباقـــــي الزرقانـــي

2 ـ حاشية على شرح بنيس لقسم مختصر خليل المتعلق بالميرات ، الخ ...

24) أبو العباس احمد بن محمد بن علي المرنيسي الفاسي نحوي فاس وامامها ، مات بها في 13 صفر 1277 (31 غشت 1860) انظر الكتاني ، **سلـوة الانفاس** ، 1 : 259

25) ابو بكر بن الطيب ابن كيران امام فاس ، توفي في 4 جمادى الثانية 1267 (16 ابريل 1851) ، انظر الكتاني **سلوة الانفاس** ، 3 ،8

26) ابو عبد الله محمد الملقب بدر الدين بن الشاذلي بن احمد الحمومي ، الشريـف الحسني ، عالم فاس . ولد عام 1177 أو 1178 (63 ـ 1765) ، وتوفي في 8 محـــرم 1266 (14 نونبر 1849) انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 1 : 178

27) يوجد هذا الضريح بحي النجارين بفاس

28) طبع على الحجر بفاس بدون تاريخ كتيب في ترجمة محمد كنون كتبه محمد بـــن المصطفى المشرفي الذي كان قاضيا بقبيلة الحياينة

ادريـــــس الفضيلـــــي

والثاني شريف علوي يسمى أبا العلاء ادريس بن أحمد بن أبي بكـــر ابن أبي زكري الفضيلي العلوي السجلماسي الفاسي (29) . ولد حوالي عام 1260 (1844) بفاس ، حيث كان والده انتقل اليها من مدغرة بعد أن أقـــام مدة بمكناس . ودرس في مسقط رأسه على محمد كنون ، وجعفر الكتاني ، وأحمد الحجرتي (30) ، والمهدي ابن الحاج (31) ، ومحمد مسواك التـــازي ومات الفضيلي عام 1316 (98 — 1899) ، وألف بعض الكتب الصغيـــرة خاصة في مدح الرسول (عليه السلام) ، وكتابا كبيرا شاملا في أنســـاب الشرفاء بالعاصمة : **الدرر البهية والجواهر النبوية ، في الفروع الحسنيـة والحسينية** (32) .

هذا الكتاب فهرس ممتاز للارستوقراطية الفكرية والدينية بفاس . فبعد مقدمة صرح فيها المؤلف بأن الكثير ممن يدعون الشرف لاحظ لهم فيه ، أرخ على التتابع للشرفاء الحسنين ثم الحسينيين . وليس هذا الكتاب في الواقع الا اعادة لما في كتب أسلافه في القرن الثالث عشر لكنه أتـم ذلك الـــى عصره ، وبسط القول كثيرا في القسم المتعلق بالفرع العلوي المنحدر مـــن الحسن (السبط) والذي ينتسب اليه المؤلف نفسه . ففضلا عن التراجـم القصيرة التي خصصها للاشراف النابهين بفاس ، أعطى تفاصيل كثيـــرة عن كل جماعات العلويين بتفيلالت ، ولولاه ما عرفنا عنهم شيئا . يضاف الى هذا أن كتاب الفضيلي عبارة عن لائحة أسماء أكثر مما هو معجم تراجم ،

---

29) هو نفسه ، **الدرر البهية** ، 1 : 235 ، معلومات مستقاة من عبد الحي الكتاني

30) احمد بن محمد بن عبد الرحمان الفيلالي الحجرتي قاضي فاس ومدرسها ، توفي بها في 11 جمادى الثانية 1303 (17 مارس 1886) انظر الكتاني **سلوة الانفاس** ، 9:3

31) محمد المهدي بن محمد بن حمدون ابن الحاج أخو المؤرخ الرسمي للسلطان مـــولاي الحسن ، توفي بفاس في شعبان 1290 (24 شتنبر — 22 اكتوبر 1873) انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 1 : 238 الفضيلي ، **الدرر البهية** ، 329:2

32) طبع على الحجر بفاس عام 1314 في جزءين

لكنه في نفس الوقت يعد ، الى حد ، (شعاري) الدور الكبيرة بالمغرب . وفعلا فانه بعد أن استوفى لائحة الشرفاء بالمغرب انهى كتابه بخاتمة طويلة ذات أهمية بالغة ، لاحتوائها على معلومات كثيرة تتعلق بعشرين أسرة فاسية غير شريفة ، كالفاسيين ، وابن الحاج ، والدلائيين ، وابن القاضي ، وابن الوزير الغساني ، والكنونيين . وبما أنه من المحتمل أن يكون الفضيلي قد استقى معلوماته الاساسية من وثائق الاسر فان كتاب **الدرر البهية** يقدم في موضوع شبه محدود معلومات لم يسبق نشرها ويعرضها بطريقة واضحة .

والى جانب هذين الكتابين المتعلقين بنسب الاشراف ظهر في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عدد من الكتب المتعلقة بالطرق الصوفية المغربية . والمزدهر من هذه الطرق في الوقت الحاضر خمسة ، وهي نفسها في الغالب منبثقة عن الطريقتين الكبيرتين : القادرية والشاذلية . ففي شمال البلاد تنتشر الطريقتان الوزانية (التهامية) والدرقاوية ، وفي الجنوب تفوقهما الطريقة الناصرية بكثير . أما في المدن التي يوجد بها أيضا أتباع كثيرون لهذه الطرق ، فان هناك طريقتين أخريين تتمتعان بشهرة واسعة في الاوساط الارستقراطية ، وهما الطريقة التيجانية والطريقة الكتانية .

وقد سبق أن رأينا أنه خصصت تراجم لشرفاء وزان ومؤسس زاوية بوبريح العربي الدرقاوي ، وكذلك كان للناصريين مؤرخ في شخص مؤلف كتاب **الاستقصا** . ونجد أيضا في الوقت الحاضر دراسة متعلقة بأشهر خلفاء العربي الدرقاوي ، وهو المهدي بن محمد بن عبد الرحمان الدرقاوي (33) كتبها أحد تلاميذه محمد بن المبارك الهشتوكي (34) المتوفى بمراكش في سابع جمادى الاولى 1313 (27 اكتوبر 1895) ، بعنوان **المفاخر العلية في الشمائل المهدية** .

---

33) توفي في العشرة الاولى من القرن الرابع عشر الهجري (1883 - 1893) انظر ابن الموقت **السعادة الابدية** ، 1:98 .

34) انظر أيضا ابن الموقت ، **السعادة الابدية** 1:50

ونعرف أن لمؤسس الطريقة التيجانية أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التجاني (35) في فاس مريدا رئيسيا هو أبو الحسن علي بن العربي برادة الملقب بحرازم (36)، وقد ألف هذا الاخير سنة 1214 (1799) في ترجمة شيخه كتابا مطولا بعنوان : **جواهر المعاني، وبلوغ الاماني، في فيض الشيخ أبي العباس أحمد التجاني** (37). ولما قلق الشيخ التجاني من التأثير المتزايد لبرادة بعث به الى الحجفمات في الطريق.

وبعد ذلك قام قاضي شنقيط في أقصى جنوب المغرب، أحمد بن بابا الشنقيطي (38) المتوفى بالمدينة (المنورة) حوالي عام 1260 (1844) وتظم في الشيخ التجاني أرجوزة سماها **منية المريد**. وقد شرحها أخيرا شرحا مسهبا بعنوان : **بغية المستفيد، لشرح منية المريد** (39)، العالم الصوفي الرباطي أبو حامد محمد العربي بن السائح الشرقي العمري (40) المتوفى في متم رجب 1309 (28 فبراير 1892)

وقد ألف منذ سنوات فقط كتاب في تراجم أعيان الطريقة التجانية بقلم عالم مغربي يعمل الآن قاضيا بوجدة، أبي العباس أحمد بن أحمد العياشي سكيرج، وعنوانه : **كشف الحجاب، عمن تلاقى مع التجاني من الاصحاب** (41).

★ ★

ان أحدث طريقة صوفية بالمغرب تسمت باسم مؤسسها الذي ينتسب الكتانيين الادارسة، ويدعون أيضا شرفاء عقبة ابن صوال. وقد الف في هذه

---

35) توفي بفاس في 17 شوال 1230 (22 ستنبر 1815) انظر **سلوة الانفاس**، 180:1

36) انظر سكيرج، **كشف الحجاب**، 72:1 وما بعدها

37) طبع في القاهرة في جزءين

38) ليس هو أحمد بن محمد الامين الشنقيطي مؤلف **الوسيط** في تراجم أدباء شنقيط، (المطبوع في القاهرة عام 1329)

39) طبعت في القاهرة عام 1304

40) انظر أحمد سكيرج، **كشف الحجاب** 343:1

41) طبع على الحجر بفاس عام 1325 و 1332

الاسرة الشريفة ، كما رأينا من قبل ، الطيب ابن الحاج في أواسط القـــرن التاسع عشر ، وأدركت في فاس شهرة عظيمة حتى ان أفرادها حجبوا سائر علماء الاسر الكبيرة من فاسيين وقادريين وبني سودة . وأشهر هؤلاء الشرفاء اليوم في الاوساط المغربية ما يزال بقيد الحياة ، وهو مؤلف **سلوة الانفـــاس** وقبل أن نقدم بعض المعلومات عنه وعن كتابه ، نستعرض المؤلفين الآخرين من أسرته الذين مات معظمهم منذ سنوات .



المامون بن عمـــر الكتانـــي

نذكر من بينهم المامون بن عمر بن طاهر بن ادريس الكتانـــي (42) تلميذ أحمد بن محمد الحجرتي وأحمد العراقي (43) . وقد ألف في جملـة مـا ألف كتابا عن الاسلاميين بفاس ، وترجمة لمولاي الطيـب الكتانـــي (44) : **الغمام الصيب ، في مناقب مولاي الطيـــب** ، ومات عام 1309 (91 ــ 1892) ودفن خارج باب الفتوح .



جعفـر بـن ادريس الكتانـي

أبو عبد الله جعفر بن ادريس بن الطاهر بن ادريـــس الكتانـــي (45) المولود بفاس عام 1240 (24 ــ 1825) تتلمذ لكثير من الاعلام أمثال الوليد العراقي ، وابن سعد التلمساني (46) ، والحاج الداودي التلمساني (47) ،

---

42) انظر الفضيلي ، **الدرر البهية** ، 122:2

43) احمد بن محمد بن المهدي العراقي الحسيني المتوفى بفاس في متم جمادى الثانيـة 1286 (6 اكتوبر 1869) ، انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 37:3

44) ابو المواهب مولاي الطيب بن محمد الكتاني المتوفى في 3 جمادى الثانية 1253 (4 شتنبر 1837) انظر الكتاني **سلوة الانفاس** ، 251:2

45) انظر الفضيلي ، **الدرر البهية** ، 120:2

46) الحاج الحسني البيدري التلمساني ، كان قاضيا بتلمسان وتوفي بفاس في 27 محرم 1264 (4 يناير 1848) انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** 78:3

47) عالم وقاض بتلمسان أيضا التجأ الى فاس عندما احتلت القوات الفرنسية تلمسان ومات بها في 14 محرم 1271 (7 اكتوبر 1854) ، انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 205:1

والقاضي محمد العلوي (48) ، وظهر نبوغه مبكرا كأحد العلماء النابهين في العاصمة . لم يتول قط أي وظيف رسمي ، فاستحق لقب شيخ الجماعة ، ومات عام 1323 (1905) ، ودفن خارج باب الفتوح بالقرب من قبر سيدي دراس ابن اسماعيل (49) . من المؤكد انه ألف اكثر من مائة كتاب ، من بينها **فهرس** طبع على الحجر بفاس ، وكتاب عن أسرته : **الرياض الريانية ، في الشعبة الكتانية** ، وكتيب عن الشخصيات الفاسية المتوفاة في القرن الهجري الثالث عشر : **الشرب المحتضر** ، **والسر المنتظر . في معين أهل القرن الثالث عشر** (50) .



محمد بن جعفر الكتاني

وولده أبو عبد الله محمد بن جعفر (51) ، ولد بفاس عام 1275 (58 – 1859) وتتلمذ له بصفة خاصة، وحضر أيضا مجالس القاضي محمد العلوي ، والمهدي ابن الحاج ، والمدني ابن جلون (52) . ومحمد بن عبد الواحد ابن سودة (53) . والهادي الصقلي (54) ، حج مرتين الى مكة المكرمة عام 1323 و 1325 (5–1907) وبعد ثلاث سنوات هاجر من المغرب الى المدينة . ولما طرده الاتراك منها التجأ الى دمشق حيث يشتغل الآن بالتدريس هناك .

---

48) محمد بن عبد الرحمان الفيلالي المدغري الحسني العلوي قاضي فاس منذ 7 صفر 1274 (27 شتنبر 1857) الى ان مات في 27 رمضان 1299 (12 غشت 1882) انظر الكتاني **سلوة الانفاس** ، 205:1

49) انظر اخباره عند الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 175:2 وما بعدها

50) طبع على الحجر بفاس عام 1209

51) انظر الفضيلي ، **الدرر البهية** 121:2

52) محمد المهدي بن علي ابن جلون الكومي الفاسي ، عالم فاس ، ولد في ربيع الاول 1264 (1848) ألف عدة كتب ومات في 14 ربيع الاول 1298 (4 فبراير 1881) انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** 363:2

53) محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن التاودي ابن سودة قاضي القصر وخطيب فاس مات بها في العشرة الاخيرة من ذي القعدة 1299 (1882) انظر الكتاني **سلوة الانفاس** 121:1

54) قاضي فاس المتوفى بالمدينة المنورة في محرم 1311 (1893) انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 139:1

نذكر من مؤلفات محمد بن جعفر الكتاني كتابا مختصرا ، في نسب أسرته بعنوان **النبذة اليسيرة النافعة ، التي هي لاكبر السلالات الكتانية جامعة** ، ومجموعا في مناقب إدريس الثاني : **الازهار العاطرة الانفاس ، بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس** (55) ، الذي هو تنقيح وزيادة للكتب السابقة للحبلي والطالب ابن الحاج ، لكن أهم مؤلفاته هو فهرسه الجامع لتراجم أعلام فاس : **سلوة الانفاس ، ومحادثة الاكياس ، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** (56) الذي يعتبر نموذجا للمؤلفات المغربية في هذا النوع .

أنهى محمد الكتاني تأليفه عام 1313 بعد أن ظل يكتبه خمس عشرة سنة ، وقد قصد أن يخصص لكل من الشخصيات الشهيرة من بين العلماء والصلحاء المدفونين في فاس ترجمة طويلة أو قصيرة ، وياتي بخلاصة ما عند ابن القاضي في **جذوة الاقتباس** ، ومؤلف **الروض العاطر الانفاس** بعده ، لكن على نطاق أوسع وحتى عصره . وقد حالفه النجاح كثيرا الى حد أن معجمه أصبح يكون في الوقت الراهن أداة العمل الضرورية لكل من يهتم بالتراجم المغربية .

ينقسم الكتاب الى ثلاثة أقسام كبرى ، الاول عبارة عن مقدمة مسهبة في زيارة الصالحين ، والثاني وهو أكبرها يحتوي على قائمة مشاهير العاصمة مرتبين على الاماكن بحسب الاحياء التي دفنوا فيها ، والثالث لائحة مرتبة ترتيبا أبجديا للمشاهير المدفونين بفاس والذين لم يتمكن المؤلف من الوقوف على قبورهم .

وتكون مقدمة **سلوة الانفاس** وحدها كتابا ذا فائدة كبرى ، أولها تبرير مطول لاتبرك بالصالحين ، وقد اجتهد الكتاني في الاستشهاد بأقوال علماء السنة ليبين أن ذكر مناقب الصالحين يتفق تماما مع حرفية الدين .

---

55) طبع على الحجر بفاس عام 1314

56) طبع على الحجر بفاس عام 1316 في 3 أجزاء

تأتي بعد ذلك آداب الزيارة ، فتجد كل ما ينبغي للزائر أن يفعله، من نزول الراكب عن الدابة ، وخلع نعيله عند الدخول الى الضريح ، والانحناء للقبر وتقبيل الارض بين يدي الولي ، ثم يبين الكتاني الدعوات التي تقرأ عند الزيارة ، والذبائح التي تذبح عندها ، وايقاد القناديل والشموع عند قبور الصالحين ، وينتهي العرض الى هذه النتيجة وهي أن صالح فاس الذي ينبغي أن يقصد هو مؤسس المدينة مولاي ادريس الانور بن ادريس الاكبر .

وقد بدأت تراجم السلوة بالولي ادريس الانور . وبما أن ضريحه يوجد في قلب المدينة فان الكتاني تابع عرضه للصالحين والعلماء بحسب المكان الذي دفنوا فيه سالكا خلال المدينة مسلكا لا يخلو من غرابة . فهو يدور حول الضريح الادريسي في اتجاه عقربي ساعة ، وبعد أن يقطع هكذا أحياء وسط المدينة ينتهي الى الاحياء المتصلة بالاسوار الخارجية . وهذا ترتيب أهم الاحياء الذي يمكن معه تتبع المؤلف بسهولة في دورانه حول المركز بحسب تصميم المدينة : النجارين ، الكرنيز ، القطانين ، الصاغة ، الدرب الطويل البليدة ، فندق اليهودي ، داخل باب الجيسة وزقاق الرمان ، الشرابليين ، وطلعة السياج ، الدوح ، الجرف والعيون ، راس الجنان ، الكدان . ثم ينتقل المؤلف الى المقابر الكبرى التي تمتد من كل ناحية من الباب المدعو باب الفتوح، والتي تدعى احداها بروضة العلماء ، ثم الى المقابر التي توجد خارج باب سيدي بوجيدة وباب الجيسة وباب المحروق ، ويصل في الاخير الى فاس الجديد حيث مدافن الملوك العلويين .

من المعروف أن مدينة فاس استحقت منذ أمد طويل أن تدعى (دار العلم) تحقيقا لدعوة الولي ادريس . فتكثر بها قبور الصالحين والعلماء ويفهم اقبال الناس على دراستها عبر العصور . ومن جهة أخرى فان معظم صلحاء فاس هم من علماء الاسلام المشهورين وبعضهم من الكتاب أيضا . وتشمل تراجم الكتاني الجميع من شرفاء أعيان وشيوخ الاسلام ، وفقهاء ومتكلمين وأساتذة قدسوا بعد موتهم . ونقدر منذ الآن أن عدد الشخصيات التي سيعرضها سيكون

ضخما ، يمكن ان نعد من بينهم أكثر من مائة وأربعين من مؤلفي الكتب الاسلامية، كما لاحظ ذلك بمهارة العالم المستشرق كديرا .

ويوجد في **السلوة** ، من جهة أخرى ، الى جانب الصلحاء العلماء ، بعض الصالحين الشعبيين (الاميين) الذين تلوث أسماؤهم هذا الكتاب . ومع ذلك فان هؤلاء الصالحين الصغار الذين يدعون سيدي المخفي ، وسيدي مسا الخير ، وسيدي قاضي الحاجة انما أشير اليهم على سبيل التذكير فقط، وقد ترك المؤلف جانبا متعمدا مثل أسلافه جميع الاساطير المتداولة لهؤلاء الصالحين ، وقد سمع بها ، وربما فتن بها في صغره كسائر ابناء الحضر .

كان على الكتاني الذي يعرف جيدا مدينته أن يجوب خلالها ويصل الى أصغر زواياها المخبأة ليضع معجمه . ويشعر القارىء أنه بحث في كل مكان ، ورجع الى الوثائق العائلية كلما أمكنه ذلك ، ودخل الى أصغر الاضرحة ، وسجل مواقع الاضرحة بكل ضبط ، ونقل ما عليها من كتابات . وبهذه الصفة تدل **سلوة الانفاس** على اهتمام متقدم بالبحث لا عهد لنا به في المغرب .

لكن الكتاني استعمل بصفة خاصة جميع كتب مواطنيه بطريقة متناهية في الدقة والامانة وان قائمة المصادر المكتوبة بايجاز وبدون عناية بأي ترتيب زمني والمذكور في آخر كتابه(57) لتظهر ان الخمس عشرة سنة التي قضاها في تأليف **السلوة** لا تكاد تكفي لقراءة هذه المصادر والبحث فيها وأخذ كل ما يجب أن يؤخذ منها .

وقد سبق أن رأينا الاهمية التي لهذه المصادر ، وكانت منذ بضع سنوات موضوع دراسة خاصة (58) . ان هذه القائمة تكاد تكون كاملة فيما يخص كتب التراجم ، واذا كان فيها نقص كبير فيما يخص كتب التاريخ ، فانها مع ذلك تحتوي على المهم من المؤلفات المغربية غير التي تتعلق بالعلوم الاسلامية الصرفة .

---

57) **سلوة الانفاس** ، 3:357 ـ 363

58) ر، باصي **ابحاث بيبلوغرافية** عن مصادر **سلوة الانفاس** ، الجزائر 1905

ومن جهة أخرى فان الكتاني باستعطاله هذه المصادر لم ينج من أن يبدو ملفقا مثل أسلافه المؤرخين وأصحاب كتب التراجم ، لكنه يمتاز عنهم بأنه ليس ملفقا ضعيفا ، وانما هو مافق أمين فكل ترجمة في معجمه هي في الواقع خلاصة أو اعادة حرفية لجميع التراجم التي كتبت قبله لنفس الاشخاص ، لكنه يترك لكل مصدر من مصادره مسؤولية ما قال ، لاسيما أنه يعطي لكل ترجمة مراجع مغربية كاملة ، وهو بهذا العمل مجدد بلا ريب . ولو أنه أضيفت الى تلك الاشارات أرقام الاجزاء والصفحات لما كانت **السلوة** أقل قيمة من الكتب العربية المؤلفة بالشرق في السنين الاخيرة على الطرق الحديثة

ومع ذلك فان **السلوة** على ما هي عليه تكون أحسن كتب التراجم المغربية وستظل وثيقة أساسية لكل من يقوم بكتابة تاريخ مآثر مدينة فاس . ويستحسن أن تنشر ترجمتها قريبا ، فهي اجمالا أفيد من الترجمات التي خصصت لكتب التراجم المؤلفة قبلها

وقد تقبل المغاربة **سلوة الانفاس** بقبول حسن ، وأدرك مؤلفها شهرة فاقت شهرة أهله وراح الناس يقلدونه في عمله . فمنذ بضع سنوات فقط قام أحد أدباء مراكش وهو محمد بن محمد بن عبد الله ابن الموقت المسفيوي المراكشي المعروف من قبل بكتابته في التراجم ، حيث أصدر كتابين صغيرين ، أحدهما عن أبي العباس السبتي ، (59) والثاني عن أسرته هو (60) ، فألف معجما طبوغرافيا عن صلحاء مراكش بعنوان : **السعادة الابدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية** (61) وحاصل الكلام أنه ليس سوى محاكاة باهتة **لسلوة الانفاس** ، لكن يوجد فيه بعض المعلومات المهمة . وستظل

---

59) **تعطير الانفاس ، في التعريف بالشيخ أبي العباس** ، طبع على الحجر بفاس عام 1336

60) **اظها رالمحامد ، في التعريف بمولانا الوالد** ، طبع على الحجر بفاس في هامش الكتاب السابق

61) طبع على الحجر بفاس عام 1336 في جزئين

السعادة الابدية مفيدة الى أن يقوم عالم مراكش القاضي حاليا بسطات العباس بن ابراهيم المراكشي الذي سبق أن أصدر ترجمة جيدة لسبعة رجال عاصمة الجنوب : **اظهار الكمال ، في تتميم مناقب سبعة رجال** (62) ، ويخرج للناس معجم تراجم علماء جنوب المغرب الذي يشتغل في تهييئه منذ عدة سنوات .



خاتمة

قد وصلنا الى نهاية هذه الدراسة ، وبحثنا فيها دواليك عن أدباء المغرب الذين وضعوا خلال العصر الحديث بعض مؤلفاتهم في موضوعات مغربية خاصة . وتبين أن عددهم نسبيا كثير . صحيح أنهم يتدرجون في أربعة قرون كاملة ، وأنهم عاشوا في بلد ادعى دائما تفوقه في الميدان الفكري على جيرانه في الشرق . نجد فيه بعض المؤرخين وعددا وافرا من أصحاب التراجم خاصة ، يسهم كل منهم قطعا بنصيب كثير أو قليل في تاريخ بلاده ، وبعضهم ولو أنهم لا ينزلون كثيرا عن عظماء المؤرخين المسلمين أخذوا عنهم ، لكن كم عددهم ؟ ياتي قبل كل شيء الزياني الذي كان فريدا وعانى الكثير بسبب أصالته ، سواء في حياته أو بعد مماته . ثم الافراني الحكيم ، والناصري . ويبرز من بين جميع أصحاب التراجم الافراني نفسه ، والمتقشف محمد القادري . وبخاصة المؤلف المعاصر صاحب **سلوة الانفاس** . أي خمسة أسماء في المجموع . ثم أوليس من المفيد أن نلاحظ أن من بين هؤلاء الكتاب الخمسة كاتبين معاصرين . ان كتبهما المتأخرة أيضا ، محاولة لكتابة تاريخ عام للمملكة وتسلسل أحداث العاصمة المغربية من خلال أعلامها ، تظهر ملاحظة دقيقة عن الشروط القديمة للتأليف وتعطي المقياس لاوسع ما يمكن أن توحي به الفنون القديمة .

(62) طبع على الحجر بفاس عام 1334 في جزءين

لكن نسبة الآداب ، على ما فيها من ضعف ، فيما رأيناه خلال هذه الدراسة ليست بأقل مما يمكن أن نجده منذ العصور الوسطى في البلاد الاخرى . وقد اعتبر التاريخ دائما في مرتبة ثانوية بالنسبة للعلوم الاسلامية الصرفة . ونتبين حتى في مغرب العصر الوسيط أن عدد المؤرخين لا يزيد كثيرا عن عددهم في العصر الحديث . ومع ذلك فان موضوعاتهم لم تكن محصورة في اطار محدد جغرافيا ، وانما كانت تواريخهم تتناول في نفس الوقت أحداثا وقعت في نقط جد متباينة من الغرب الاسلامي بل وفي المشرق أيضا . وان الظروف التاريخية منذ القرن السادس عشر جعلت المغرب ينغلق داخل حدود مقفلة تماما ، فأوقف المؤرخون بدورهم نظارهم عليها ولم يتجاوزها ، لكن طريقتهم لم تتغير . فكتاب **الاستقصا** و **سلوة الانفاس** على تقليد **روض القرطاس** أو مجاميع التراجم الاندلسية ، لم يكن لمؤلفيهما مثل أعلى آخر . فهذه الكتب نتيجة لشكل من الادب السلفي ونهاية .

ان الاجيال الصاعدة بالمغرب المعاصر تتجه في الواقع اتجاها آخر . وان بعض العلماء الذين ولدوا في النصف الثاني من القرن الماضي ما يزالون يحتفظون باحترام تقليدي للماضي ، وربما سينزوون أكثر داخل أشكالهم القديمة بعامل رد الفعل . لكنهم سيلومون دون جدوى أولادهم المتصلين بنا على بحثهم في توسيع آفاقهم . ان التطور حاصل حتما أحببنا أم كرهنا وقد بدأ بالفعل . ان معظم الادباء المغاربة اليوم ليس لهم الا شعور خفيف بتاريخ بلادهم ، ويدركون من يوم لآخر ان المغرب ليس وحده في الدنيا ، وأن أمما أخرى عملت أكثر منه على تقدم الحضارة والعلم . والى هذا الاجنبي ، مسلما او غير مسلم ، تتجه أنظارهم ، مجتهدين في ادراك طرق بدءوا يرتابون في قيمتها . وحتى اللغة العربية الاصطلاحية الثابتة التي اجتهد الشرق في تطويعها لمتطلبات الفكر الجديد ، لم تعد في نظر هذا الجيل المغربي الجديد اللغة الوحيدة التي تستحق أن يكتب بها . وكثير منهم غير بعيدين عن أن يعترفوا بأن لغات اخرى تتلاءم أكثر مع الوضوح والعرض في فنون عديدة .

فماذا يا ترى تكون انعكاسات هذه الافكار الجديدة في المستقبل على الادب المغربي ؟ وماذا ستكون بعد عقود من السنين كتب المؤرخين ان وجدت ؟ انه يصعب حقا التكهن بذلك . وستكون على أي حال مختلفة أشد الاختلاف عما ألفه المؤرخون وأصحاب التراجم في القرون السابقة بمملكة الشرفاء حسب القواعد العتيقة .

ملـــحـــق 1

★ ★

مصادر نزهـة الحـادي للافرانـــي

- عبد الرحمان الفاسي ، **ابتهاج القلوب**

- أبو محلي ، **اصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت** .

- أفوقاي (أبو العباس) الاندلسي ، **رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب**

- أحمد بن عبد الملك الشريف السجلماسي ، **الانوار السنية في نسبة م بسجلماسة من الاشراف المحمدية** .

- أحمد بابا ، **كفاية المحتاج** .

- أحمد او علي السوسي ، **بذل المناصحة في فضل المصافحة**

- أحمد الوزير الغساني

- مجهول فاس ، **تاريخ الدولة السعدية**

- ابن عرضـــون

- ابن عسكر ، **دوحة الناشـــر**

- العياشي ، رحلـــة

- العياشي ، **تحفة الاخلاء في أسانيد الاجلاء** .

- الازورقاني ، **الدوحـة** .

- ابن بطوطـة ، **رحلـــة** .

- الدلائي محمد المسناوي

- الفشتالي أبو فارس عبد العزيز ، **مناهل الصفا في أخبار الملـــوك الشرفـا**

- الغنامي الشاوي عبد الرحمان المدعو رحو ، **رحلـــة**

- ابراهيم ابن هـــلال ، **المنســـك**

- اليوسي الحسن ، **المحاضـــرات**

- اليوسي محمد بن يعقوب ، **فهـــرس**

- المنجـــور ، **فهرس**

- المقري ، **أزهــار الرياض في أخبار مناقب القاضي عياض**

- المقــــري ، **نفـــح الطيـــب**

- المرغيتي **فهـــرس**

- ميارة ، **الدر الثمين في شرح المرشد المعين .**

- محمد بن عيسى ، **الممدود والمقصور من سنا السلطـــان أبي العبـاس المنصـــور**

- محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاســـن**

- محمد بن عيسى ، **الممدود والمقصور من سناالسلطان أبي العباس المنصور .**

- محمد المهدي الفاسي ، **ممتـع الاسمـــاع**

- محمد الطيب الفاسي ، **الاعلام بمن مضى وغبر من أهل القرن الحادي عشـــر**

- ابن القاضي ، **الدر الحلـــوك**

- ابن القاضي ، **درة الحجـــال**

- ابن القاضي ، **درة السلـــوك**

- ابن القاضي ، **جـذوة الاقتبـــاس**

- ابن القاضي ، **لقـط الفرائـــد**

- ابن القاضي ، **المنتقى المقصـــور**

- القادري عبد السلام ، **الدر السنـــي**

- السجتاني أبو مهدي عيسى ، **نوازل .**

- السملالي عبد الرحمان بن يعقوب ، **فهرس**

- التكروري ، **نصيحة أهل الســودان**

- التمكروتي ، **النفحة المسكية في السفارة التركية**

- التواتي احمد ، **مقامة التحلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي .**

- التمنارتي عبد الرحمان ، **الفوائد الجمة باسناد علوم الامة .**

- **زهرة الشاريخ** (شرح)

(ب)

مصادر نشر المثاني لمحمد القادري

- ابن الابـــار ، تكميـل الصلـــة
- عبد القادر الفاسي ، رسالـــة
- عبد الرحمان الفاسي ، أزهـــار البستـــان
- عبد الرحمان الفاسي ، ابتهاج القلوب
- عبد الرحمان الفاسي ، كتاب الاقنـــوم
- ابن أبي زرع ، روض القرطاس
- أحمد بابا ، كفايـة المحتـــاج
- أحمد أو علي السوسي ، بذل المناصحة في فضل المصافحة
- ابن عيشون الشراط ، الروض العاطر الانفاس
- إبن عسكـر ، دوحة الناشـــر
- العياشي ، فهـــرس
- العياشي ، رحلـــــة
- ابن بطوطة ، رحلـــــة
- الشعراني ، ذيـل الطبقـــات
- الذهبي ، كتاب التهذيب في مختصر تهذيب الكمال
- الدلائي محمد المسناوي ، جهد المقل القاصر في نصرة الشيـخ عبـــد القـــادر
- الفشتالي محمد ، وفيـــات .
- الكلالي ابراهيـــم ، تنبيه الصغير من الولدان
- ابن حجـر ، بهجـــة الناظـــر
- الحلبي أحمد بن عبد الحي ، رياض القلوب فيما للشيخ عبـــد اللـــه البرناوي من أسرار الغيوب .
- ابن حزم ، جمهرة الانســـاب

- الافراني ، **نزهــة الحادي**
- اليوسي ، **المحاضـــرات**
- الاسحاقي محمد بن المعطي ، **لطائف أخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**
- ابن جرير الشطنوفي ،**بهجــة الاسرار ومعدن الانوار**
- الجوزي ، **مــرآة الزمان في تاريـــخ الاعيان**
- الخفاجي ، **ريحانـــة الالبـــا**
- ابن الخطيب ، **الاحاطة بتاريخ غرناطــة**
- ابن الخطيب ، **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**
- المكلاتي ، **وفيـــات**
- المقري ، **نفـــح الطيب**
- محمد بن عبد الرحمان الفاسي ، **المنح البادية**
- محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاســـن**
- محمد المهدي الفاسي ، **الالمــــاع**
- محمد المهدي الفاسي ، **ممتع الاسمــاع**
- محمد المهدي الفاسي ، **روضة المحاســـن**
- محمد المهدي الفاسي ، **تحفة أهل الصديقية**
- محمد الطيب الفاسي ، **فهرس**
- محمد الطيب الفاسي ، **مطمـــح النظـر**
- المرابي ، **تحفة الاخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان** .
- ابن ناصر الحسين ، **فهـــرس**
- ابن القاضي ، أحمد ، **درة الحجال**
- ابن القاضي احمد ، **جـــذوة الاقتبـــاس**
- ابن القاضي قاسم بن محمد ، **تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان** .
- القادري عبد السلام ، **الدر السنـــي**
- القادري عبد السلام ، **المقصد الاحمـد** .

ـ القادري عبد السلام ، **دلائل الاشراق** .

ـ القادري عبد السلام ، **معتمد الراوي**

ـ القادري عبد السلام ، **نزهة الفكر** .

ـ القادري عبد السلام ، **نزهة النادي وتحفة الحادي**

ـ القادري محمد العربي ، **كناشــــة**

ـ القرافي بدر الدين ، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**

ـ القصار ، **فهرس**

ـ الرشاطي ، **اقتباس الانوار** (مع تلخيص لعبد الحق الازدي الاشبيلي)

ـ السكبي تاج الدين ، **معيد النعم ومبيد النقم**

ـ **تقييد الحقيقة العالية وتشييد الطريقة الشاذلية**

ـ الولالي أحمد بن يعقوب ، **مباحث الانوار في أخبار بعض الاخبار**

ـ الونشريسي ، **وفيــــات**



(ج)

مصادر الترجمان المعرب والبستان الظريف للزياني

1 ـ كتب اطلع عليها في المغرب

ـ ابن أبي زرع ، **روض القرطاس** .

ـ ابن عسكر ، **دوحة الناشر** .

ـ العيـاشـي ، **رحلــة** .

ـ ابن الازرق ، **كتــاب السياســة** .

ـ البلادوري

ـ الفشتالي ، **مناهل الصفــا**

ـ ابن حزم ، **جمهــرة الانســـاب**

ـ **الحلل الموشيــــة**

- الافراني ، **نزهــة الحــادي**
- اليوســي ، **المحــاضــرات**
- ابن خــاقان ، **قلائد العقيــان**
- ابن خلدون ، **كتــاب العبــر**
- ابن الخطيــب ، كتب تاريخية
- المقــري ، **نفــح الطيــب**
- المروزي
- ابن القاضــي ، **درة الحجــال**
- - ابن القاضــي ، ، **جذوة الاقتبــاس**
- كتب القادريين والفاسيين والبكريين (الدلائيين)

2 - كتب اطلع عليها في تلمسان والجزائر وتونس

- ابن عبد البــر ، **بهجــة المجالــس** ،
- الشاطبي ، كتاب **الجمان في عجائب الزمان**
- أنساب البربر : - هاني بن مصدور الكومي
  - كهلان بن أبي لوا الاوربي
  - سابق بن سليمان المطماطي
- الكرمــانــــي
- ابن كثير ، **البدايــة والنهايــة**
- المقريزي ، **الخــطط**
- مرتضى الزبيدي ، **بحر الانساب في أصــول الاشــراف الحسنييــن والحسينيين بالمشرق والمغرب .**
- النــــووي
- ابن قتيبــة ، **عيون الاخبــار**
- الراغب الاصبهاني ، كتاب **المحــاضــرات**
- السمرقندي محمد بن عبد الله ، **تحفــة الطالــب**
- للتنسي ، **نظم الدر والعقيــان**

ـ الواقدي ، **فتـــوح افريقيـــا**

3 ـ كتب اطلع عليها في القسطنطينية

ـ **تاريخ الدول الاسلامية** لابن عساكر الذهبي وابن الخطيب

ـ **تاريخ الاسكندر** ، و **الاغريق** . و **الفــرس** مترجمة من التركية الـى الغربية



(د)

مصادر الجيش العرمرم لاكنسوس

ـ عبد السلام بن محمد بن عبد الله ، **درة السلـوك**

ـ ابن أبي زرع ، **روض القرطـــاس**

ـ أحمد بن عبد الملك السجلماسي ، **الانوار السية**

ـ أحمد بابا ، **نيــل الابتهـاج** .

ـ العياشـــي ، **رحلـــة**

ـ البطليوســي ، **الاقتبـــاس** .

ـ الشاطبي ، كتاب **الجمان في عجائب الزمان** .

ـ الدلائي محمد المسناوي ، **نتيجـة التحقيـق** .

ـ القشتالي عبد العزيز ، **مناهـل الصفـا**

ـ ابن العذاري ، **البيـــان المغـــرب**

ـ الافرانـــي ، **نزهـــة الحـــادي**

ـ الافراني ، **صفــوة من انتشــر**

ـ الافراني ، **الظـل الظليـــل**

ـ اليوســي ، **المحاضـــرات**

ـ ابن جرير ، **رحلـــة**

ـ الجرجاني أحمد ، **كنايـة الادبا**

ـ ابن خلكـــان ، **وفيات الاعيان**

ـ المقري ، **نفــح الطيب**

ـ المصباحــي علــي ، **سنن المهتدي الى محاسن اليحمدي**

ـ العميري ، **فهرس**

ـ القادري ، **الازهـــار النديـــة**

ـ الزياني ، **البستـــان الظريـــف**

(هـ)

★ ★

مصادر كتاب الاستقصا للناصري

أ ـ الى نهاية الوحدين

- ابن عبد البر ، **كتاب التمهيد**
- ابن عبد الملك المراكشي ، **الذيل والتكملة**
- ابن عبد المنعم الحميري ، **الروض المعطار**
- ابن أبي زيد القيرواني
- ابن أبي زرع ، **روض القرطاس**
- ابن عساكر ،
- ابن الاثير ، **الكامل**
- ابن بشكوال ، **كتاب الصلة**
- البكري
- البرنوصي
- الشاطبي ، **كتاب الجمان في عجائب الزمان**
- داود بن القاسم الاوربي
- الدلائي محمد المسناوي
- ابن غالب
- ابن حجر
- هانيء بن بكور الدريسي
- ابن حيان
- ابن حزم
- الحميدي ، **جذوة المقتبس**
- ابن اليسع
- الافراني ، **نزهة الحادي**
- يوسف بن عمر (أبو الحجاج) **تاريخ الموحدين**
- عياض ، **كتاب الشفا**
- عياض ، **المدارك**
- ابن جنون
- الجرجاني علي
- ابن الكلبي
- ابن خلدون ، **كتاب العبر**
- ابن خلكان ، **وفيات الاعيان**
- ابن الخطيب ، **رقم الحلل**
- **الخلاصة النقية في امراء افريقية**

- المقري ، **نفـــح الطيب**
- ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن**
- المسعودي ، **مروج الذهـــب**
- ابن مطروح القيسي
- محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن**
- - محمد بن ابراهيم الانصاري
- النـــووي
- الرازي
- رفاعة بك الطهطاوي ، **بداية القدماء**
- الصدفي أبو شبيب
- ابن سعيــــد
- الطبـــري
- ابن وهبون عبد الجليل
- الواقدي ، **فتوح افريقيا**
- الوراق أبو مروان عبد الملك
- ابن زاكور ، **المعـرب المبيـــن**
- زمـــور بن صالــــح
- الزياني ، **البستان الظريـــف**
- ابن الزيات ، **كتاب التشوف الى رجال التصوف**

ب - في العصر المرينـــي

- ابن أبي زرع ، **روض القرطاس**
- ابن الاحمر ، **روضة النسرين**
- ابن عسكر ، **دوحة الناشر**
- **بدائع السلك**
- الافراني ، **نزهــة الحــادي**
- ابن الخطيب ، **الاحاطـــة**
- ابن الخطيب ، **الاكليـــل**
- ابن خلدون ، **كتاب العبر**
- المقري ، **نفـــح الطيـــب**
- المقريزي ، **السلوك الى معرفة دول الملوك**
- ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن**
- محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاســـن**
- الابي ، **شـــرح صحيح مسلـم**
- القادري ، **نشر المثـــاني**
- الونشريسي ، **المعيـــار المعرب**
- **زهرة الشماريـــخ** (شرح)
- زروق (الشيخ أحمد)

ج ـ في العصر السعدي

- عبد الرحمان الفاسي ، **شرح دلائل الخيرات**
- عبد الرحمان الفاسي ، **ابتهاج القلوب**
- أبو محلي ، **اصليت الخريت**
- أحمد بابا ، **معراج الصعود**
- أحمد أو علي السوسي ، **بذل المناصحة**
- ابن عسكر ، **دوحة الناشر**
- العياشي ، **رحلة**
- البرزلي ، **نوازل**
- الفشتالي ، **مناهل الصفا**
- الغزالي ، **احياء علوم الدين**
- الادريسي ، **نزهة المشتاق**
- الافراني ، **نزهة الحادي**
- الافراني ، **صفوة من انتشر**
- اليوسي ، **المحاضرات**
- ابن خلدون ، **كتاب العبر**
- ابن خلكان ، **وفيات الاعيان**
- **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**
- المنجور ، **فهرس**
- ميارة ، **الدر الثمين**
- محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن**
- محمد المهدي الفاسي ، **ممتع الاسماع**
- المحبي ، **خلاصة الاثر**
- ابن القاضي ، **درة الحجال**
- ابن القاضي ، **درة السلوك** (وشرحها)
- ابن القاضي ، **المنتقى المقصور**
- القادري عبد السلام ، **معتمد الراوي**
- القادري محمد ، **نشر المثاني**
- السملالي عبد الرحمان ابن يعقوب ، **فهرس**
- التكروري ، **نصيحة أهل السودان**

- التمكروتي ، **النفحة المسكية في السفارة التركية**
- التدنارتي ، **الفوائد الجمة باسناد علوم الامة**
- **زهرة الشماريخ** (وشرحها)
- الزياني ، **البستان الظريف**

د - العصر العلـــوي

- عبد السلام بن محمد بن عبد الله العلوي ، **درة السلوك**
- أحمد بن عبد الملك الشريف السجلماسي ، **الانوار السنية**
- أكنسوس ، **الجيش العرمرم**
- العياشي ، **رحلـــة**
- الدلائي محمد المسناوي ، **نتيجة التحقيق**
- الغزال ، **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد**
- ابراهيم ابن هلال
- الافراني ، **نزهـة الحادي**
- ابن خلدون ، **كتاب العبر**
- ابن خلكان ، **وفيات الاعيان**
- **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**
- الغزالي ، **المستصفى من علم الاصول**
- اليوسي ، **فهرس**
- اليوسي ، **المحاضرات**
- **مصباح الساري** .

- محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن**
- العميري ، **فهرس**
- القادري محمد ، **الازهار الندية**
- القادري محمد ، **نشر المثاني**
- **قطف الزهور**
- السدراتي السلوي أحمد بن المكي
- التستاوتي عبد القادر ، **فهرس**
- الزياني ، **البستان الظريف**

فهرس

موضوعات الكتاب

فهـــرس مجمـــل

لاعـــلام الاشخـــاص والقبائل والامـــاكن والكتـــب

★ ★ ★

الآبـــاء

— × —

الابنـــاء

ـــ × ـــ

حرف الهمزة

—×—

حرف الباء

— × —

حرف التاء

ـــ × ـــ

حرف الثاء

ـــ × ـــ

حرف الجيم

— × —

حرف الدال

حرف الذال

— × —

حرف الراء

— × —

حرف الزاي

— × —

حرف الطاء

— × —

حرف الظاء

— × —

حرف الكاف

حرف اللام

— × —

حرف الميم

ــ × ــ

حرف النون

حرف الصاد

ـــ × ـــ

حرف الضاد

حرف العين

— × —

حرف الغين

— × —

حرف السين

حرف الهـاء

— × —

حرف الواو

— × —

حـرف الياء

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة
دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط
في 30 ابريل 1977